ANCORA IMPARO



العصور

مجلد ٣ العدد ١٣ اعرف نفسك بنفسك : فيثاغورس سبتمبر ١٩٢٨

العصور

فى سنتها الثانية

* * *

تقدم لقراء « العصور » العدد الاول من سنتها الثانية فى هـذا الثوب الجديد الذى خلعه عليها تشجيع الرأى العـام المتنور فى الاقطار العربية جمعاء . ولئن كان للعصور من غاية ترمى اليها ، أو كان لها من غرض تسعى فى سبيل الوصول اليه ، فان ذلك ينحصر فى شىء واحد هو تنوير الفـكرة فى الشرق والعمل على تـكوين أساليب جديدة تنتحى فى التفكير ، وخلق اتجاه حديث يتوجه اليه أحرار الفـكر من الناطقين بالضاد . اما شعارها ، فـكما كان وكما سيكون دائما :

« حرر فكرك من كل التقاليد والاساطير الموروثة ، حتى لاتجد صعوبة مافى رفض رأى من الآراء ، أو مذهب من المذاهب ، اطمأنت اليه نفسك ، وسكن اليه عقلك ، اذا انكشف لك من الحقائق ماينـاقضه . »

حياتنا العقلية

١ تمهيد

كانت لمصر حضارة من أروع الحضارات ، وكان لها نظامات سياسية وقضائية ، وكان بها سلطات دينية قامت على أساس من التقاليد العريقة التى لم يؤثر فيها مؤثر منذ أبعد أزمان التاريخ حتى قيام النصرانية فى جوف الامبراطورية الرومانية . فاخذت التقاليد الدينية القديمة تؤثر فى نظامات النصرانية تأثيراً ظهر على أشده فى فكرة التثليث التى بثها فى تضاعيف الدين النصرانى ، قديس مصرى فى قديسى المسيحية .

حدث كل هذا فى زمان لم تعرف فيه المدنية الا فى بعض بقاع من كرة الارض كبلاد اشور والكلدان وبعض بقاع من الهند والصين . انارت هذه الاقباس فى ظلام الانسانية المدلهم ، وفى عصور ما عرف فيها غير المصريين أن للعقلية الانسانية حياة تحياها وتظهر بارزه فى نظامات ومبادىء اجتماعية وصور من الآداب والفنون . ما عرف هذا فى تلك الازمان من غير المصريين الا بضعة شعوب اين مدنيتها من مدنية المصريين ، واين نظاماتها من نظاماتهم ، واين فنونها من فنونهم .

ولقد يعزو بعض الباحثين قيام المدنيات الى اسباب شتى . فمنهم من يعزوها الى طيب المناخ وكثرة المياه او المعادن . ومنهم من يعزوها الى غرائز اختص بها النوع البشرى وصفات جادت بها الطبيعة على بعض الشعوب دون بعض . وهذا يمكن ان يكون صحيحاً الى حد بعيد فى قيام الصورة المادية فى المدنيات . اما الصور الادبية والفنية فلابد من ان يكون لها اسباب اخرى غريزية وان كان للطبيعة تأثير غير مباشر فيها . وعندى ان السبب الاقوى فى شبوب الصور الذهنية فى المدنيات راجع الى ايجاد أساليب جديدة يعكف عليها الفكر الانسانى .

وما اردنا بهذه المقدمة الوجيزة الا ان نستطرد منها الى اثبات ان تغير اساليب الفكر هو السبب الاوحد الذى تفوق من طريقه المصريون فى العصور القديمة على غيرهم من الشعوب ؛ وان عجزهم عن تغيير هذه الاساليب كان السبب فى تقاعدهم عن اللحاق بغيرهم من الشعوب التى استطاعت ان تخلق بتغيير الاساليب القديمة صورا مدنية جديدة فاقت الصور القديمة فى كثير من وجوه الارتقاء .

كذلك نريد ان نثبت ان عجز الشعوب عن تغيير اساليب الفكر ليس براجع الى نضوب قواهم العقلية او صفاتهم المدنية . فانى اعتقد تمام الاعتقاد بان هذه الصفات انما تكمن فى بعض الاحيان وتستكين ، فلا تنشط ولا تعمل تحت تأثير ظروف طارئة غير ثابتة . كغزو اجنبى او سوء حالة الحكم واحتكام الجماهير فى الطبقات المنتقاة من مجموع الامة ، واستبداد ينزع اليه الملوك والامراء او خلاف طائفى او نزاع على الملك او غير ذلك من الاسباب التى ليس لها من علاقة مباشرة بالصفات الطبيعية التى تختص بها الافراد ، بل لها الاثر الاكبر فى المحيط الذى يحيط بالعقول والافهام فيضعه بكثير من فاسد النزعات تكمن معها الصفات التى تقوم عليها المدنية ، والتى لا تظهر الا فى جو لا يتهيأ الا لتسود ارقى المبادىء الادبية التى تواضع عليها النوع الانسانى

٢ — فى التاريخ القديم

مصر القديمة اكبر مثال يضرب لنثبت به حقيقة هذه النظرية . فان التقلبات المدنية التى انتابت مصر فى مختلف عصور تاريخها القديمة لشاهدة على أن الجو الذى يحيط بالافراد والنظامات كأن له اكبر الأثر فى تكييف الصورة المدنية التى تقوم فى عصر من العصور .

ليس من المعقول مطلقاً أن تهبط مصر المتحضرة الراقية ذات النظامات الأهلية والمدنية ، وذات المعابد والهيا كل العامرة ، وذات النظام الكهنوتى الكبير الاثر ، من ذروة المجد إلى حضيض الذلة والانكسار أمام غزو الهكسوس ، وهم اعراب من أهل البادية ما عرفوا مدنية ولا ذاقوا للنظام طعماً ، ويكون انكسارهم وفناء صورهم المدنية التى عاشوا فى ظلالها

راجع إلى نضوب قوة الابتكار فيهم ، بين يوم وليلة ! ! ! إن هذا القول لبعيد جهد البعد من المعقول ، فضلا عن أن العلوم الحديثة فى النشوء لا تؤيده ، بل تؤيد مايذهب إلى عكسه على خط مستقيم .

انما يكون فى مثل هذا القول كثير من الحق والصواب إذا نحن رجعنا إلى نظريات كمون الصفات الفطرية فى الشعوب إذا هى تأثرت بجو مشبع بمفسدات المدنية . وأية مفسدة من مفاسد الحياة الانسانية اقسى تأثيراً على الشعوب من غاز أجنبى جاهل لا يعرف إلا القوة ولا يلجأ إلا للقوة فى شعب ماعرف للقوة فى نظاماته من أثر ، ولا عرف لغير النظام فى حكومته من مبدإ ؟ والدليل القاطع على صحة هذه النظرية ان مصر لم تلبث ان تطرد الهكسوس من بلادها حتى ازهرت بمدهم المدنية . وما إزهار هذه المدنية فى الواقع بشىء يستعصى تعليله ، إذا عرفنا أنه عائد مباشرة إلى نشاط الصفات المدنية مرة أخرى بعد أن ذهب تأثير الغزو الاجنبى وتطهر الجو الذى لا يمكن أن تنشط فى غيره .

كذلك إذا نظرت فى مجمل تاريخ مصر منذ زمان « مينا » إلى زمان الغزو الرومانى . فانك تجد أن تاريخ هذا الشعب كان عبارة عن دورات من العزة والانكسار ، والنصر والاندحار ، متعاقبة متتالية ، على قصر فترات الزمان ، والشعب المصرى هو هو ، لم يتغير فيه عنصر ولا نقصت فيه صفة . فهل يمكن أن يكون ذلك راجع إلى فقدان الصفات الطبيعية التى اختص بها الشعب المصرى كما يوهمنا البعض فى هذا الزمان قضاءاً لمآرب خاصة ، أو يأساً من حلول مامنينا به من مفاسد الغزو الاجنبى ؟ كلا . أن ذلك راجع لدى الواقع إلى كمون الصفات المدنية والمؤهلات العقلية تبعاً لفساد الجو الذى يحيط بها . على أننا لا ننسى مع هذا أن طول الزمان الذى تكمن فيه الصفات المدنية يجعل عودتها إلى النشاط أعسر ، ورجوعها إلى العمل أوعر ، وانهاضها محتاجاً إلى كثير اوقليل من الجهد على مقتضى الحالات .

وماالسبب فى هذا ! السبب فيه أن كمون الصفات المدنية ازماناً طويلة عامل من أكبر العوامل فى تحليل النظامات التى تقوم عليها المدنية . لهذا يكون

الجهد مضاعفاً عند قيام مدنية أخرى لشعب فقد مدنيته لانه يكون محتاجاً إلى اعادة بناء النظامات المدنية أولا ، ثم صبغها من بد بالصبغة التى تستمد مباشرة من صفاته الطبيعية .

وليس يقتصر استشهادنا على هذه النظرية بامثال نقطتمهامن تاريخ مصر وحده . فلديك مملكة مقدونيا وهى من أصغر ممالك الارض عدة وعدداً . ففى عصر الاسكندر المقدونى خرجت من ظلمات التاريخ الى وضح الحياة بعد سنين معدودات من حكم فيلبس وابنه الاسكندر، فدوخت العالم وفتحت كل بلاد المدنية فى ذلك العهد . وما لبث ان مات الاسكندر وتجزأت من بعده امبراطوريته العظمى بين كبار قواده حتى خبت تلك الجذوة التى اشعت فى مقدونيا وما عتمت ان كمنت قواها مرة أخرى ، لما انتشر فى جو المدنية من المفسدات ما تعذر معه على تلك الصفات أن تظهر وتنشط فى صور الحياة العامة

واذا شئنا أن نعدد لك من الامثال ما يؤيد هذه النظرية لذهبنا بك فى سلسلة طويلة من الوقائع التاريخية التى نؤيدها فى التاريخ القديم

٣ — فى التاريخ الحديث

ولا تصدق هذه النظرية على التاريخ القديم وحده ، ولا هى وقف على الامم القديمة وحدها . بل هى نظرية يمكن أن ننتزع من وقائع التاريخ الحديث ما يؤيدها ويزيدها قوة وثباتاً

هل تستطيع مثلا أن تعلل السبب فى ان أمة اليابان قد نشأت نشأة كبرق يأتلق فى ظلمات الليل البهيم ، فتبز فى خمسة عقود من الزمان لا تتجاوز النصف قرن، كل امم الارض على وجه التقريب رقياً ومدنية ، وتناظرها قوة وسلطانا ، وكانت من قبل احدى الامم الصفراء التى لا يعمل لها فى عالم المدنية حساب ولا يقام لها وزن؟

طافت احدى المدرعات الامريكية بقيادة الاميرال « بيرى » وقد سددت مدافعها الضخمة إلى إحدى المدن اليابانية القائمة على شاطىء المحيط الهادى فانزعجت لسخامتها أهل اليابان المستكينة الذليلة ، ومن ثم اخذت الأمة اليابانية

تضرب فى مجالى الرقى العملى وتبنى على انقاض مدنيتها القديمة مدنية حديثة تكاد تزرى بمدنية باريس، عروس مدائن الدنيا المتمدينة ! فهل يمكن أن يكون منظر هذه الدارعة وحده هو الباعث على أن تهب اليابان هبتها التى كان من نتائجها أن تضرب الدب الروسى ضربتها القاضية ويخطب ودها الآن الاسد البريطانى؟ كلا، لا بد من أن يكون الجو الذى افسد جو المدنية اليابانية خلال الازمان الأولى قد تطهر من مفسداته التى كانت تعوق صفات أهلها عن أن تنبعث فى سبيل النهوض . وقل بعد ذلك ماشئت . قل أنه تطهر باللقاح او قل إنه تطهر بالعظة البالغة أو بتحرك شهوة السيادة فى قلوب الزعماء. قل ماشئت . ولكن اعتقد بجانب هذا أن صفات الشعب الكامنة قد تحركت فغيرت من أساليب التفكر وجددت من شباب الفن والادب، فكانت المدنية اليابانية قائمة على أساس الصفات والمؤهلات التى تركزت فى طبيعة الشعب اليابانى منذ اقوم عصوره حتى اواخر القرن التاسع عشر .

ثم انظر فى ايطاليا وقد تقاسمتها السلطة البابوية من جهة ودولة الغسا من جهة اخرى . وارجع الى الميراث الذى خرجت به القبائل الايطالية فى القرون الوسطى ، وعد قليلا الى ذكرى المفاسد التى ايدتها الكنيسة والاستبداد الذى حلل اخلاق ذلك الشعب اللاتينى من طريق استبداد الامراء . اذكر كل هذا وسائل نفسك هل يمكن ان يكون الشعب الايطالى قد فقد كل صفاته الطبيعية فى تلك الازمان الذى مضى خاضعاً فيها لعسف الامراء من جهة ، واستبداد اهل الدين من جهة أخرى ؟ واذا سلمت بهذه الفكرة فكيف تعلل نهوض هذا الشعب بعد ان فاز كافور فى ميدان السياسة، وجاريبالدى فى ميدان الحرب ، باستقلاله وحريته ؟ لا جرم اننا لا نكون ابعد عن الهدى منا اذا سلمنا بهذه النظرية . اما الحق فان صفات الشعب وقدرته على ابتكار الاساليب الجديدة قد كمنت عندما حوطها من المفاسد ماجعل كمونها لازماً . فلما تطهر الجو انبعثت الصفات الكامنة من مرقدها ومضت تسير بالشعب الايطالى فى مدارج الرقى دفعة واحدة، كأن لم يكن استبداد حلل اخلاق الشعب، وكأن لم تكن مذهبية شنيعة استعانت بها الكنيسة على اخضاع ايطاليا لوحى الآخرة

وكذلك اذا أردنا أن نضرب لك الامثال على صحة هذه النظرية منتزعة من التاريخ الحديث .فاننا نذهب بك فى سلسلة طويلة لا حاجة لنا بها بعد الذى أدلينا اليك به من البحث .

٤ — أسباب ونتائج

وليس السبب فى كمون الصفات محصوراً فى الغزو الاجنبى أواستبداد الامراء . فان هذه الاسباب قد تكون ذاتية أى آتية من ناحية الشعب نفسه، كما يمكن أن تكون خارجية مفروضة عليه الزاما بحكم خارج عن إرادته. ففى عصور الانقلاب والثورة يظهر الزعماء الذين يقودون الجماهير ،ويثروى ذوو العقول الفذة الذين هم فى الواقع قمة الهرم الذى يكون مجموع الأمة . وفى هذا سبب من أكبر الاسباب التى تكمن معها الصفات المدنية الصحيحة اذ ينتفى بذلك أن تكون حرية حقة فى عصر تسود فيه الجماهير .

وكذلك الحال فى العصور التى تنتشر فيها فكرات جديدة يأخذ الناس وهجها الكاذب ويبهرهم زخرفها الخلاب . فان هذه الظاهرة كثيراً ما تكررت فى عصور المدنية اذ هى تسير بقدم ثابتة،فزلزلت من تحتها قائم الدعائم وفضت من حول المدنية قوى التشييد لتنصرف حينا الى الفساد الذى تبثه فكرة خاطئة أو مذهب غير قويم .

هذه الامثال وغيرها كثير نضربها لندلك بها على أن فساد وجود المدنية قد يرجع الى أسباب تستمد من نفسية الشعوب ،كما تعود الى أسباب قاهرة مفروضة عليها بحكم ارادة غير ارادتها . ولا جرم أن العجز عن تغيير اساليب الفكر يقتضى فساد المدنية .فهذا العجز لدى الواقع دليل على أنه فساداً اتاب المدنية ، لا على أن الامم التى عجزت عن تغيير أساليبها لتساير المتمدنين، قد فقدت كل صفاتها المدنية وأضاعت كل قدرة على أن تساير خطا الارتقاء .

٥ — المدنية صورة للمؤهلات القومية.

تنحصر المؤهلات القومية فى مجموعها في القدرة على تغيير أساليب الفكر والمعتقد على حسب ما تتطلب الظروف وما تقتضى الحاجات

فالمؤهلات القومية هى لدى الواقع الاصل فى الصورة التى تتصور بها المدنية ، والقالب الذى تصب فيه حضارة امة من الامم . ومن هنا كانت تلك الخلافات الشديدة التى تباين فيها أمة أخرى فى التكوين المدنى

ولا جرم أننا لا نستطيع ان نقيس المدنيات بمقياس يتخذ قاعدة للحكم على المدنيات . ذلك لان هذا القياس لا بد من أن يكون مبدأ تعترف كل الامم بانه المثل الاعلى للمدنية . ولا شك فى أن الباحثين لم يتفقوا على مثل أعلا يتخذ للمدنية قياساً يقاس عليه . لهذا وجب علينا أن نرجع الى الصور الظاهرة فى المدنية أجلى ظهور ونحكم من ناحيتها فى صور المدنية ، فنقضى لهذه الصورة أو لتلك على مقتضى ما تظهر الامم من قدرة على مسايرة مقتضى الحالات التى تجد فى أفق الاجتماع الانسانى . ولا شبهة عندى فى أن المقياس الحقيقى ينحصر فى قدرة الامم على تغيير أساليبها التفكيرية والاعتقادية ، لان ذلك فى الواقع دليل على مرونتها وتقبلها لمختلف الاساليب التى يمكن أن تفوز منها باسلوب يمهدها سبيل التفوق فى ناحية بعينها من نواحى المدنية .

٦ — النشاط والكمون فى طبائع الامم

غير أن النشاط والكمون فى الامم تختلف نسبته . فهناك أمم سريعة الانبعاث الى النشاط ، ولكنها بجانب هذا تكون سريعة الانكماش والكمون ، وأمم أخرى بطيئة النشاط تدرجية السير فى بناء المدنية ، ولكنها بجانب هذا تكون بطيئة العودة الى الكمون . والمصريون ولا شبهة مثال الطابع الاول والانجلوسكسون مثال الطابع الثانى . ولا يفوتنا هنا أن نقرر أن الشعب الانجليزى من أبطأ الشعوب التى ظهرت فوق الارض نشاطاً الى المدنية ، ولكنه سيكون من ابطئها رجوعا الى حالة الكمون.

ولا شبهة عندى مطلقا فى أن هذه الظاهرات تدل على مقدار ثبات الصورة المدنية وانحلالها على مقتضى ما يكون للشعب الذى يصورها من سرعة

النشاط أو الاستكانة والكمون . فلديك شعوب عاشت عصوراً طوالا وهى عاكفة على صورة بعينها من صور المدنية ما أثر فيها مؤثر خارجى أو ذاتى الا وتغلبت صفة الثبات القائمة فيها والمستمدة من صفات الشعب الذى صورها على كل عوامل الانحلال التى انبعثت فى عصر من العصور . ولديك شعوب أخرى توالت عليها دورات النشاط والثبات ، كأنها على مسرح من مسارح الالعاب الذى تقاس فيه أعمار الناس بالساعات لا بالسنين والاجيال

وهذه الظاهرات تدل دلالة واضحة على ان الصفات الاصلية فى الشعوب لن تموت ولن تنحل ولكنها تكمن حينا لتظهر مرة اخرى لابسة صورة مدنية جديدة تنصب فى القالب الذى تسمح به ظروف الحالات الاجتماعية والمدنية

٧ — مصر فى الميزان.

ان المقدمات التى قدمنا بها فى هذا المقال يمكن تطبيقها على حالة مصر الماضية والحاضرة . ولست اريد بما ضربت من الامثال التاريخية ان اقع فى خطأ كثر ما وقع فيه الكاتبون. لا اريد ان استدل بالماضى على الحاضر ، بل اريد ان استدل بالحاضر على الماضى . ذلك لانى اعتقد اعتقاداً جازما بأن الحاضر هو مفتاح الماضى وان عكس ذلك غير صحيح . انما سقت ما سقت من الاستشهادات التاريخية على اعتبار انها وقائع ما قصدت بها مطلقا ان اطبق الماضى على الحاضر بل استدلالات اردت من طريقها ان اثبت من ناحية ما صح فى التاريخ بنظريه ومن ناحية اخرى صحة نظرية اعتنقها وادافع عنها.

لقد ظلت مصر ازماناً طويلة مصدودة عن ان تهيء لصفاتها الكامنة جواً تستطيع ان تنشط فيه وتكون من طريق نشاطها الذهنى مدنية تصبها فى القالب الذى تصل بها اليه مؤهلاتها .

اما اذا رجعت إلى المسألة السياسية المصرية فانك تقع فيها على ما يؤيد هذه النظرية بما لا سبيل الى ادحاضه باية طريق من طرق التدليل . فان صيحتنا للحرية والاستقلال على مايعتورهما من النقص وعلى ما يحف بهما من الضعف فى بعض الاحيان لدليل ناطق وبرهان حى على ان صفاتنا الكامنة قد أخذت تنشط من عقال القرون وان قدرتنا على تقبل الاساليب الجديدة

اخذت تفكك تلك القيود التى صدتها عن الانبعاث فى سبيل التقدم القرون الطوال . وعندى ان هذه الظاهرات فى مجموعها راجعة الى ان الجو الذى يمكن ان تنشط فيه صفات الشعب المدنية قد تطهر بعض الشىء مما تراكم فيه من غبار الاستبداد والعسف وزوال النظامات العتيقة التى من شأنها أن تعقل الفكر وتصد موجة النشوء عن ان تبعث الصفات الكامنة لتنشط وتؤتى ثمراتها الطيبة .

لهذا لا ندعو الى تغيير أساليب الفكر . فان هذه الدعوة فى ذاتها خطأ محضاً . ذلك لاننا اخذنا بالفعل نغير من اساليبنا الفكرية على الرغم مما يصدنا عنها من العقبات . بل ندعو الى توجيه الفكر فى طريق يجعل اختياره للاسلوب الحديث الذى يعكف عليه قائما على الحرية التامة وعلى قدر ما تقبل مؤهلات الامة الكامنة فى العصر الحاضر .

يكفينا الآن ان نعمل على تحرير الفكر ليكون اختياره للاسلوب الذى يرضاه غير مقيد بشىء مما تقيد به خلال العصور الاولى .

فالى الحرية ندعو والى حرية الفكر على الاخص نعمل قانعين بان العمل فى هذه السبيل هى خير ما توجه فيه الامة نهضتها الحديثة .

اسماعيل مظهر

لا تقطفيها

لا تقطفيها فرب زهر يحنو عليها ويرتجيها !!
لا بد من عاشق رواها بدمعه واستهام فيها . . .

* * *

أخاف ثأر الزهور منا إن جئت يوما لتقطفيها
أخاف أن يعتدى غبى يفرق الأخت عن أخيها

* * *

تأمليها تأسى عقولا للحسن تصبو تأمليها
الحسن فيك يزيد عنها لا تقطفيها !! لا تقطفيها !!

حسن كامل الصيرفى

الفيلسوف الفارسى

عمر الخيام

— ١ —

نشرنا فى غير هذا المكان من العصور النبذة الاولى من ترجمة رباعيات عمر الخيام التى نشرها حديثاً السيد الزهاوى شاعر العراق المعروف . وقد حركت فينا هذه الترجمة الجديدة شهوة البحث في تاريخ رباعيات عمر الخيام، وهي شهوة طالما رجعتها النفس حيناً بعد حين . ففى سنة ١٩٢٦ وكنت لا ازال بريف مصر بعيداً عن جلبة المدنية القاهرة، كتبت فى أبى العلاء المعرى مقالا نشرات ذاك واختتمته بهذه الكلمات

« ولعله تتاح لنا فرصة أخرى نوفى فيها هذا البحث حقه ، ونقارن بين فكرة أبى العلاء الفلسفية وبين فكرة عمر الخيام ، فان ذلك يظهرنا على شىء من طبيعة الفكر الانسانى وكيف تتنقل الفكرات من جيل الى جيل متدرجة فى أشكال من التغيير لا نهاية لتنوع صورها.

ومضيت من ثم أدرس أبا العلاء ، مكباً فى ذات الوقت على رباعيات الخيام استعمق فى درسها ومقابلة التراجم التى ظهرت فى اللغة العربية . فلما وصلت الى يدى ترجمة السيد الزهاوى عادت الى ذاكرتى كل ما استوعبت من فكرة فى الخيام وأخذت أتردد فى متابعة الدرس حينا وتركه حيناً آخر، حتى صحت عزيمتى على أن أبدأ به .

غير انى لا أكتم القارىء انى كلما استعمقت فى دراسة الخيام بان لى أن المقابلة بينه وبين المعرى صعبة المنال — ان لم تكن متعذرة تماما . والسبب الاكبر فى هذا أنك لا تستطيع أن تقف على حقيقة الرباعيات ، كما هي بين يدينا اليوم ، وان تستخلص منها ما كان للخيام، وما كان منتحلا . فالتراجم تختلف اختلافا كبيراً . واختلافها يرجع الى مصادرها الأصلية . وكذلك عددها يختلف اختلافا شديداً ، سواء فى الاصول الفارسية أو فى التراجم.

التى ظهرت فى مختلف لغات العالم . ثم انك بعد هذا واقع فى إشكال أنكى من هذا وأشد فعلا فى عواطفك وأسلوب درسك، إذ تعلم أنه يستحيل عليك أن تعرف الاصل الذى نقل عنه كل المترجمين . ناهيك بان أقدم أصل للرباعيات عثر عليه فى الفارسية يرجع الى عهد يبعد عن عصر الخيام عدة قرون من الزمان .

ولو أردت أن أذهب بك فى سلسلة طويلة من هذه الاعتبارات لفعلت. غير انى لا أجد لهذا من مسوغ فى بحث انتقادى أدبى فلسفى سوف لا اتورط فيه الى تمضيل أو تعزيز أحد فى موضوعه بل سأكون من هذه الناحية محايداً تماماً، أبدى الفكرات والملاحظات ثم لا انتصر الى احداها.

والحق انى حتى الساعة لم ارتسم طريقاً أسلكه فى درس الخيام ورباعياته، ولعلنى عما قليل مهتد الى الطريق الذى يخيل لى انه امثل طريق واقوم سبيل . ويكفى اليوم فى هذا المقال ان اخلص فى النهاية بشرح ما حملنى على أن اضع القارىء فى موضع الشك من رباعيات الخيام قبل ان ابدأ بدرسه. والسبب فى هذا ان الخيام لم يعرف فى العصور الحديثة لدى قراء العربية الا منذ عهد قريب . على انى لا اذكر ايضاً ان رباعياته قد عرفت لدى العرب فى عصورهم الاولى اعتماداً على ما وصل الينا من كتب الادب القديم . وجل ما عرف عنه ، وذلك على قدر ما وصل اليه علمى ، تراجم واخباريات مقتضبة لا تغنى فى دراسة الخيام شيئاً . لهذا أبدأ اليوم بسرد ما وقعت عليه من تاريخ الرباعيات فى أوروبا وأمريكا توطئة للكلام فيه وبحثه على النهج الذى حددته من قبل.

* * *

وقع فى سنة ١٨٥٩ ، وهي نفس السنة التى طبع فيها كتاب « أصل الانواع » المعروف ، انه نشر ادوارد فتزجرالد — Edward Filz Gerald كتيباً وسمه بانه ترجمة أشعار لكاتب فارسى ، لم يكن قد عرف عنه من شىء فى عالم الادب الغربى على الاقل . ولقد طبع هذا الكتيب الصغير على قدر ما يتسع لامثاله من الاهمال وعدم الاكتراث ، فكان بضعة وريقات

صغيرة لا تتجاوز عدد صفحاتها الاربع والثلاثين صفحة، لا يجد فيها قارىء الانجليزية الا خمسة وسبعين مقطعاً شعريا فى صورة رباعيات نسبت الى « عمر الخيام الشاعر الفلكى الفارسى » . ولقد خرج هذا الكتاب من آلة الطباعة ميتاً مكفناً ، لا ينتظر من شيء إلا الدفن والنسيان الابدى . وأخذ ناشره ينقص من ثمنه المرة بعد الاخرى ، حتى بلغ ثمنه « بنساً » انجليزيا واحداً، ومع كل هذا فقد عافه القراء وانصرف عنه الادباء.

بعد هذا التاريخ بعدة سنوات — ١٨٦٧ — تشجع مترجم السفارة الفرنسوية فى طهران، مسيو نيقولا ، وقد سمع من رجال البلاط الفارسى ما لعمر الخيام عندهم وفى الادب الفارسى من منزلة، فنشر الرباعيات بعد أن ترجمها ترجمة حرفية مع المتن الاصلى منقولا على مطبعة حجر فى عاصمة فارس. وفى السنة التالية لهذه الحادثة أعاد « فتزجرالد » طبع رباعياته بعد أن نقحها وزاد اليها فكان عدد رباعيات هذه الطبعة مائة رباعية ورباعية . ولقد ذكر « جون باين» أن هذه الطبعة قد اهملت أيضاً ولم تستلفت نظراً أحداً من الناس .غير ان مد الفكر قد بدأ يغير اتجاهه من بعد ذلك .وبدأ «فتزجرالد» يتبوأ المكانة التى تبوأها فى عالم الادب الحديث . ولم نأت سنة ١٨٧١ حتى طبعت لثالث مرة وظلت تباع ثلاث سنوات بيعاً مطرداً بسعر لا يتصوره احد اذ بيعت النسخة بثمانية شلنات انجليزية الا قليلا . وبدأ عشاق الفيلسوف الفارسى يبحثون عن نسخ الطبعة الاولى التى كان يلقيها مؤلفها فى سلال المهملات كلها عثر بواحدة منها ، حتى بلغ ثمن النسخة الواحدة ستون ليرة انجليزية ، ولم تكن نسخ الطبعة الثانية لتقل عن الاولى قيمة . هذا بعد ان بيعت ببضع بنسات فى اسواق لندن وزهد فيها القارئون .

وظهرت فى امريكا طبعات لترجمة « فتزجرالد» فكسيت بحلول التبر وجلدت بأثمن ماجادت به الصناعة من فاخر الجلود المرا كشية . بل لقد حلت فى القلوب محلا لم يفخر به سوى الانجيل فى قلوب النصارى والقرآن فى قلوب المسلمين .

ولا تلبث على هذا غير قليل حتى تجد أن « النادى المدرى » قد تكون

فى لندن ، واصبح عمر الخيام قبلة فئة من كبار ادباء الانجليز،ما كانت الدهشة لتبلغ باحد ممن عهدهم مبلغها من فتزجر الد ،بل ومن عمر الخيام نفسه، لو انهما رأياهم وهم فى حالهم هذا .

وتوالت بعد ذلك الترجمات. ولقد ذكرنا من قبل خبر نيقولا ، مترجم السفارة الفرنسوية فى طهران . وهذا بلغت ترجمته ٤٦٤ رباعية .ونقلت هذه الترجمة الى الانجليزية منذ عهد قريب . وظهرت بعد ذلك ترجمة المانية،هى على مايقول نقاد الانجليز من اوثق الترجمات التى ترجمتها الرباعيات، نقلها الأديب بودنستيد » — Bodenstedt — وطبعت عدة طبعات متوالية . اما فى اللغة الانجليزية فاحسن الترجمات التى اعترف لها أدباء انجلترا هي ترجمة «ونفيلد» — Whinfield — فى ٥٠٨ رباعية ومعها المتن الفارسى ، وترجمة جون باين John payne فى ٨٤٥ رباعية من غير المتن الاصلى ، وترجمة هيرون الن — Allen — Heron —وتحتوى طبعة هذا المترجم على صورة صفحة من اقدم نسخة عثر عليها من الرباعيات . وتحتوى على ١٥٨ رباعية. ويوجد في الانجليزية ترجمات غيرهذه نذكر منها ترجمة جونسون باشا، وترجمة شرو بسول .

***

اما اذا رجعنا الى المخطوطات التى حفظت من رباعيات الخيام فى لغتها الاصلية، وجدنا أنها بغير استثناء بعيدة عن عهده . اما اقدمها فالمخطوطة التى اعتمد عليها الأديب «هيرون الن » وهى محفوظة فى مكتبة « بودلى » با كسفورد . وتحتوى على ١٥٨ رباعية فقط، وقد كتبت فى شيراز سنة ١٤٦٠ ميلادية ، ومعنى هذا أنها نسخت بعد موت المؤلف بما لايقل عن ٣٥٠ سنة. اما المخطوطة المحفوظة فى المكتبة الاهلية بباريس فتحتوى على ٣٤٩ رباعية ومؤرخة فى سنة ١٥٢٧ ميلادية،أى بعد موت المؤلف باربعة مائة سنة تماماً. وفى المتحف البريطانى مخطوطة أخرى عدد رباعياتها ٥٤٠ ويرجع تاريخها الى سنة ١٦٢٧ ميلادية،أى بعد موت الخيام بخمسمائة سنة .

ويلاحظ هنا أن عدد الرباعيات يزداد بنسبة بعد زمانها عن زمان المؤلف بصفة مطردة، حتى انك تجد أن النسخ التى طبعت على الحجر فى العهد القريب قد بلغت رباعياتها الالف أو تزيد . ومن هنا نتحقق ان هذه الرباعيات لايمكن أن تكون جميعها من قلم الخيام وحده . ولا يجب أن نقف ازاء هذا الامر عند حد هذا الاستنتاج وحده . فقد زعم بعض الكاتبين أن عمر الخيام. الفيلسوف الشاعر الفلكى الكبير ، لم يكن ذا منزلة عند اهله وبين عشيرته. اما اهتمامهم برباعياته الخالدة فدليل ناطق على فساد هذا الزعم الغريب . لان التقليد اذا أخذ على أنه اخلص شىء يعبر به الناس عن حبهم لشخص اولشىء ما ، فان لدى الخيام من علائم هذا الحب ومظاهر هذا التبجيل قدر لايفخر بمثله غيره من الشعراء والادباء . فما بالك وهذا القدر يزداد على مر السنين وكر الأعوام .

***

فضلا عن هذه المخطوطات الكثيرة ونسخ الطبعات الحجرية ، التى تنسب جماعها الى عمر الخيام ، فانك تقع على عدد من الرباعيات لاتقل عن المائة عداً ، تدعى عند الادباء الرباعيات المنتحلة ، وهذه يعزوها البعض لعمر ، كما يعزوها غيرهم إلى مؤلفين أخر . وهذه المائة من الرباعيات المنتحلة موجودة فى الاصل الذى اعتمد عليه نيقولا الفرنسوى . اما اقدم المخطوطات، وهى المحفوظة بمكتبة بودلى با كسفورد فلا تحوى من هذه الرباعيات الا أربعة عشر رباعية. أما أثبت أدباء الانجليز قدماً وهم المحترم دكتور « وير » — Wier — فيقول بان هذه الرباعيات الأربعة عشرة ظاهرة الانتحال . أما القول بأن عمر الخيام هو منتحلها كما يقول بعض الباحثين ، فما لا يقبله العقل . ذلك لان الطريقة الرباعية فى الشعر لم يتبكرها الا الشاعر المعروف « ابو سعيد بن ابى الخير » الذى عاش فى عصر يتقدم عصر الخيام بسبعين سنة فقط. وجل ما فى مستطاعنا ان نستثنيه من هذا الحكم ، فتلك الرباعيات التى تنسب مرة الى الخيام واخرى الى ذلك

الرجل الذى يستطيع الخيام ان يقتفى خطاه وان يلبس لبوسه بسهولة . اذ كان ، كما كان هذا ، فيلسوفاً ورياضياً معا . وما نعنى به الا الفيلسوف الاعظم « بن سينا»

والحقيقة ان هنالك باعثا قويا يحمل متأخرو الشعراء على ان ينسبوا اشعارهم التى ترمى الى التجديف والهرطقة الى من سبقهم من عظماء الرجال . لان الآراء التى كان من الممكن ان يبشر بها فى ظلال حكم مثل حكم السلاجقة وكان فيه شىء من التسامح ، كانت ولا شك تجعل رأس الشاعر معلقة فى ميزان القدر بين الارض والفضاء الاوسع فى حكم من عقبهم فى الاسر المالكة. غير ان هذا العهد لم يدركه الخيام . ومن حسن الحظ ان هذا العهد ادرك الخيام وهو ناو بين الجنادل فى رى نيسابور وكانه يناجى الطبيعة بقوله:

آه لو كنت بعد الف والف فى حؤول تقفو خطا يوم حتفى
فى ترابى اظل كالنبت حياً فاحيى الربوع والاطلالا

***

ويزيد بعض النقاد على هذا ان الرباعيات التى يقرب زمانها من زماننا والتى طبعت على الحجر ، لا تقتصر منافسها على انها بعيدة عن عهد المؤلف بعداً كبيراً . بل ان اختلافها من حيث الاسلوب والمعانى عما ورد فى الرباعيات الاقدم منها عهداً ، قد جعلها ادخل فى باب الشك . وعلى الاخص اذا تذكرنا قول المحترم مستر « وير » — اذ قال « بان اللغة الفارسية غير قابلة للتحوير بل هي من اللغات الثابتة الاصول . وهي من حيث ثباتها تشابه شرائع الميديين او الفارسيين القدماء التى ضرب بها المثل فى الجمود » ولا جرم ان نقاد الادب الفارسى ومنهم العلامة «سايس » — Sayce لعلى اعتقاد ثابت فى ان الاديب الفارسى الذى يعيش اليوم وفى القرن العشرين يشبه من حيث الاسلوب والمعنى اديب فارس الذى عاش منذ ٨٠٠ سنة مضين.

اما اذا تركنا البحث اللغوى ورجعنا الى المقارنات القياسية فانا نجد أن مخطوطة جامعة « بودلى » با كسفورد لاتحتوى على سطر واحد وعددها ١٥٨ رباعية — يمكن أن يفضح لك سر عقيدة كاتبها الدينية . وأنت اذا قرأتها لم تستطع ان تحكم فى صاحبها حكما قاطعاً ، أهو مسلم أم يهودى أم زرادشتى أم نصرانى . اما الرباعيات التى تتأخر من حيث الزمان وتنحدر مقاربة لزماننا هذا ، فليست من هذه الروح . فان كثيراً منها ، لا يمكن ان يكون قد خرج الا من عقلية رجال مسهم الدين الاسلامى فى الصميم .

***

ويذكرنى عمر الخيام فى موقفه هذا من تلاميذه ومريديه ، بالفيلسوف أبيقور اليونانى . فكلاهما ظلم وكلاهما ضاعت آثاره ليتسع لمن بعده مجال الدس عليه والافتراء .

جاء فى كتاب تاريخ الفلسفة للعلامة « اردمان » مايلى

« ويعتقد أبيقور ان الخير الحقيقى فى تحصيل اللذة ، وان كل الفضائل التى يمتدحها المشاؤون ، ارسطو واتباعه ، ليست بذات قيمة الا من جهة ماتؤدى اليه من الملاذ . وقد يعرف اللذة تعريفاً سلبياً بانها التحرر من الالم ، وانها قد تأتى من طريق التأمل العقلى ، وان اللذة فى الواقع حيازة أكبر قسط ممكن من المتعة التى يسعى الانسان الى تحصيلها ولو تحمل فى سبيلها ألماً . ولان اللذة التى يسعى اليها لاتأتى الا بالتبصر وإعمال الفكر ، دعاها اللذة النفسية أو لذة الروح . غير أن الباحث اذا تدبر جميع ماينطوى تحت عنوان تلك اللذة النفسيه ، فانه يشك فى أن الابيقوريين ينزلون من الناموس الادبى منزلة أمثل من منزلة السيرينيين مع تفضيلهم اللذة الحسية . فان من معتقدات ابيقور أن الفضيلة انما يتبعها العاقل لا لذاتها ولكن كوسيلة للذة ، وانه اذا خيل للعاقل ان الاستغراق فى اللذة البهيمية والافراط فيها قد ينجيه من الخوف ، ويبعده عن متاعب الحياة ، فله أن يكب عليها ، وان هذا الاحساس ذاته هو الذى يجعل العاقل يعيش فى نظام مدنى ، أو يخضع لسلطة ملكية ، وهو الذى يحمله على احترام القوانين » .

وقال العلامة « اردمان » بعد ذلك — وهو ماتقصد اليه من استطرادنا هذا :

« ان حياة أبيقور العملية كانت أرقى من نظرياته فى استباحة الملذات . على ان أبيقور فضلا عن استغراقه فى المادية ، كان حسن السيرة عفيفاً فاضلا ، اتبع من مذهبه الاخلاق فكرة تحصيل اللذة من طريق الألم فكان مثالا من الفضيلة يناقض الامثال التى وضعها اتباعه ، حتى أصبحت الفلسفة الابيقورية قاصرة فى مدلولها على ماامتدح اتباعه من مذهبه الاخلاق ، حيث وجدوا فى نظرياته ماستباحوا به لانفسهم ماستباحوا » .

ولقد أراد الخيام أن يضع رباعياته ، على مانتخيل من شأنه ، تأملا فى حقيقة الوجود والحياة الانسانية ، بعيدة عن منازع الاديان ومفارقاتها البعيدة ، فلم يرد الذين نسجوا على منواله ودسوا عليه الا ان يكون فى مظهر المسلم ، لابساً ثوباً لم يرد أن يلبسه ، ومصبوغا بصبغة لم يردها لنفسه .

وكذلك كان أبيقور . فأين لذة الروح التى عكف عليها ، من لذة الجسم التى أكب عليها أتباعه وأصحاب مذهبه الفلسفى من بعده ؟

* * *

بعد الذى أدلينا به من القول فى رباعيات عمر الخيام ، وبعد المقارنات التى استطعنا أن نقف عليها وسرد ماعثرنا عليه منها ، لانظن أن أحداً من النقاد قد يتورط فى لومنا اذا نحن قضينا بان عمر الخيام الشاعر ، لايمكن أن يعرف الا من مخطوطة مكتبة « بودلى » باكسفورد . اما كل الرباعيات التى ترجمها نيقولا وبودنستيد وويننفيلد وباين وغيرهم ممن عنوا بترجمة الخيام عن مخطوطات يرجع تاريخها الى مابعد تاريخ مخطوطة مكتبة « بودلى » أو من نسخ مطبوعة على الحجر ، فيجب علينا أن نطرحها جانباً . ذلك لأنه من أعق الاشياء للبحث العلمى الصحيح أن تنقب فى الرباعيات ثم تقسمها الى صحيحة ومشكوك فيها ومنتحلة بالفعل ، كما يفعل الباحثون فى الاحاديث . فليس لدينا من ضابط معين أو دستور محكم للبحث يعيننا على ان نفرق بين ما كتب الخيام وبين مالم يكتب ، أو بين مايمكن أن يكون له ، وبين مايمكن

ان يكون قد دس عليه غيره من الشعراء . وموقفنا فى هـذا كموقفنا ازاء القصائد العديدة التى تنسب زوراً الى الجاهليين، او كموقف الانجليز ازاء شكسبير ، او موقف العالم الأدبى كله ازاء الياذة هوميروس . ومهما يكن من امر هذه الابحاث ، فعندى أنه من الواجب أن نكتفى بمخطوطه مكتبة « بودلى » وان نتخذها اساساً لبحث رباعيات الخيام . هذا حد الامكان . فانها اقرب المخطوطات عهدا لعمر الخيام . والفاصل الزمانى ٣٥٠ سنة « فقط » . يجب أن نقنع بهذا مرغمين ، ولا بد مما ليس منه بد .

***

ولقد اعتمد الاديب « فتزجرالد » فى ترجمته على مخطوطة مكتبة « بودلى » من جامعة اكسفورد . لهذا وجب علينا ان نتخذه اساساً لدرس الرباعيات . ولكن من سوء الحظ نجد كثيرين من ادباء الانجليز وفيهم نخبة من أهل الشهرة وبعد الصيت ، يقولون بان الرباعيات التى ترجمها فتزجرالد ، وأن أدت بنا الاسانيد التى تقع بين ايدينا على انها اقرب ما ينسب الى عمر الخيام، فانك إذا قرأتها فى الانجليزية فانك لاتقرأ الخيام ، ولكنك تقرأ فتزجرالد . فمثلا يقول المحترم مستر « وير » انك فى اكثر من نصف الرباعيات لاتعرف اذا قابلتها بالاصل ايها يقابل الرباعيات الأصلية » .

ولا جرم اننا لانستطيع بعد هذه الافاضة ان نذهب بالقارىء فى بحث جديد نتطرق اليه ، وقد يطوح بنا فى عدد كبير من صفحات العصور . لهذا نتركه فى هذه الحيرة لنعاود واياه البحث فيما بعد . وموعدنا الاعداد التالية

رباعيات الخيام

مترجمة بقلم فيلسوف العراق

السيد جميل صدقى الزهاوى

— ١ —

نتشر فيما يلى رباعيات الخيام كما ترجمها فيلسوف العراق المعروف السيد جميل صدقى الزهاوى . توطئه لدراسة مستفيضة نتناول فيها مقارنة التراجم التي ظهرت حتي اليوم لرباعيات الشاعر الفارسى المشهور ، ثم نقابلها بالترجمة الانجليزية لفتز جرالد ، وهى الترجمة التى اعترف بأنها أدق التراجم الانجليزية. كل هذا بعد أن نشرح باستفاضة مادار حول الرباعيات من مناقشات الادباء والفلاسفة الذين وقفنا على كلام لهم فى هذا الموضوع

وقد قسم السيد الزهاوى ترجمته الى ثمانية أقسام سننشرها تباعاً فى العصور ونبدأ اليوم بترجمة ما قال فى الخمر ، بعد أن ننبه على أن السيد الزهاوى لم يكتف بأن يضع بين أيدينا الترجمة العربية وحدها ، بل زاد عليها الاصلى الفارسى مع ترجمتها نثراً ، وهى طريقة لم يتبعها غيره حتى الآن .

* * *

١ — فى الخمر

— ١ —

اغتنم العشب فهو اخضر غض وترشف كأس لحميا عليه
قبلما يبدو العشب أخضر غضاً من تراب يوماً تصير اليه

— ٢ —

اسقنى كأساً فهي تعدل عندى الف دين وألف ملك وطيد
ليس من مرة سواها تساوى الف حلو فى كل هذا الوجود

— ٣ —

انما الراح وهى فى الكأس تبدى لمعاناً روح بجسم تجلى
وكأن الكأس التى قد حوتها ماءة بالنار المضيئة حبلى

— ٤ —

لا اعاف السلاف مادمت حياً قد اصاب ارتياحهم شاربوها
انى قد حسوتها قبل هذا وكما قد حسوتها احسوها

— ٥ —

اشرب الراح مدمناً ثم انى لا ابالى كفراً ولا إيماناً
قلت للدنيا ماصداقك قالت هو ان تستمر بى جذلاناً

— ٦ —

عفت زهدى وكل تلك الوساوس ولزمت الحانات بعد المجالس
وعسى ان اعيد فيهن عمراً كنت قبلا اضعته فى المدارس

— ٧ —

بالحميا احيا فياطيب يوم فيه عقلى من الحميا يضيع
ويقول الساقى الاهاك اخرى وانا للعياء لا استطيع

— ٨ —

حبذا خمرة تحرر نفسى من هموم تعضها كالكبول
حيهل يا صاحبى على الراح كيما نطلق الروح من قيود العقول

— ٩ —

ان نضحت الطود الاثيم بخمر رقص الطود ناشياً جذلانا
اننى لا انوب ما عشت عنها فهى روح يهذب الانسانا

— ١٠ —

ما على هذه البسيطة خير من عقار يلذها الشاربونا
عجب لى من بائعيها فيه افو ضل مما باعوه ما يشترونا

— ١١ —

لايتم الضوء الا بخمر للذى للشعار فى الحان يرعى

اسقنيها فان ثوب عفافى شق حتى لايقبل الشق رقعاً

— ١٢ —

امنحونى من السلافة قوتاً واجعلوا وجهى يشبه الياقوتا
واذا مت فاغسلونى بخمر واتخذوا لى من كرمة تابوتاً

— ١٣ —

انما العيش ان تعاقر خمراً ما لهذا الشباب فيك ثبات
هو ذا الورد والرفاق سكارى فاغتنم شربها فذاك الحياة

— ١٤ —

انا فى ميعة الشباب ساحسو خمرة عرفها من الطيبات
لا تعيبوا تلك المرارة فيها إنها مرة كمثل حياتى

— ١٥ —

اننى ان صحوت يزداد همي واذا ماسكرت ينقص عقلى
انما بين الصحو والسكر حال انا فى غمتى بها متسلى

— ١٦ —

قد اتانى من حانة القوم سوط فى بياض الصباح يغرى النفوسا
قائلا : قم نشتف كأس الحميا قبلما يصنعون منا كؤوساً

— ١٧ —

انا ان لم احس السلافة يوماً كان للهم فى فؤادى دبيب
قيل لى تب فقلت ان كان ربى لم يشأ توبتى فكيف اتوب

— ١٨ —

ارتشفها ولا تؤمل وراء الموت نشراً منع الطبيعة دونه
انت ياعمر لست بالتبر حتى يخرجوه بعد مايدفنونه

— ١٩ —

قيل لى الحور فى الجنان حسان قلت خير منها ابنة العنقود

فخذ النقد ذا وذر كل وعد يحسن الطبل صوته من بعيد

— ٢٠ —

ارتشفها فانت من بعد حين فى حفير تحت الثرى تتغيب
لست تدرى من أين جئت الى الـ ـدنيا ومنها يوما الى أين تذهب

— ٢١ —

حاسب النفس فالكياسه أن تع رف ماذا جلبت ماذا صرفتا
قلت عنها أعف اذ سوف أردى سوف تردى شربتها أم عففتا

— ٢٢ —

انت ان لم تحس الحيا فلا تطـــعن بمن يحسوها وقد كان حرا
تدعي الفخر فى مجانبة الخمر وتأنى ماكان منها أضرا

— ٢٣ —

اتخذ جنة لنفسك فى الدنيـــا من الخمر واغتبط بجناها
أنت لا تدرى تلك ان هى حقت أتراها هناك أم لا تراها

— ٢٤ —

أشربنها فانت لست من الوســواس تنجو الا اذا ما شربتا
أنت بعد الرحيل مالك عود فاذا ما ذهبت يوماً ذهبتا

— ٢٥ —

اسقنيها فانى لست أدري أى يوم احل فيه حفيرى
ربما جاء الموت بين شهيق لى على حين غفلة وزفير

— ٢٦ —

جاء بالامس من هديت بكأس وهو يلقى على نظرة حب
قال لى خذها من يدي واحسوها قلت لا أحسوها فقال لقلبى

— ٢٧ —

متع النفس بابنة الكرمة الغبيـاء وأنعم بعوفرها والجمال
أقرب البنت بالحرام ولا تقرب من الأم ساعة بالحلال

— ٢٨ —

ارتشف خمرة ولا تتفكر فى حياة مصيرهـ انفاد
احر بالعمر — خلفه الموت — ان يصرف فى حال السكر أو فى الرقاد

— ٢٩ —

يا رفاقى ان ضمكم يوم خمر فاذكرونى فى غيبتى واشربوها
واذا ما أدرتم الكأس فيه وأتت منها نوبتى فاقلبوها

— ٣٠ —

علم الله قبل خلقى انى أشرب الخمر ثم لا اتخلى
فاذا ما منعت نفسى منها كان بى علم الله من قبل جهلا

— ٣١ —

انا بالراح وحدها متأسى لا أمد اليمين الا لكأس
ان اكن أعبد الحميا فما أعبد يوماً للجهل مثلك نفسى

— ٣٢ —

إنما الناس إن أبوا على الصلح فانى على الوغى ذو جساره
انها خمرة عتاق فمن لم يجترعها فرأسه والخياره

— ٣٣ —

أيها المنتى نحن أتقى وأصحى منك لا تقسو مثلنا أنت تقسو
أنت تحسو دم الانام وانا لدم الكرم وهو فى الجام نحسو

— ٣٤ —

انظر العشب الغض واشرب عليه خمرة تنسى شاربيها الشجونا

ليت شعري اذا بدا العشب يوماً من ثرانا فمن هم الناظرونا

— ٣٥ —

كنت يوماً سألت شيخاً عن الما ضين والشيخ نضو سكر يميد
قال لى أشرب كأساً فان كثيراً مثلنا قد مضوا ولا يعودوا

— ٣٦ —

ارتشفها ولا يغرك وعد بجنان خضر وحور وولد
فذر الوعد واحسب النقد غنما ان نقداً أحب من ألف وعد

— ٣٧ —

لا تفكر فى جنة وجحيم وأطردن الاوهام عنك بكأس
من ترى زج فى الجحيم ومن ذا جاء يوماً من جنة الفردوس

— ٣٨ —

اصطحب إبريقاً وكأساً ويمم روضة زهرها يسر النفوسا
رب قد لدن لهيفاء رود صار ابريقاً ثم صار كؤوسا

— ٣٩ —

أطو كشحاً عن العلوم جميعاً أى نفع من العلوم أتانا
ثم أوسع دم الابارق سفكا قبل أن يسفك الزمان دمانا

— ٤٠ —

خمرة ان واصلتها ارتاح فكري واذا ما هجرتها ضاق صدرى
إننى أخشى أن يعدوا زماناً لم أذق فيه طعمها من عمرى

— ٤١ —

طلع البدر فأشربن على اضوائه خمرة تسر الجنانا
فكثيراً ما سوف يطلع هذا البدر من بعدنا وليس يرانا

— ٤٢ —

أيها الساقي ليس بالوقت مهل فاغتنم فرصة المسرة واطرب
اى شيء من القيامة تخشى هات كأساً فالليل قد كاد يذهب

— ٤٣ —

مدت الشمس الحبل للآكام ثم صبت سلافها فى الجام
ولقد نادي بالصبوح المنادي ملقياً للدوى في الايام

— ٤٤ —

قيل شهر الصيام امسى قريبا وستنأى عن ابنة العقود
قلت اشتفها بشعبان حتى لا ارى صاحياً ليوم العيد

— ٤٥ —

خذ من العيش في السرور نصيباً وتمتع بخمرة في حياتك
انما الله عن تقاك غنى فتفرغ منها الى لذاتك

تأملات في الأدب والحياة

بين الشرق والغرب خصومة قديمة ، يرجع اصلها الى الدم والى اختلاف النزعات التى يوجدها عادة تباين الناس فى الميول والنزعات . فاذا رجعت الى التاريخ القديم الفيت هـذه الخصومة قائمة على قاعدة تختلف عن القاعدة التى تقوم عليها الخصومة فى العصور الحديثة .

اينعت المدنيات الأولى فى جنبات الشرق وتحت ظلاله الوارفة . ففى غابات الهند القديمة ، وفى الوديان الخصيبة كوادى النيل والفرات ، نشأت اول الجماعات الانسانية التى اقامت مدنية شيدت اسسها مع المدن المسورة الحصينة . ومن طريق المدينة تكونت فكرة القومية ثم اتسعت فكانت الامم التى يجمع بين افرادها نظام ، المدنية احد مظاهرة .

لهذا كان الشرق اسبق من الغرب الى تكوين فكرة الاستعمار وغزو الشعوب التى حفت بمراكز المدنية القديمة فى وديانها الخصيبة وغاباتها الملتفة . وهنالك سبب آخر للخصومة تستبينه فى قيام الروح الدينية فى الشرق . فتحت سماء الشرق الصافية وفى براريه وصحراواته المتسعة نشأت الأديان الأولى . فنشأ فى الهند بوذا وبراهما وفى الصين كونفوشيوس العظيم وفى برية فلسطين موسى وعلى ضفاف الأردن عيسى وفى جوف الصحراء محمد . هؤلاء هم المصابيح التى اشع ضياؤها في سماء الجهالة الاولى فانارت السبيل على قدر ماالحتملت عقلية الأمم في العصور التى نشؤوا فيها . أما الغرب في ذلك الحين فلم يكن ليسترشد بشىء من هذه الاقباس ، بل كان لايزال عاكفاً على الصور الميثولوجية القديمة ، قانعاً من الحياة بأن يكون اهله قبائل لاعمل لها الا ما كان لاعراب البادية من عمل قبل الاسلام وبعده .

وكرت السنون وانقلبت آية الحياة من حياة روحانية عكف عليها الشرق الى حياة مادية ومدنية صناعية لم يعرفها الا الغرب . وهنا انقلب وجه الخصومة ، ورجعت موجة الحياة تمد من الغرب على الشرق فتغرقه فى

غمار تلك المدنية المادية فهوى في بحرها الخضم الى الاعماق .

اما اذا عرف الشرق كيف يستطيع ان يقاوم هذه المدنية المادية فهنالك يتحرر . ولا أظن أن الشرق يمكنه أن يتخلص من مخالب هذه المدنية قبل أن يمرن على انتحالها ليقاوم موجة الاستعمار الغربى بقوة مستمدة من نفس مدنيته.

* * *

ظل الجامع الأزهر ، وهو الجامعة الاسلامية الكبرى في انحاء العالم الاسلامى، في مخاض يعانى آلامه سنين طويلة . وفي ظنى أن زمان الوضع قد قرب . ولعل هذه الآلام المطويلة تحبو هذه الجامعة الكبرى بمولود جديد تقر به عين مصر وعين العالم العربى الاسلامى باجمعه .

بدأت هذه الجامعة الازهرية تشعر بآلام المخاض عندما فكر الاستاذ الكبير محمد عبده فى اصلاح الازهر ، وعندما أراد أن يدخل في برامجه علم الجغرافية والفلك وشطر من الفلسفة اليونانية التى تؤيد نظريات الاسلام، وغير ذلك من وجوه الاصلاح .ولقد اشتدت بعد هذه الحركة آلام المخاض فرمى الاصلاح الكبير بالكفر والمروق عن الدين والخروج علي السنة والكتاب .

واليوم نسمع من فضيلة شيخ الجامع الأزهر في مذكرته التى رفعها الى رئاسة مجلس الوزراء أن الدين لا يعاند العلم وأن الازهر يجب أن تحور برامجه تحويراً ابعد مدى عن التحوير الذى اراده الاستاذ محمد عبده . اليس فى طلب الاستاذ صاحب الفضيلة أن يكون علم مقارنة الأديان من العلوم الاساسية في الأزهر ، دليلا على أن هذه الجامعة كادت تخلص من آلام المخاض المطويلة وأن زمان الوضع قد قرب ؟

* * *

يفكر صاحب المعالى وزير المعارف بمجد فى انشاء مجمع علمي ، قد يطلق عليه اسم المجمع اللغوى اوالاكاديمى او غير ذلك من الاسماء . ولا

يعنينا ان يكون مجمعاً او منتدى او اكاديمى فالاسماء لاقيمة لها بجانب النظام الذى يجب أن يقوم عليه هذا المعهد الكبير.

ولا يجب أن ننسى مع تكوين هذا المعهد انه يتكون فى مصر وفى الشرق . لهذا ينبغى لنا ان نلاحظ فى تكوينه عدة اشياء :

أولا — ان أعضاء المجامع التى هي من صبغة هذا المجمع فى أوروبا يعيشون من اقلامهم ، اما فى مصر فانه يتعذر على رجل يريد ان ينقطع للبحث والدرس ان يعيش من قلمه ولو كان فى منزلة الجاحظ بلاغة وفى منزلة سحبان فصاحة .

ثانياً — يجب أن يتكون المجمع من اشخاص احبوا العلم لأجل العلم نفسه ، و أن ينتخبوا انتخاباً يتوخى فيه قبل كل شىء المصلحة العامة ومصلحة العلم والأدب ، و أن يتحرر تكوين المعهد من الاغراض الشخصية .

ثالثاً — اذا قصد ان يكون هذا المجمع لغويا وجب أن يلحق به معهد للترجمة يغذى المجمع داعماً بالمصطلحات الجديدة . هذا على ان يترك المترجمون احراراً فى وضع المصطلحات ويناقشون فيها امام المجمع وان تدون المناقشات العلمية اللغوية في مضابط يرجع اليها ، وتكون هذه المضابط في المستقبل نواة لوضع القاموس العلمي الحديث .

رابعاً — ان تهيء الحكومة اعضاء المجمع ومترجميه بكل مايضمن لهم حياة هادئة بعيدة عن مشاغل الدنيا وان تكفيهم شر الحاجة لينصرفوا الى العمل المنتج بقدر المستطاع .

هذه الاشياء الاساسية يجب ان تراعي فى تكوين هذا المعهد الكبير الذى سوف يكون ، ولو عندى على الاقل ، اكثر فائدة من مائة جامعة يدرس فيها فطاحل من امثال لالاند وغيره من العلماء الذين لايمكن ان ينزلوا الى مستوى طلبتنا ولا يمكن ان يرتفع طلبتنا الى مستواهم .

* * *

بجرنا حديث المجمع اللغوى الى التحدث عن الجامعة . فقد دارت مناقشة بيني وبين احد الاصدقاء المطلعين على حركة العلم والتعليم في أوروبا ، وكان

من رأيه أن الجامعة المصرية الحديثة لا يمكن ان تنتفع بامثال لالاند ودجوي وغيرهم من كبار الاساتذه الفرنسويين وان الجامعة ان انتفعت بمن هم فى منزلة هؤلاء من العلماء العمليين الذي يدرسون علوم النبات والحيوان والفيزيقا والكيمياء مثلا ، فانها لن تنتفع بامثالهم ممن يدرسون الآداب. والسبب من هذا ان اساتذة الآداب الذين يصلون هذه المنزلة العلما تتحجر آراؤهم وتتبلور حول مذهب معين قد يكون مبتكراً او منتحلا ، وقد يكون راجعاً الى مذهب حديث أو قديم . وهؤلاء لاينتفع بهم طلبة مبتدؤون في الدرس يجب ان يدرسوا العلم من ناحية تاريخه اولا ليقفوا على تدرج العقول فيه واوجه نشوئه وتطوره .وكان من رأى محدثى ان الجامعة يجب ان تنتخب اساتذتها من الطبقة التي يمكن ان توافق فيها مقدرتهم عقلية الطلبة المصريين على حسب كفاياتهم .

ولقد أخذت افكر فى كلامه طويلا ، ثم عجبت كيف أن هذه الاعتبارات قد غابت عن الذين اسسوا الجامعة ووضعوا قواعدها ؟ وما افترقنا الا وانا اشد اقتناعا بفكرته مما كنت قبل أن احادثه .

***

يعتمد الشرقيون دائماً على حكوماتهم فى كل الاعمال العامة.وفي حدس أن اول واجب على حكومات الشرق ان تضع هذه الحقيقة نصب اعينها .

ولدينا دليل ثابت على أن هذه الحقيقة كانت طوال الأعصر ذات اثر بالغ في حياة الامم الشرقية . فلم تنهض امة من امم الشرق الا تحت ظلال حكومة تعمل على نشر العدل واقرار الحقوق من نصابها . وهذه الحقيقة إن أمكن تطبيقها على كل الامم في الشرق والغرب ، الا ان هنالك فارقاً لاتفطن له دائماً . وهذا الفارق هو أن الغربيين قد استطاعوا أن يحوروا من نظام حكوماتهم بمحض ارادتهم ، فكانت الشعوب هي التي تكون الحكومات . اما في الشرق فان الحكومات هي التي تكون الشعوب .

***

بدأ مستر « بوزويل » الكاتب المعروف كتابه في ترجمة « صموئيل جونسون » معتذراً عن تأليف الكتاب ، قائلا ان كتابة ترجمة الرجل الذي بز كل أدباء الدنيا في الترجمة عن حياة العظماء مهمة شاقة . والحقيقة ان مهمة الكاتب كانت شاقة جداً .

وكما بز جونسون كل كتاب التراجم فى الدنيا ، كذلك بز الشعب الانجليزي كل امم الارض فى القدرة على الترجمة عن حياة عظمائه . وعندي ان هذا سر عظمة هذا الشعب . فان الرجل الانجليزي فى مستطاعه ان يقف على دقائق حياة عظمائه من طريق الترجمة عن حياتهم التى ينقطع لها فى كل عصر نخبة من الأدباء يشار اليهم بالبنان . بل في استطاعة كل انجليزي ان يكون من عظماء رجاله حلقات متتابعة تزوده بارق المثل ، وتعظه بأنكى المثلات ، وتضع امام عينه تاريخ امته العظيمة في نسيج تتعارض فى خيوطه الشخصيات العظيمة على مدى العصور

ولئن كان للشعب الانجليزي من أدب يضارع آداب ارقى الامم ، فانه يبز كل الامم ويمتاز عليها بعنايته في الترجمة عن حياة عظمائه . ولقد يخيل الى ان هذه صناعة اختص بها الانجليز ، ولعلها مستمدة من روحهم الوطنية ومن اخلاقهم القومية التى توارثوها جيلا عن جيل ، حتى انحدرت الى عصرنا هذا فكان من نتائجها تلك الامبراطورية التى يبغضها العالم — ولكنه لا يستطيع ان يستغنى عنها .

* * *

بدأنا ندرس عمر الخيام في العصور — وبدأنا نضعه فى ميزان النقد والتحليل . ولا ادري كيف يمكن ان نخلص من درس عمر الخيام بفكرة تمكن ان يكون فيها بعض الثبات ، اذا لم نعمد إلى درس امثاله من الشعراء الذين غلبت الحكمة في اشعارهم ، واخصهم ابو العلاء المعري . وكذلك سوف نكب علي دراسة عصره الذي عاش فيه . ولكن الحقيقة ان كل عصور المدنية العربية متشابهة جهد التشابه . ففيها تجري روح واحدة فاذا اختلفت في بعض الاحيان مظاهرها ، فانك تجد انه اختلاف يلابس ،

الكم لا الكيف

هذه بعض اعتبارات تواجهنا في درس عمر الخيام . علي انى اعتقد قبل كل شيء ان الاعتماد علي درس هذا الرجل العظيم يجب ان يوجه اولا الى درس نفسيته . وهذه دراسة لها فوائدها كما ان لها متاعبهـا ، ومصاعبها . غير انها علي اية حال الاساس الذي لا يمكن ان نبلغ الى درس عمر الخيـام بغيره • فاذا استطعنا ان نلخص من درس عمر الخيام بتحليل نفسيته اولا بعد ان نمهد لذلك بدرس في حقيقة رباعياته،لانها العمدة فى هذا الدرس ، استطعنا ان نصل الى شيءمن حقيقة هذه الشخصية الغامضة

***

يتساءل الناس كثيراً كيف تختلف روح البحث فى المسائل العلمية عنها في بقية فروع المعرفة الانسانية • والجواب علي ذلك من ابسط الاشياء

فان العلم بعيد عن الروح المذهبية ، فهو لا يجزم بان ما يصل اليه من النتائج مهما كانت صحة الادلة التى تقوم عليها ، يمكن ان تظل كما هى علي تتالى الدهور ، فان اول ما في اسلوب العلم من المرونة الاعتقاد بان حقائقه رهن التغير والتبديل آناً بعد آن تبعاً لما يجد فى فروع المعرفة الانسانيةمن الابحاث والحقائق • اما بقية فروع المعرفة ، وان كان في استطاعتها ان تتبع في ابحاثها الاسلوب العلمى ، الا انها الى ناحية المذهبية اقرب منها الى ناحيـة التحرر•وهذا هو السر في الفرق بين الناحيتين ، ناحيـة اليقين وناحيةالتأمل

فيلو بونس

تراجم العظماء



لامارك

جان باتيست بيير انطوان ده مونت شيفالييه ده لامارك

Jean patiste pierre Antoine de monte chevallier de Lamarck.

من أشهر من أنجبتهم الامة الفرنسوية من الطبيعيين . وليد سلالة من أشرف السلالات الفرنسوية وأضخمها مجداً . ولد فى بلدة «بارتيين» بمقاطعة بيكارديا فى أول أغسطس سنة ١٧٤٤ . وتوفى فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٢٩ .

دخل فى أوائل ايامه الكنيسة ، وقفل منها الى خدمة الجيش . وبعد قليل وقعت له حوادث أقصته عن الخدمة فى الجيش ، فصار كاتباً فى احدى البيوتات المالية وأكب فى اول عهده بدرس العلوم على الظواهر الجوية — Metéorology — ثم رغب عن هذا العلم الى النبات وحاول أن يقسمه تقسيما جديداً ففعل ولكنه لم يصادف نجاحاً . وطبع عام ١٧٧٨ كتابه فى نباتات فرنسا واقعاً فى ثلاث مجلدات وهو الكتاب الذى أخذه العلامة «دەكاندول» — de Candole — فيما بعد قاعدة لكتاباته ومباحثه . ثم انتخب بعد ذلك بقليل ليكون رئيساً لجماعة المباحث النباتية الملكية . وكتب خلال المدة التى قضاها فى منصبه هذا كثيراً من المقالات فى علم النبات نشرت في فرنسا . وبعد ان قضى من علم النبات مأربة ، اكبر على دراسة علم الحيوان . وفى عام ١٧٩٣ عين استاداً لتدريس « تاريخ حيوانات الدنيا الطبيعى » فأفاد بمباحثه هذا العلم فوائد جمة يذكرها له التاريخ فى القرن الثامن عشر أجل ذكر . ثم ظهر كتابه ـ « تاريخ ذوات الفقار الطبيعي » ـ الذى كتبه بين عامى ١٨١٥ ، ١٨٢٢ واقعاً فى سبعة مجلدات ضخام وهو من أشهر كتبه ولقد وضع في كتابه هذا ، وفى كتاب « فلسفة الحيوان » ـ Philosophie Zoolcg'que ـ الذي طبعه في باريس عام ١٨٠٩ واقعاً فى ثمانية مجلدات ، من القواعد والنظريات ما يعتبر الآن بعضها من أخطر نظريات علم الحيوان الحديث ، ولم يفقدها مر الزمان وتطور العلم ما لها من المكانة والشأن ، ولو ان معاصريه من العلماء لم يقدروا كتاباته قدرها ويعتبر كتابه « فلسفة الحيوان » حداً فاصلا بين عهدين عاصيين ، عهد القول بالخلق المستقل ، وعهد القول بالنشوء فى العصور الحديثة ، على ما يقوله الالمان ، اذ يقولون بان مذهب النشوء تم بناؤه فى مائة عام ، بدأها العلامة « كاسبار فردريك وولف » الالمانى بمقاله في الأجنة عام ١٧٥٩ ، وتوسطها « لامارك » عام ١٨٠٩ بكتابه « فلسفة الحيوان » وأتمها العلامة « تشارلز داروين » عام ١٨٥٩ بكتابه « اصل الانواع »

وللعلامة لامارك عدا ذلك مبادىء فلسفية كثيرة منها ما ذكره دكتور « شميل » في كتابه الذى نقله الى العربية عن بخنر الالمانى وهي :

١ ــ التقاسيم المعول عليها كالطوائف والصفوف والانواع ليست طبيعية بل اجتهادية

٢ ــ الانواع لم تتكون الا شيئاً فشيئاً ، ووجودها نسبي وثباتها في الازمة محدود

٣ ــ اختلاف الحالات الخارجية يؤثر في تكوين الحيوان وصورته كلياً وجزئياً

٤ ــ الطبيعة كونت الحيوانات اولا فاولا مبتدئة بادناها ومنتهية بارقاها

٥ ــ النباتات والحيوانات لا فرق بينها الا بالحس .(١)

٦ ــ الحياة ليست الا طبيعية

٧ ــ النسيج الخلوى اصل كل حى

٨ ــ لا مبدأ حيوى منفصل

٩ ــ الجهاز العصبى مولد الافكار وكل أعمال العقل

١٠ــ الارادة غير حرة

١١ــ الادراك ليس الا ارتقاء فى اشتراك الاحكام

* * *

(١) اثبت السير بوز الهندى ان للنبات حسا كالحيوان . واذن يكون الفرق بين حس الحيوان والنبات راجع للكم لا للكيف .

هربرت سبنسر

Herbert spencer

هربرت سبنسر كاتب من أشهر كتاب الانجليز وجهبذ من الجهابذة المحققين الذين أخذوا من الفلسفة بنصيب وافر فى القرن الماضى ولد فى درى عام ١٨٢٠ وعلمه ابوه مبادىء الرياضيات . وعمه « توماس سبنسر » احد رجال الدين اشتهر بحربة آرائه فى المسائل السياسية والدينية . وكان «هربرت» مهندساً فى خدمة الحكومة وظل فى منصبه هذا ثمانية أعوام كتب خلالها رسائل فى ابحاث هندسية ورياضية ، نشرت فى صحيفة « الهندسة والرياضة ». وفى سنة ١٨٤٢ ظهرت له عدة مقالات في جريدة « النونكونتورمست » فى « سلطة الحكومات الطبيعية وحدودها » وطبعت بعد ذلك فى كتيب صغير . وظل محرراً فى جريدة « الايكونومست » — The Economist — حتى سنة ١٨٥٣ وفى خلال هذه الفترة طبع اول كتاب له « وهو « التقويم الاجتماعى » . ومن ثم اخذ يراسل كبريات المجلات والصحف السيارة. وفى سنة ١٨٥٥ ظهر كتابه « مبادىء علم النفس » — Principles of paycho'ogy — وبدأ في أوائل سنة ١٨٦٠ ينشر مقالات عديدة فى علوم مختلفة كالاجتماع وفلسفة الاخلاق والتربية والحياة ورسائل انتقادية منها رسالة فى ماهية الارتقاء ، وانتقاد فلسفة «أوغست كونت» الفيلسوف الفرنسوى المعروف صاحب الفلسفة اليقينية — Tne positive philosophy — وكتابه « علم النفس » الذى طبع بين عامى ١٨٦٢ ـ ١٨٦٧. « ومبادىء علم الحياة — princpiles of Biology — عام ١٨٦٤ ومبادىء علم النظام الاجتماعى — principle of Sociology — طبع سنة ١٨٧٦ ـ ١٨٨٠ ومبادىء علم الاخلاق — prinicple of Ethics — عام ١٨٧٩ . وكتابه فى التربية عام ١٨٦١ ودراسة علم الاجتماع عام ١٨٧٢ وعلم

الاجتماع الوصفى ـ Descriptive sociology ـ الذى جمعه وهذبه بين عامى ١٨٧٣ ـ ١٨٧٨ واقدأوسع من نطاق نظرية النشوء والارتقاء وطبقها على فروع العلوم وبحثها، فهو بذلك من اكبر انصار « داروين » وأول من طبق مذهبه على أصول العلوم الحديثة فى القرن التاسع عشر .

وهربرت سبنسر واضع « الفلسفة التركيبية » ـ sytnhetic philosophy ـ ولا يوقفك على ماهية فلسفته مثل العلامة « تيودور مرتز » في كتابه « تاريخ الفكر الأوروبى في القرن التاسع عشر اذ يقول ـ

« وبينما كانت المباحث التاريخية آخذة بزمام العقول في المانيا ، بل قضت القضاء على « الفلسفة النظامية » ـ systematic philosophy ـ أى الفلسفة ذات القواعد المرسومة، انتجت انجلترا الاولى عهدها فى تاريخ التفكير مذهباً فلسفياً . ذلك المذهب الذى ابرزه العلامة الكبير هربرت سبنسر . على أن من الحقائق الخطيرة فى تاريخ الفكر ، ان مبدأ « توحيد المعرفة » الذى بثه سبنسر فى ذلك المذهب ، مبدأ تاريخى . وهو فى قوامه عبارة عن طريقة من التحول التدرجي التى نعرفها الآن « باسم النشوء » ـ Evolutionism ـ ويكون هذا المذهب فى مجموعه فكرة مناقضة للفكرة التى بثها « هرمان لودز » فى آخر مذهب فلسفى من المذاهب العظمى التى ظهرت فى المانيا. فكل المذاهب النشوئية اذ تقضى بان وحدة الاشياء تاريخية صرفة، وان هذه الوحدة يجب أن يعود الانسان في بحثها إلى اصل اولى عنه نشأت، اذا بك تجدان « لودز » قد حاول أن يثبت أن الحقيقة تنحصر في الاعتقاد بان لوحدة الاشياء وجوداً ثابت ، وانها مبدأ موجود في كل الاشياء المفردة ، وليست كما يقول النشوئيون ، عبارة عن حقيقة ترابط بين الموجودات بمقتضى الزمان والمكان » .

ومن ذلك تدرك أن مذهب « سبنسر » في النشوء يرمى الى اثبات « وحدة الفكر » مع احداث ذلك التصور الذى يؤدى الى الاعتقاد بان الاشياء تحتفظ ببقائها ، وان الحوادث تقع ، خضوعاً لعلاقة واقعة بينها يمكن ادراكها، وان وجهتى النظر الدينى والعلمى فى هذه الحياة يمكن التوفيق بينها



لبو بولد فون بوخ

من اشهر علماء المانيا في الجيولوجيا والحفريات . ولد فى استيلوب ببروسيا عام ١٧٧٤ وقيل ١٧٧٧ وتلقى علومه على الاستاذ « فرنر » فى مجمع فريبرج العلمي . ثم رحل بعد ذلك عدة رحلات علمية فى المانيا واسكانديناوة. حتى بلغ رأس الشمال ثم عاد الى انجلترا وفرنسا وايطاليا وزار جزر الكناري عام ١٨٠٢ــ ١٨٠٩ وطبع كتابه المسمي «الملاحظات الجيولوجية فى المانيا وايطاليا» وعام ١٨١٥ كتابه « وصف جزر كناري الطبيعي » . وفي عام ١٨١٠ طبع كتابه السياحة في نروج ولابلاند » ونشر عام ١٨٣١ عدة رسائل قيمة في طبيعة تكون الطبقات الأرضية في المانيا . ونشر عام ١٨٤٠ كتابه فى سلاسل جبال روسيا . وكان قد بدأ منذ سنة ١٨٣٢ ينشر مقالات في

اوصاف نوع من الأنواع الحفرية يقال له اصطلاحاً « العمونيات » ـ Ammonites ـ وكان العلماء قد سموا هذا النوع من قبل « قرن عمون » لمشابهته لقرن الآلة « جوبتير » ـ عمون . عند المصريين . وكان المصريون القدماء يمثلونه بكبش يضعونه في الهيكل العظيم الذى بنوه له في واحة سيوة . والعمونيات صنف من الأصداف ذوخلايا عديدة . وهو من الحيوانات الرخوة الكبيرة ، وله قرون عظيمة بعضها ملتو على بعض التواء يكون شكل دائرة تامة . وقال بعض علماء الحفريات بانه ضرب من الافاعى الحفرية . ورسم « فون بوخ » عدة خرائط بين فيها الطبقات التى تتكون منها الاراضى الالمانية ، وما جاورها من الممالك واقعة فى ٤٢ لوحة . وتوفى ببرلين في ٤ مارس سنة ١٨٥٨ ، وكان على نبوغه من علم طبقات الأرض ، راسخ القدم فى العلوم والتاريخ الطبيعى .

ا . م

أمل مفقود

ضلت أمانى نفسى فى مسالكها ... وأبهم الرشدَ عنها ليلُ دنياىَ
سمعتها وهي تشكو الدهر قائلة ... « له من الحزن قد أمحاتَ مرعاىَ
بثثت فى موطنى هماً يؤرقنى ... ويصدع القلب حتى عفتُ مثواى »
وصاح قلبى بجنح الليل مرتجياً ... أن يستعيد له عهداً وإياىَ
وقال : قد كانت الآمال بى سنناً ... ترسو علىَّ ، فقالت : أين مرساىَ ؟
رمى بى الموج فى تيار داجرة ... وأصبحت جزرُ الآلام مأواىَ
ترحاتْ وترحاتْ الآمالُ تتبعها ... وخاب فى أن أرادا كل مسعاىَ

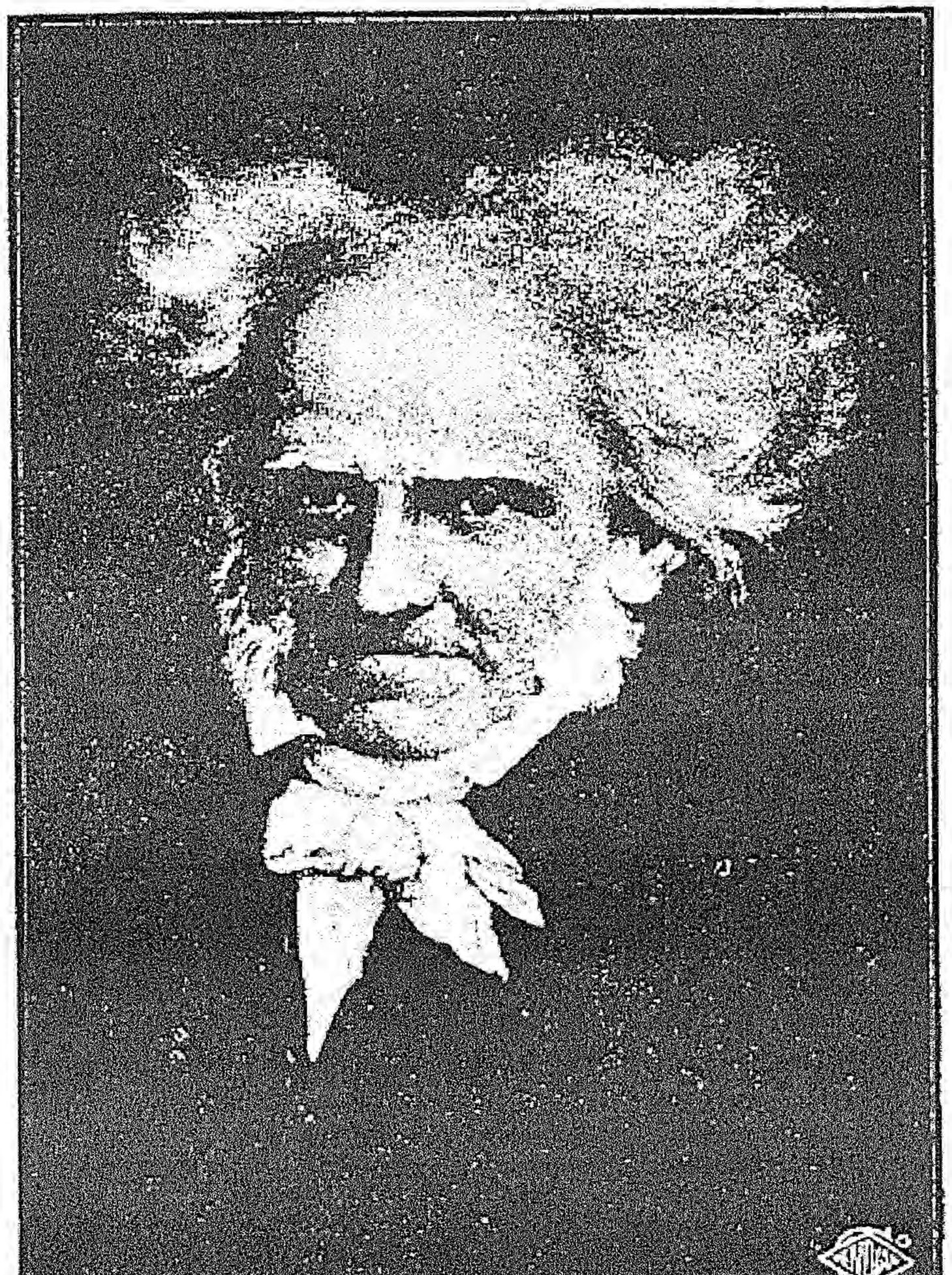
***

ناجيتُ قلبى وقد ولى على عجل ... عنى فما انصلت بالقلب نجواىَ
من أين لليل آذان فيسمعنا ... وهل تذيب حنانَ الليل شكواىَ
نامت عيون الألى باتوا على أمل ... وسهدت فى ظلام الليل عيناىَ
(كل يغنى على ليلاهُ) منتصراً ... لكننى لست أدرى أين ليلاىَ !!

هَمَ كامل الصيرفى

شوبنهور

ومقامه في الفلسفة الحديثة



ولد « ارثور شوبنهور ـ arthu schop'n'hauer » في « دانتزيج Dantzyig » في الثاني والعشرين من فبراير سنة ١٧٨٨ وكان أبوه تاجراً صيرفياً . فبعد ان تربى التربية الحسنة وحصل القليل من العلوم ابتدأ يساعد أباه في الاشغال وفيما هو متجول في عواصم اوروبا للمصلحة التجارية فاجأه نعي والده فرجع الى ألمانيا يهتم بتسيير الاعمال كما تركها له لكنه لم يكن يرى من نفسه ميلا لمتابعتها فاعتزلها ودخل جامعة « جوتنج Goetlingin » في برلين يدرس الفلسفة . وفي ذلك الوقت ، اي وهو في سن

العشرين • الف رواية « جبريله Gabrie'e» وكان يعد من الكتاب الممتازين •
والذين درسوا حياته بالتدقيق عرفوا مبلغ بغضه « لفخته Fichte »
ذلك البغض الذى ولد في نفسه الجزم بآرائه الفلسفية وعدم قبول التلمذة
على أحد حتى انه مدة اقامته في « يينا Jena » رفض قبول الآراء الشائعة
فيما يختص بالله والارادة

اول تآليف شوبنهور « العالم كارادة وتمثيل » La monde comme
Volomé et commerep resentaion» ظهر في « ليبزغ Liepzig سنة ١٨١٩
وهو معارض به آراء كل من تقدمه من الفلاسفة وقد أثر كتابه هذا تأثيراً كبيراً
في الوسط العلمي ببلاغة لغته وقد قال عنه مسيو « فيشر Fischer » انه
اقدر كاتب في اوروبا من جهة ابداع الافكار وحسن سبكها في التعبير عما في
الكتب العلمية • والذي زاد اعجاب المفكرين به وقوفه كعدو لدود في وجه
انتقادات الرجعيين الملقبين « بدنتيست pedentiste » الذين لم يتركوا قبساً
من نور حرية الفكر يتلألأ في اوروبا في ذلك العصر • وقد بارح جامعة
« جوتنجن » الى ايطاليا بلاد الجمال والخيال ووقع فيها على عظمة الفنون
الجميلة التى ساعدته فيما بعد كل المساعدة على تفهم ما توخاه من الابحاث وعاد
من ايطاليا سنة ١٨٣١ الى فرنكفورت Frankfurt » فظل فيها حتى وفاته
سنة ١٨٦٠

— شيء من آرائه —

تنحصر عظمة شوبنهور في وصفه مذهب « كانت Kant » في الله
والارادة • « فكانت » يقول ان الله مصدر الارادة و « شوبنهور » يقول
ان الانسان مصدر الارادة ويستند كلاهما الى التعاليم « الميتافيزيقية » في
تثبيت رأيهما. ولكن « شوبنهور » اقرب الى الصواب فى آرائه من
« كانت » لانه اثبت بقوة البرهان ان ليس للآلهة من سلطة على البشر وان
ما يبدو من الاعمال الصالحة والشريرة يرجع لارادة الانسان الشخصية •

وقد استنبط لتأييد رأيه هذا اسلوباً جديداً اظهره بمظهر غير قابل للتحوير ورغبته فى معارضة « كانت » كل المعارضة جعلته يتطرف فى اسلوبه هذا حتى تشاءم من الحياة وقد حصر تشاؤمه هذا فى ان الارادة الشخصية التى تكيف الناس حمقاء وعمياء وشريرة وان ايجابيتها تفريغ الموجودات بالتدريج وان اظهر مظاهر هذه الايجابية تتجلى فى الفرع البشرى من حيث المعرفة والادراك ،والمعرفة والادراك اداة توصل الى الحرية والى مقدار الرغبة • وليس هذا فقط ،بل ان هذه الارادة تؤلمنا فى بعض الاحيان اذ انها تقذف بنا الى تيار المصائب الجارف وتدفعنا الى قهر انفسنا لنوال السعادة الوهمية والى حصول ذاتيتنا كما هي

تآليفه

تآليف « شوبنهور » عديدة الا ان ماانتشر منها هو فقط •

« العالم كارادةوتمثيل » سنة ١٨١٩ • و « اربعة اصول مبدأ العقل الكافى » سنة ١٨١٢ و « النظر و الالوان » سنة ١٨١٦ و « المسألتان الاساسيتان للاهوت الأدبى» سنة ١٨١١و « الارادة في الطبيعة » سنة ١٨٣٦و « اساس اللاهوت الأدبى »سنة ١٨٤٠ وكلها على جانب عظيم من البلاغه وقد أثرت في عقلية الشعب الجرمانى تأثيرامحى كل ما كان قد علق باذهان القوم من فلسفة « كانت » ومن سبقه من الفلاسفة المؤمنين • واول طبعة كاملة لهذه التآليف القيمة طبعها «فرودنستادت» وذلك بعد موته •

آدابه

لشوبنهور آداب قلما كانت لغيره من فلاسفة الجيلين السابع والثامن عشر فهو مع تشاؤمه كان من ارضى الناس اخلاقا لانه مع كشفه عن اصل الآداب قد سير نفسه في سبيل آرائه الصحيحة وقد اتخذ مثالا لنفوذ الباعث الأدبى الذى روض ذاته عليه ولهذا اشار الدكتور « ريفول دالونيه Revault D,allonner فى مقالة له أن جمعية الاتحاد الانجليزى لتحرير

العبيد التى انفقت اكثر من عشرين مليون من الليرات لم تعمل اكثر مما عمله « شوبنهور » بنفسه

وهو فى مبدئه هذا وفى آدابه يعارض مذهب « كانت » المعروف بمذهب « الامر والنهى الصريحان Limiperatif categurique » الذى يمثل الباعث الخيالى للآداب ذلك الباعث الوهمى والغير النافذ . فآداب الكانتيين « Kantien » آداب مسيحية تزيت فى زى من تلك الجمل المنمقة، أما آداب « شوبنهور » فآداب صحيحة مبنية على الرأفة والشفقة بدون طلب التعويض آجلا أو عاجلا .

يقول « كانت » ان الله علة ممكن الاعتراف بوجودها ولكنها ليست ضرورية للآداب وهكذا الزمان فانه مغذ لاغير ويقول ان الباعث الحقيقى للآداب هو المصلحة او الخوف ولكنه فى قوله هذا يعارض مذهبه فى كل تآليفه ولا سيما رأيه فى تقدير قيمة الآداب وواجب الانسان نحو نفسه اما « شوبنهور » فيقول ان الرأفة هى النبع الوحيد الذى تتدفق منه مياه الآداب الخالصة . وهكذا نودي بها فى آسيا نيفا والف سنة قبل المسيح . وهى لا تشمل فقط أعداءنا من البشر بل من البهائم أيضاً وان منها تولدت فضيلة مؤسس المسيحية كما فى الانجيل وهى التى حجرت على الانانية وعلى الخبث وعلى الطباع الشرسة وصارت كقائد حكيم للنوع البشرى تفرض الفرائض وتسن الواجبات وتسير فى طرق صعبة المسالك وانما توصل الى السعادة الاجتماعية

أقول هذا بدون أن أجمع بين الاحوال التى أوجدت آداب « شوبنهور » وبين مبدئه لان المبدأ طلب أولى تنجم عنه كل الواجبات، وهذا متفق عليه بين العلماء ولكن « الاحوال الموجدة » قوة طبيعية لا تتجزأ ولهذا فالمبدأ يحتاج فى الآداب الى الرأفة والا فيكون بدون فائدة

— الصلة بين آدابه وميتافيزيقيته —

الشعور باخير فطرى فى الانسان وغريزة لا تتبدل والرأفة هى المؤسسة

الوحيدة لاعمال الانانية الاجتماعية ولكن أغلب تنظيماتنا الظاهرة هى مخالفة من شأن طبيعتنا المملوءة بالغرور فكيف نجمع بين كل هذه المتناقضات ونوحد هدفها ؟؟ — والآداب مع انها نتيجة الرأفة والشفقة أهى شرعية وذات علاقة بحياتنا الفردية والاجتماعية مع كل الاغلاط التى نرتكبها أم بالعكس ؟؟ . بل هى مع العدل ومحبة القريب مظهر من ازدراء هذه الآراء غير المعقولة« Fanfastique» فى هذه الحياة المتجهة الى التثقيف والفضيلة ؟؟ .

من هذه المسألة سار « شوبنهور » فرأى الافراد يختلفون عن بعضهم كل الاختلاف واندهل من مظهر الانانيين والخبثاء والباعث بالمل مركبة فى نفوس الناس ،اعداها طلب معرفة حائدة عن الحقيقة والصواب، مدلة الى الخداع فى المظاهر والاعمال . فلهذا رأى ان الرأفة احسن دواعى هذه المتناقضات فأحبها من كل قلبه لانها عرفته مقامه فى العالم ودلته على مركزه بين هذه الموجودات الحية المتألمة من الانانية والطمع

— انتقاد آدابه —

بغض النظر عن مذهبه التشاؤمى « pessimiste » ومذهب القائلين بان الله انما هو كل الكائنات « pantheiste » وبدون تجاوز حدود الحياة التجريبية والبحث عما اذا كان الوهم سائداً فى هذا الكون دون الحقيقة ويقرع صدره ويسأله الغفران . والآن اجعل عنيك أيتها المشالة مكان ذلك هاتى الرافة المنزهة المطلقة والرافة الشيخ يقولى ماذا كنت تعملين ؟ دلى ترثى لالم القريب فقط . ولكن هل كنت تجتذبين ذلك الشاب من شعره وترضين بتعذيبه الى أبد الآبدين على العذابات العمومية المفيدة او المستترة ان الحق لا يعطى للناس الا بواسطة المشالة — كلا واهذا القول من رجل شاعر بالخير

بل تفكر شوبنهور » لكن انواجبات كنت صورة مخلصا وهذا كل ما يطلب منى حرر نفسك المساواة لم يكن العقل الا قوى صعبة ومحدودة

— انتقاد آدابه —

بغض النظر عن مذهبه التشاؤمى « pessimiste » ومذهب القائلين بان الله انما هو كل الكائنات « pantheiste » وبدون تجاوز حدود الحياة التجريبية والبحث عما اذا كان الوهم سائداً فى هذا الكون دون الحقيقة ويقرع صدره ويسأله الغفران . والآن اجعل عنيك أيتها المشالة مكان ذلك هاتى الرافة المنزهة المطلقة والرافة الشيخ يقولى ماذا كنت تعملين ؟ دلى ترثى لالم القريب فقط . ولكن هل كنت تجتذبين ذلك الشاب من شعره وترضين بتعذيبه الى أبد الآبدين على العذابات العمومية المفيدة او المستترة ان الحق لا يعطى للناس الا بواسطة المشالة — كلا واهذا القول من رجل شاعر بالخير

احرر نفسك المساواة لم يكن العقل الا قوى صعبة ومحدودة

كرودللى ـ واذا كان أحد ابنائك يعود اليك بعد هربه من البيت وارتكابه أفظع الجهالات ؟

المارشاله ـ أسرع اليه واضمه بين ذراعى واعتنقه بدموعى ولكن ءوالده اعطاء الايضاحات الكافية لتأييد المارشال ان يقابله بهذا اللطف الاسقيه وواجب الشكر وان كان من

كرودللى ـ ليس جناب المرشال بمرا اجتهاد الى ابعد من ذلك

المارشاله ـ ظهرا

بيروت (٨ آب سنة ٩٣٨)

كرودللى ـ قد يتمنع ولكنه يعود فيعفو

المارشاله ـ ولا شك على نبل كريم والى ما الاصيل اذا لاحظ أنه قبل أن يخلق هذا على الفتى كان يعرفه وجميع تفاصيل حياته ولكن لا دقائقه من عقابه وعلى اخطائه كلها ولا للذنب ولا لاخوته حتى

وللمارشال ولى وللشاب المكسيكي وللشيخ

لنا هنا منتجعنا بغبة والمتالك لبين

قلت أدرى ماهي ولا أدرى كيف يحسن

في محبة القريب وكأنه يقول ايضا ان

الشاب أويسى.

الدخول على انه لابد منه وهو جار نافذ

هنا جاءنا الخادم يخبرنا أن جناب

خبر على «شونبرون» لانه عجز الى أن

المارشال في انتظارنا فقدمت يدى الى

سيدا اسباسى في فاسفته له فيه حق

المارشاله وهى تقول لى

ا لانه هكذا ظن الحقيقة ولم يوصله

ان هذا لما تضطرب له الراس.

أليس كذلك ؟

ابراهيم حداد

كرودللى ـ ولماذا ما دامت سليمة ؟

المارشالة ـ وجملة القول يجب أن

للقيل الانسان كأن ذلك الشيخ موجوداً

مذ كرا دوللى لجلتى ولو كنت شاهد موجود

فى شلالا بى شالة ولكن شلالا يعتمد على دى رحمته

متى فى استحقاء بوجود قارة في رقادي

اصر دوللى انه اذا لم يكن هناك ادخل في باب

* *

انت يا نبع قد جفاك حبيبي مثلما صدنى فلم انت شادى
مثل هذا الخرير لى زفرات كن يسبين كل ناء وغادي
كن ينبتن فى الخيال جنانا اين منها رياض هذا الوادى
كان لى نير وشمس ونسم ونجوم ميسورة الانقياد

* *

انا يا نبع كنت مثلك حولى يفد الناس خاطبين ودادى

حبيب الياس

٤٦
٨٩٠

رجال الاعمال
روحي الى حباب

— ١ —

في ظلام الليل وتحت ستار الدجى ، وفي ليلة شاتية اشتدت حالكتها وارخيت سدول ظلامها ، خرجت سارة من بيت أبيها تحمل شجونها والآلامها ؛ وتجر رمن ورائها اذيال الخيبة والانكسار . ولينها خرجت تحمل هذه الآلام وحدها ، بل خرجت تحمل شيئا آخر . شيء ثارت من حوله تيارات المشاعر النفسية كما تثور الكهارب من حول أنوية الذرات . فحب وبغض . وألم وأمل . وذلة واعتزاز . وشعور بالخجل العميق تتلوه نية على التوبة الخالصة لوجه الله . وفي وسط هذه الثورة النفسية التي انبعثت تياراتها القوية باشد ماتبعث تيارات من الانفعال في نفس بشرية ، شعرت سارة بحركة عنيفة اهتزت معها كل أعضائها هزة ظاهرة ، واذا بسببها جنين يختلج في احشائها .

هي في الثامنة عشرة من عمرها ممشوقة القد هيفاء ، سمراء اللون تضرب بشرتها الى لون أهل القرى الذين يعيشون في ريف مصر ، شديدة الانفعال ثائرة العواطف كبيرة الآمال ، فيها جمال يغري بها أهل الغواية ، ويغري بها نفسها ، اذ هي تتصور انها قبلة المحبين ومهبط آمال العاشقين . وكثيرا مايكون الجمال نقمة تنصب على أهل الجمال . وكثيراً مايكون للغواية سلما يعتليه الناس وهم بعد في سن الشباب لايعرفون للدنيا من قيمة ولا للنظامات التي يقوم عليها المجتمع من سلطة . اما عن النظامات الانسانية فيشعرون بها عن مايتم الجرم وتقع الكارثة .

وما كانت سارة أكثر شعوراً بثقل الوطأة التي القتها على كاهلها التقاليد

الانسانية ، منها وهى تفارق بيت أبيها تحت جنح الظلام ! ولكن الى أين ؟ الى الدنيا الواسعة . الى فضاء الارض التى لاتتناهى ولو درت حول كرتها الفاً من المرات . الى الرحاب الترامية الاطراف .

— ٢ —

والارض تملؤها الخلائق البشرية . غير انها قد هجعت سحابة الليل ، لتسعى اذا ما تنفس الصبح مرة ثانية على كسب أرزاقها ، من طريق الحلال ومن طريق الحرام . فكلها طرق تؤدى الى كسب العيش ، والكفاف حلال أم حرام ، خير من سؤال الناس ما في أيديهم عند العجز . لان الناس لم يعرفوا من معاجم لغتهم أكثر مما عرفوا من كلمات الرد مصوغة فى قوالب متفرقة يختار منها كل منهم مايشاء .

وسارة تسير على غير هدى فى طرق مشعبة متوية ، وقد خلت منها اليد وصفر الجيب ، فلا بلغة ولا مال . وهى تعلم علم اليقين بان الناس لايملكون من شىء إلا كلمات الرد والانتهار لانهم أحرص على مافي أيديهم من كسب حلال أم حرام من ان يريقوه لامثال سارة بعد ان دهمتها أقدار الحياة بقدر اخرجها من بيت أبيها تحمل بين احشائها الجريمة مجسمة ، والرذيلة مصورة في صورة بشرية .

ومرت بها الظهيرة وجاء الاصيل ثم مال ميزان النهار وأخذت الشمس تنحدر نحو مغربها الابدى . وسارت على الطوى ، تتقد بين جنباتها نيران الجوع ، غير عالمة الى أى مصير تقذف بها خطواتها ، وقد ضلت فى فضاء الانسانية الطريق .

هنالك فى منعطف يكاد لاتتجه اليه أنظار الرقباء تترك سارة في حديث ذى شأن مع شاب من شباب زمانها الذين استوتهم زخارف المدنية ، وفتنتهم منازع الصبابة ، لالتتركها الى الأبد بل لملتقاها بعد ردح من الزمان طويل .

— ٣ —

ـ أتدرى أى حدث ينتظرنا فى جلسة الليلة ياعبد الفتاح ؟

ـ أى شىء فالسكينة مستتبة فى البلاد ، والوزراء منصرفون الى أعمالهم ، والاحزاب لاتجد من مجال لاثارة الشقاق القديم ، لان الحوادث لم تفتح المجال لتجديده .

ـ اذك واهم ياحضرة العضو المحترم بل هنالك حملة مدبرة . من حزب الاقلية تريد أن تمهد بها السبيل الى الدعوة الملوكية فى بلادنا بعد أن حصلنا على نعمة الحكم الجمهورى . فان حزب الاغلبية وعلى رأسه عقيل البدوى ، وهو كما تعرف خطيب مفوه وزعيم واسع العقل كبير المطامع ، سيبدأ اليوم حملته الاولى على الحكم الجمهورى .

ـ أنت تبالغ ياسامى فى قولك .

ـ ليس فى هذا مبالغة ، بل هى الحقيقة ، فان الحزب الملكى ، وهو أقلية لايهتم بها انسان فى هذه البلاد ، قد استعان بعقيل كما تعرف ، وقبل عقيل أن يكون رأسه المدبر ولسانه الناطق ؛ ليقلب الجمهورية إلى ملوكية يستعبدنا فيها الملوك كما فعلوا بآبائنا فى العصور القديمة .

— او هذا عصر الملوكيات ياسيدى . هاهى فرنسا تنعم اليوم بجمهوريتها ، بل لديك تركيا والصين ، ولا أذكرك أمم امريكا على اختلاف نزعاتها وتباين مشاربها . ان الملكية فى هذا الزمان اصبحت فى حكم البقايا المستحجرة التى خلفتها الاحياء المنقرضة ، ليس لها من معنى الا لتدل على أن الماضى قد شهد ملوكيات خضعت لها الامم ، ورضيت أن تعيش فى كنفها ذليلة حقيرة .

— ولكن لاتنسى مع هذا أن للملوكيات المنظمة حسناتها التى لايمكن أن تنال فى ظلال الجمهوريات . فان للنظام الملكى تقاليده ومفاخره ، وله تاريخه الذى يستفز الامم ، ويبعث فى نفوس الناس من شعور العزة القديمة ، مالا

تبعثه الجمهوريات . ولا يعزب عن ذهنك أن للملوكيات روعة الاشياء الموروثة عن الماضى . وهى روعة لانجدها فى الجمهوريات القريبة العهد مثل جمهوريتنا هذه . ولا تغفل بجانب هذا عن أن عقيلا البدوى رجل يعرف كيف يقلب الحقائق وكيف يؤثر في الناس . ولئن عجز في البرلمان عن أن يستغوى العدد الأوفى من الحزب الجمهورى ، فان تأثيره في الجماهير سوف يزداد مع الزمان ، وربما استطاع ان يضعف حزبنا ضعفاً ظاهراً اذا لم يكتب له النصر فى النهاية .

— كل هذه الاعتبارات لاتعنينى . ولكن الذى يعنينى الآن هو كيف تحتمل جمهورية مثل جمهوريتنا ان يباشر فى داخل مجلسها النيابى بالنظام الملكى . وهل تسمح بذلك القوانين ؟

— الامر على النقيض . فلو كنا تحت حكم ملوكية اذن لاستطعنا أن نسكت الذين يجاهرون بميولهم الجمهورية ، أما ونحن تحت ظلال جمهورية فليس من حقنا أن نسكت الذين يطالبون بالملوكية .

ـ والسبب ؟

ـ السبب أن الجمهوريات تمثل أوسع الحريات التى يمكن أن يتمتع بها شعب من الشعوب . وهى تحت عنوان حماية الحرية تعجز عن حماية نفسها .

ـ نظام غريب . وهكذا يعيش الحزب الملكى فى فرنسة ، كما يعيش عندنا

ـ نعم ولكن دى ريفيرا قد حطم الحزب الجمهورى بذلك استطاع أن يحمى ملوكيته التى اقسم لها يمين الطاعة ، وبذل جهده فى سبيل صيانتها وصيانة مصالح اسبانيا من طريقها .

ـ الظاهر أن الامم الشرقية لم تخلق لتحكم فى ظلال الجمهوريات . بل أنها عجزت عن أن تنفذ النظام الديمقراطى تنفيذاً ينصرف الى الصالح العام . وكيف تستطيع الامم الشرقية أن تطبق هذا النظام فى الوقت الذى عجزت فيه أكثر الامم اللاتينية عن تطبيقه ؟

— لقد بدأنا نؤيد عقيل البدوى قبل أن نسمع ما سوف يدلى به من بيان .

— ٤ —

— للأقلية الحق فى أن تعبر عن آرائها بملء الحرية . فانا وإن كنا من الحزب الملكي ، الا أن النظام الجمهورى يحمينا .

ـ ان لى الحق فى أن أمنعك عن الكلام بصفتى رئيس المجلس ومن ممثلى الحزب الجمهورى الذى هو حزب الاغلبية ، التى تدين برأيه البلاد .

ـ اصرح بصفتى رئيس حزب الاقلية أن البلاد التى تدعون تمثيلها لا تعرف ان كانت تحكمها أغلبية مطلقة كما تدعون ، أم تحكمها أقلية نشيطة اتخذت أغلبية هذا المجلس ذريعة لاقتناص أغراضها . فنحن وأنتم أقليتان . أما أقليتنا فترتكن على عقلاء البلاد . وأما أقليتكم فترتكن على الجماهير . فاذا زدتم علينا بالعدد ، وازناكم باصالة الرأى ورجاحة الحكم على حقائق الاشياء . واذا أنت منعتنى عن الكلام اليوم فانك لن تستطيع أن تمنعنى عن الكلام الى الأبد .

ـ حقوقى القانونية استعملها فى منعك عن الكلام ، ويؤيدنى فى هذا أكثرية هذا المجلس المؤقر .

ـ نعم مجلس موقر جداً لانه يؤيد هذيانكم ويرضى بان تقتل الحرية جهاراً ويمنع ممثلى عن الكلام فى نظام البلاد الاساسى ، وقد اخترتم فى أول ما اخترتم النظام الجمهورى ليتسع لكم مجال التحكم في الرقاب بحق وبغير حق .

ـ نحن لا نريد أن نفتات على حرية أحد . ولكن اذا كانت الملوكيات لا تسمح للجمهوريين بان يعيشوا فى ظلالها ، فكذلك الجمهوريات لا يجب أن تسمح للملوكيين أن يبثوا دعوتهم الخبثية وهى قائمة فى الحكم . وبين يدى

الآن اقتراح بالغاء الحزب الملكي ، وبأن يصدر المجلس قراراً بفضه واتخاذ كافة الطرق للقضاء عليه .

ـ هكذا تكون الحرية في ظلال الجمهوريات .وهكذا يقتل الحق وتضيع حقوق الملوك المقدسة ضحية انزعات تجرى فى أدمغة أمثالكم من الارقاء الذين استعبدتهم شهواتهم ، وقتلتهم أهواؤهم ، وهم على الرغم فى أنهم أقلية تسوق أمامها أكثرية لا قيمة لها فى البلاد ، يدعون بانهم الاكثرية التى لها الحق فى أن تكون في مكان الملك الذى يحكم البلاد فى حدود نظاماتها الاساسية . نعم . ان كل جمهورى فى هذه البلاد قد أصبح ملكا مطلقاً تعنو له الجباه وتخضع له الرقاب. إنا نحكم بما تأتى من الملوك بدل ملك واحد . وانى بصفتى رئيس الحزب الملكي ؛ وهو حزب الاقلية العاقلة مع الفخر الكبير ، لا أحترم لمجلسكم هذا قراراً يصدره أو حكما يبرمه . وانى . . . . .

ـ خسئت وبأى حق تتكلم فى حكم هذه البلاد وأنت من غير عشائرها المعروفة ، ولا أب لك تنتسب اليه . فان الذى يتكلم في الحقوق العامة يجب أولا أن يعرف كيف نشأ ومن أى صلب انحدر .

ولم تكد هذه الكلمات القاسية تصل الى أذنى عقيل حتى وهى جلده وكادت تخونه شجاعته . ولكنه تجلد وتمالك نفسه شيئاً فشيئاً حتى استطاع ان يستعيد بعض ما تفرق من قوة بديهته . ثم اندفع يقول :

ـ ليس لهذه الاشياء الشخصية من علاقة بمسائل خلافية نريد أن ندلى فيها برأينا فى نظام البلاد . أما اذا كانت البنوة الشرعية من شأنها أن تخرج للبلاد كثيرين من أمثالك فانى أفضل عليها البنوة غير الشرعية اذا كان من شأنها أن تزود البلاد برجال يعرفون قدر بلادهم وقدر أنفسهم

وبعد نظرات زائغة رمى بها أطراف المجلس يمم بها شطر الباب بخطوات ثابتة رصينة، ثم التف بعباءته الكبيرة وأطرق الى الارض . ولكن خطواته

كانت تسابق أفكاره ليلقى أمه ؛ وهى على فراش الموت تنزع أنفاسها الأخيرة

— ٥ —

الأم على فراشها وعقيل بالباب . غير أنه كان على الرغم من ثباته مصفر الوجه زائغ البصر يحدج أمه بنظرات حادة قوية .

ـ اقترب منى يابنى لا بارك الله وأدعو لك دعوتى الاخيرة لعل الله يستجيب لأم فى ساعتها الاخيرة دعواتها لابنها الوحيد .

ـ أماه !! لقد خدعتنى طوال هذه السنين . اذا كان أبى قد سافر فلماذا لايعود ؟ واذا كان لايعود أبدا لمن هو ؟ وإلى التقيت به ؟ وهل أنا ابن شرعى لذلك الاب الموهوم

ـ رحماك يابنى بأمك وهى فى ساعتها الاخيرة .

ـ لابد من الجواب الصريح ، والا فان هذا النصل يغيب حتى نصابه فى قلبك ، فاذا انتزع فانه يغيب مرة أخرى في قلبى ، لمذهب سوية إلى جهنم أو إلى الشيطان . تكلمى .

ـ رحماك

ـ لم يبق في قوس الصبر منزع بعد أن اعير بأن ليس لى أب يعرف له اصل انتسب اليه .

ـ إذا كان الامر كذلك فانى لست أخجل عن أن أحدثك عن أبيك وعن زلتى ..

ـ احدثينى عن زلتك ايضا! اجرئين على هذا ؟

ـ تصبر يابنى فأنى لاأموت اكثر من مرة . استمع ولكن حكيما .

ـ تكلمى اذن .

ـ هؤلاء الذين يتكلمون في أصلك ونسبك ، لو أنهم عرفوا من هو أبوك

لذات رقابهم ، وخرست السنتهم . فانى إن كنت قد زللت فانى لم أزل طوع ارادتى ولكن تلبية لقواسر لم استطع أن ادفعها عن شرفى وعفافى .

ـ ان جدك لأمك هو . . . وزير ذلك العهد الذى متعت فيه بلادكم بالملوكية وفى ظلالها دوخت الممالك وخطبت ودها الدول . وكان بلهنكاك الصغير على عرش آبائه يزين له الشباب بما يزين ، وكان له أبى فى منزلة الناصح المرشد الأمين .

ـ نعم ولذلك طرد من ملكه وقامت على أثره الجمهورية . أليس كذلك ؟

ـ لا أعرف يابنى من هذا شيئاً . بل الذى اعرفه أن جدك كان يمت إلى اصل عربى قديم ونحن من بيت عقيل المعروف بذلك سميتك باسم قبيلتك التى انتمى اليها ، لعلك تفطن إذا مت قبل أن افضح لك السر إلى مكانك من بيت شريف .

ـ ثم ماذا ! ! !

ـ ثم أخذت حوادث الزمان تترى . وكنت فى صباى على جانب من الجمال الفاتن فزللت ، وكنت أنت ثمرة زلتى .

ـ لقد صدقوا اذن فيما قالوا . ولكنى من هو أبى ؟

ـ أبوك

ـ نعم أبى ! !

ـ ان أباك هو الذى إذا وجد فى هذه البلاد لما كانت جمهوريتهم المتصدعة .

ـ افصحى عن قولك .

ـ لقد قامت الجمهورية عشية هرب أبوك وترك هذه البلاد .

اذن فابى . . . .

ـ الملك الطريد . كان قد اتخذ بيت جدك مباءة له فى الليل والنهار . فعلقنى وعلقته ، ثم تصورت انى سأصبح ملكة البلاد اذا ما أصبحت له زوجا . ولقد

جرى بيننا دافع الهيام بما لم أستطع دفعه ، وزين لى الشباب مايزين لامثالى ـ فانت ابن الملك ، يجرى فى عروقك دم الملوك .

ـ دم الملوك يجرى في عروقى . ولكن دم الشرائع يريقه الملوك ، فيجرى رخيصاً ، لا فينقذشرف الساقطات ولا ليحمى حقوق الامم ؟

ـ مه يابنى . ان ساعة الرحيل قد آذنت فان قواى قد أخذت تضمحل وانفاسى تتردد ثقيلة واهية ـ اقترب منى ـ قبلة واحدة قبل الفراق .

وظل عقيل ينظر الى أمه نظرات زائغة حيرى وهوجامد فى مكانه لايتحرك . وظلت يدا أمه ممتدتان اليه برهة ، ثم سقطتا ؛ وخيم عليها الموت بسكونه الرهيب .

— ٦ —

أمام الجثة الهامدة ركع عقيل يستغفر لامه عن ذنبها ويذكر أباه التائه الطريد . ولقد دارت بذهنه أنه ملكي يدافع عن الملكية ، وانه في بلاد يكاد يحطمها النظام الجمهورى ، وعاد الى ذهنه أن دم الملوك يجرى فى عروقه !!!!

ودفع الباب تاركا وراءه تلك الذكريات والآلام ؛ فانبسطت أمامه الارض واسعة ممهودة . إإلى الملوكية يسير ؛ أم الى رحاب الارض يضرب فيها كما ضرب أبوه من قبل ؟ نعم . الى الرحاب الواسعة . الى الرحاب المترامية الاطراف .

وزم على جسمه فضل ردائه ، ثم أخذ يضرب فى الرحاب

هبات الالهة

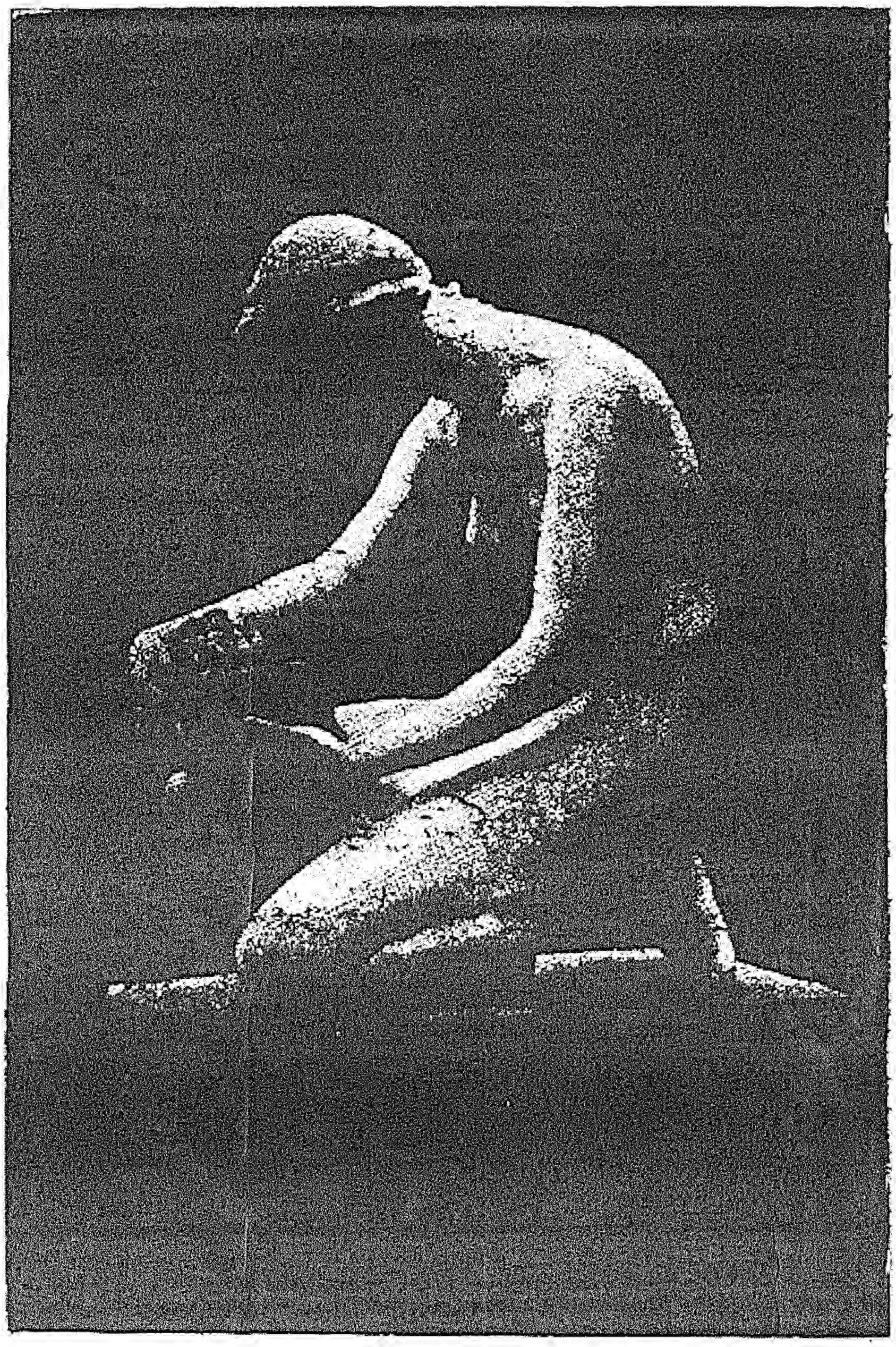
من أساطير روما واليونان

في الازمان القديمة ، قبل أن يقع الانسان على كثير من الحقائق التى يعرفها اليوم ؛ كان الاعتقاد ان الرجل قد عاش على مدى أزمان طويلة من غير أنيس فى الارض ؛ فلم يكن له زوجة ولا أخت . واعتاد الرجال بعض الاحيان ، اذا ما قامت بينهم المشاحنات أو جرى بينهم الشيطان بما يجرى به على أمثالهم الحمقى الخرقاء ، أو أصابتهم الآلام ونزلت بهم المصائب ، ان يخترعوا من اوهامهم أقاصيص يدعون فيها ان المرأة لم تهبط على الحضيض الا لتنزل بهم الكوارث فى الارض التى يعمرونها .

على أن بعض هذه الاقاصيص تذكرنا بامنا الاولى ؛ والقصة التى سوف نتلوها تتعلق بامرأة جميلة مثل حواء ، قد جلبت الشقاء لزوجها ، بجانب ما أنزلت بقلبه من المسرات

غير ان السبب فى هذا لا يرجع الى أغلاطها وحدها ، لان جوبتير قد أرسلها الى الارض لتفعل ما فعلت ، وكان غرضه الأول هو أن تنزل بالارض المصائب والآلام دون غيرها . اما هى فانها بجانب ما انزلت باهل الارض من مصائب ، قد حبتها بهبات ثمينة

كان جوبتير حانقاً على سكان الارض . وكان أحد الآلهة قد أخذته الشفقة عليهم لشدة ما يعانون من جهد ومتاعب ، فسرق لهم النار المقدسة من السماء وأهبطها الى أهل الارض ؛ فغضب لذلك جوبتير غضباً شديداً وأخذه الحقد واكلت صدره الغيرة ، فصمم على أن يهبهم هبة اخرى ، تظهر من جهة انها أكثر عائدة عليهم بالخير من الاولى ، ولكنها فى الوقت ذاته نقمة وغضب شديد



باندورا

ومن أجل ان يصل الى غرضه هذا دعى اليه « فولكان » وامره بان يجعل من الطين كهيأة امرأة تشابه فى جمالها واعتدال قوامها وسحرها وفتنتها الآلهات التى تسكن عرش الأولمب الاعلى . وكان « فولكان » فنان الآلهة وآله الفن ؛ فصاغ من الطين هيأة فتاة بزت فى جمالها التمثال الذي صنعته

« بجماليون » ونفثت فيه « فينوس » ـ آلهة الجمال ـ الحياة . وكذلك لم يقف بقية الآلهة والآلهات محايدين ازاء ما كان يعمل جوبتير . فقد اشترك كلهم فى العمل ، منعمين بفي هيأة الفتاة ؛ فاضافوا من جمالهم الى جمالها ومن حسن ذوقهم الى صورتها فخرجت من يدهم صورة رائعة من الفن الالهى . وأخيراً نفخ فيها جوبتير من روحه فكانت امرأة ملئت حياة وقوة ؛ مطيعة لاوامر آلهها وخالقها جوبتير ؛ ووقفت بين يديه تتلقى اوامره القدسية

غير ان « فولكان » ولو أنه كان يفخر بجمال ما أخرج فنه من صورة لم يكتف بذلك . فانه كان من أمهر صياغ المعادن ـ وكان له كور عجيب ؛ يستطيع به أن يصيغ من صواعق جوبتير التى يرسلها الى الارض ، أو من أشياء أصغر منها حجماً ، قطعاً فنية رائعة الجمال . وعمد الى الفتاة يحليها بحلية لم يتوج بمثلها بشر من قبل .

ونفذ فكرته ، فوضع على رأسها تاجاً ذهبياً صنع بمهارة ظهرت معها الصور التى نمق بها كأنها من الاحياء التى تتحرك وتكاد تبادرك بالكلام .

ولما تحقق جوبيتر أن مثل هذه الهدية لا يمكن أن ترفض أمر أن تدعى الفتاة « باندورا » pandora وأن تنقل كما هى الى قصر « ابيميثيوس »

ولم يكد جوبتير يصدر أوامره حتى نقلها « ميركيرى » — عطارد ـ مسارعا بها الى حيث صدرت ارادة الآله الاكبر ، ولا مرية فى أن اغتباط « رابيميثيوس » بها كان أضعاف اغتباط الآلهة الذين اهبطوها اليه فى مأواه الأرضى . وكانت النذر قد انذرت « ابيميثيوس » انه لا يقبل من هدية ترسلها اليه السماء ، لئلا تجر معها على أهل الارض المصائب والآلام . ولقد تذكر ما هبطت به عليه النذر . ولكنه فضل أن يعالج مصائب الارض وآلامها على أن يرفض « باندورا » رسول السعادة والسلام .

وعاشا معاً في رغد من العيش وخفض من الحياة ، فى قصرهما المنيف القائم

تحت سماء بلاد الاغريق القديمة ، حتى لقد خيل الى « ابيميثيوس » أن ما تنبأت به الندر من الويلات لا يمكن أن يهبط على أهل الارض مرة ثانية . وما كنت منه هذه الفكرة حتى انه كان يضحك مستهزءاً كلما أعيد عليه ذكرى ما أنذر به . غير أن الآلهة لا تنسى واجباتها ، ولا تنصرف عن اغراضها . فان جوبيتر أرسل الى قصر « باندورا » بهدية أخرى،هى عبارة عن « علبة » ثمينة حسنة الصنعة ، ونقش عليها تحذيراً ملخصه النهى عن فتحها قبل أن تأمر بذلك الآلهة .

ولعبت نشوة الحيرة برأس « باندورا » فرغبت في أن تفتح العلبة لترى ما فيها ، ولكنها حاولت مرات عديدة أن تنصرف عن غيها ، وان تطيع أوامر الاله وكانت تحب زوجها حباً جماً ؛ وكانت على امتعداد لان تضحى كل دنياها على أن تكون سبباً فى ايذائه . على أن ارادة جوبتير كانت أقوى من إرادتها ، فلعبت في رأسها يوما نزوة الاستطلاع واستقوت على ارادتها ، وفى لحظة من لحظات النحس فتحت غطاء العلبة .

ماالمك يا باندورا؟ وما أشد الملك ! فانها لم تكد تفعل هذا حتى ملء الفضاء امامها باشباح غريبة ، وكانت تعرف كثيراً منها معرفة صحيحة ، فخامت تحمل فى ايديها الأوبئة والامراض والكوارث على أنواعها . ولقد ملئت « باندورا » رعباً وخوفاً ، وأغلقت العلبة مرة ثانية باسرع ماستطاعت ولكن كل ما كانت تحويه قد فر إلى فضاء الأرض الأوسع ، ماعدى « روح الأمل » فانه ظل محبوساً في العلبة ، وكان جوبتير قد شاء أن يظل محبوساً حيث كان .

وحتى اليوم نجد أن الأمل كما قال الشعراء — « هو الصفة الابدية التى تشب في صدر الانسان » . فاخذ الانسان يجاهد في اخضاع المصائب والآلام لارادته بما تدرع به من شجاعة وصبر ؛ يحييها الامل في صدره . ذلك الأمل الذى لم يفر من علبة « باندورا » التى اهبطتها عليها الآلهة ،والذى احتفظت به سلوى لزوجها وللانسانية .

اصلاح الازهر

مذكرة الاستاذ الاكبر الشيخ المراغى شيخ الجامع الازهر

أوجب الدين الاسلامى على أهله أن تختص طائفة منهم بحمله وتبليغه الى الناس (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذ رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وأوجب الله على نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس إلى السبيل الموصلة اليه (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن) وقواعد العلماء كلها متفقة على وجوب السعى إلى نشر الدين واقناع العباد بصحته وعلى وجوب حمايته من نزعات الالحاد وشبه المضلين .

وفى الكتاب الكريم آيات كثيرة تحث على النظر فى الكون وعلى فهم مافيه من جمال ودقة صنع ، وقد لفت النظر إلى مافى العالم الشمسى من جمال باهر وصنع محكم ، ولفت النظر إلى مافي الحيوانات من غرائز تدفعها إلى الصنع الدقيق والاعمال التى لها غايات محدودة ، وأشار إلى سير الاولين . وحث القرآن على العلم وفاضل بين العلماء والجهال وأعمال السلف الصالح ، وسير العلماء لاتدع شبهة فى أن الدين الاسلامى يطلب من أهله السعى إلى معرفة كل شىء فى الحياة.

وقد تولى سلف علماء الأمة القيام بهذه المهمة على أحسن وجه وأكمله فخلفوا تلك الثروة العظيمة من المؤلفات فى جميع فروع العلم ، ودرسوا أصول المذاهب فى العالم ودرسوا الديانات ودرسوا الفلسفة على ما كان معروفا فى زمنهم ، وكتبوا المقالات فى الرد على الفرق ، وكانت للعقل عندهم حرمته وله حريته التامة فى البحث . وكان الاجتهاد غاية يسعى اليها كل مشتغل بالعلم متفرغ له .

ولكن العلماء فى القرون الاخيرة استكانوا إلى الراحة وظنوا أنه لامطمع لهم فى

الاجتهاد فاقتلوا أبوابه و رضوا بالتقليد وعكفوا على كتب لايوجد فيها روح العلم وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة وجهلهم الناس وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث وجهلوا ماجد فى الحياة من علم وما جد فيها من مذاهب وآراء فاعرض الناس عنهم ونقموا اهم على الناس فلم يؤدوا الواجب الدينى الذى خصصوا أنفسهم له وأصبح الاسلام بلا حملة و بلا دعاة بالمعنى الذى يتطلبه الدين .

فى الدين الاسلامى عبادات وعقائد وأخلاق وفقه فى نظام الاسرة وفقه فى المعاملات ، مثل البيع والرهن وفقه فى الجنايات

وقد عرض الدين الاسلامى لغيره من الاديان وعرض لعقائد لم تكن لاهل الأديان، وأشار إلى بعض الأمور الكونية فى النظام الشمسى والموالید الثلاثة من جماد ونبات وحيوان .

و قد هوجم الاسلام اكثر من غيره من الديانات السابقة : هوجم من أتباع الاديان السابقة ، وهوجم من ناحية العلم ، وهوجم من أهل القانون .

لهذا كانت مهمة العلماء شاقة جدا تتطلب معلومات كثيرة . تتطلب معرفة المذاهب قديمها وحديثها ؛ ومعرفة مافى الاديان السابقة ومعرفة مايجد فى الحياة من معارف وآراء ، ومعرفة طرق البحث النظرى وطرق الاقناع وتتطلب فهم الاسلام نفسه من ينابيعه الأولى فهما صحيحاً ، وتتطلب معرفة اللغة وفقهها وآدابها وتتطلب معرفة التاريخ العام وتاريخ الاديان والمذاهب وتاريخ التشريع وأطواره وتتطلب العلم بقواعد الاجتماع .

والأمة المصرية أمة دينها الاسلام فيجب عليها وهى تجاهر بذلك أن ترقى تعليمه ليرقى حملته و يكونوا حفاظا ومرشدين يدعون الناس اليه

ولا يوجد دواء أنجع من الدين لاصلاح أخلاق الجماهير فان العامة تطابق أحكام الدين والاخلاق الدينية بسهولة لاتحتاج الى اكثر من واعظ هادىء حسن الاسلوب جذاب الى

الفضيلة بعمله ويحسن بصره فى تصريف القول فى موضعه ولذلك كان الدعاة الى الفضيلة قديما وحديثا يلجؤون الى الاديان يتخذونها وسائل للاصلاح ، بل أن كل دعاة المذاهب السياسية وحملة السيوف لم يجدوا بدا من الرجوع الى الاديان وصبغ دعواتهم بها ، كل ذلك لان حياة المجتمعات لا تدين لنوع من أنواع الاصلاح الا اذا صبغ بصبغة دينية يكون قوامها الايمان .

والامة المصرية ، بل والامم الشرقية جمعاء ، تدهورت أخلاقها فضعفت لديها ملكات الصدق والوفاء بالوعد والشجاعة والصبر والاقدام والحزم وضبط النفس عن الشهوات ، وضعفت الروابط بين الجماعات فلم يعد الفرد يشعر بالآم الآخرين ومصائبهم . وقد أثرت الحياة الفردية فى حياة الجماعة أثرها الضار فانحطت منزلة الامم ورضيت من المكانة باصغر المنازل ٨

وقد أرى ان الامة المصرية وهى تريد النهوض والمجد وتتطلع الى حياة سياسية راقية يجب عليها أن تتذكر دينها وتلتفت الى حملة ذلك الدين فتصلح وترقى تعليمهم وتضعهم فى المكانة اللائقة بالمرشدين ، والتى يجب أن يكون عليها حملة الدين . اما اهمال هذه الناحية والسعى الى ترقية النواحى الاخرى من حياة الأمة فلا أرى أنه يوصل الى الغرض المقصود فالخلق هو العمود الفقرى للامم لا يمكنها أن تنهض بغيره وأسهل طريق لتكوينه هو طريق الدين اذا صلح تعليمه وهذب دعاته

ولقد كان الازهر مصدر أشعة نور العلوم الدينية والعربية وغيرها الى البلاد الاسلامية وقد أصابه ما أصاب غيره فى الشرق من خمول وضعة فيجب على الامة المصرية وهى تحمل راية الامم الاسلامية أن تنفق هذا المصباح (الازهر) من الانكدار وأن توجد له جهازاً قويا يستمد نوره منه على طريقة تتناسب مع ماجد فى العالم من أطوار فى العلم وفى التفكير وفى الحوار والتخاطب وفى طرق الاستدلال والبحث ، والدولة تنفق على الازهر قدراً عظيما من المال لا تستطيع أن تمنعه عنه

-ولا تستطيع أيضاً أن تانى الازهر وما يتبعه من معاهد انوجد بدلها معاهد أخرى فالحاجة الى اصلاح الازهر واضحة لا تحتمل نزاعاً ولا جدلا

وانى أقرر مع الاسف أن كل المجهودات التي بذلت لاصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة تذكر في اصلاح التعليم وأقرر ان نتائج الازهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه . وقد صار من الحتم لحماية الدين لا لحماية الازهر أن يغير التعليم فى المعاهد وأن تكون الخطوة الى هذه جريئة يقصد بها وجه الله تعالى فلا يبالى بما تحدثه من ضجة وصريخ فقد قرنت كل الاصطلاحات العظيمة فى العالم بمثل هذه الضجة .

يجب ان يدرس القران دراسة جيدة ، وان تدرس السنة دراسة جيدة وأن يفهما على وفق ما تتطلبه اللغة العربية فقهها وادابها من المعانى وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة وأن يبتعد فى تفسيرهما عن كل ما أظهر العلم بطلانه وعن كل مالا يتفق وقواعد اللغة العربية .

يجب أن تهذب العقائد والعبادات وتنقى مما جد فيها وابتدع وتهذب العادات الاسلامية بحيث تتفق والعقل وقواعد الاسلام الصحيحة.

يجب أن يدرس الفقه الاسلامى دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الادلة وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالاحكام المنصوص عنها فى الكتاب والسنة والاحكام المجمع عليها والنظر في الاحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والامكنة والعرف وأمزجة الامم المختلفة كما كان يفعل السلف من الفقهاء .

يجب أن تدرس الاديان ليقابل مافيها من عقائد وعبادات وأحكام بما هو موجود فى الدين الاسلامى ليظهر للناس يسره وقدسه وامتيازه عن غيره في مواطن الاختلاف ويجب أن يدرس تاريخ الاديان وفرقها وأسبات التفرق وتاريخ الفرق الاسلامية على الخصوص وأسباب خلافها

يجب أن تدرس أصول المذاهب في العالم قديمها وحديثها وكل المسائل العلمية فى النظام الشمسى والمواليد الثلاثة مما يتوقف عليه فهم القران في الآيات التى اشارت الى ذلك .

يجب أن تدرس اللغة العربية دراسة جيدة كما درسها الاسلاف وأن يضاف الى هذه الدراسة دراسة أخرى على النحو الحديث في بحث اللغات وآدابها .

يجب أن توجد كتب قيمة فى جميع فروع العلوم الدينية واللغوية على طريقة التأليف الحديثة وأن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة (في عصور الاسلام الزاهرة) والطرق الحديثة المعروفة الآن عند علماء التربية وعلى الجملة يجب أن يحافظ على جوهر الدين وكل ماهو قطعى فيه محافظة تامة وأن تهذب الاساليب وويهذب كل ماحدث بالاجتهاد بحيث لايبقى منه الا ماهوصحيح من جهة الدليل كل ماهو موافق لمصلحة العباد .

يجب أن يفعل هذا لاعداد رجال الدين لان رسالة النبى صلى الله عليه وسلم عامة ودينه عام . ويجب أن يطبق بحيث يلائم العصور المختلفة والامكنة المختلفة وان لم يفعل هذا فانه يكون عرضة للنفور منه والابتعاد عنه كما فعلت بعض الامم الاسلامية وكما حصل في الامة المصرية نفسها اذتركت الفقه الاسلامى لانها وجدته ، بحالته التى أوصله اليها العلماء غير ملائم ، ولو أن الامة المصرية وجدت من الفقهاء من جارى أحوال الزمان وتبدل العرف والعادة وراعى الضروريات والحرج لما تركته الى غيره لانه يرتكن الى الدين الذى هو عزيز عليها

ولست أنسى أن هذه الدراسة التى اسلفت بيانها دراسة شاقة تحتاج الى مجهود عظيم وتحتاج الى رجال والى مال يكافأ به العاملون ، ولكن سمو المطلب يحملنا على تذليل كل عقبة تقف فى طريقه وتوجب علينا السخاء والبذل لاننا نريد اصلاح أعز شىء على نفوس الجماهير ونريد بهذا الاصلاح تقويم هذه الامة ونهوضها .

وليس من السهل أن يكلف شخص وحده بهذه الدراسة على اختلاف انواعها بل من الواجب ان يفكر في طريقة التقسيم وجعل الدراسة أقساما وأنواعا متميزة.

وبعد هذا أستطيع أن أضع اساساً اجمالياً للنظام الذى أبغى أن يكون عليه الازهر والمعاهد الدينية .

١ – يجب أن يقسم التعليم الدينى الى قسمين : قسم يحدد عدد تلاميذه وترتب درجات التعليم فيه وتبين لهم حقوقهم والغايات التى تراد منهم والاعمال التى تسند اليهم من أعمال الدولة ، وهذا هو القسم الذى سيكون موضع العناية ومكان الرجاء والامل : وقسم لا يحدد عدده ولا ترتب درجات التعليم فيه ولا يكون له شىء من الحقوق فى أعمال الدولة ، وانما الغاية من وجوده هى سد حاجة من يريد التفقه في دينه ومعرفة اللغة العربية ليخرج من الجهالة الى نور العلم ويقنع بالعلم نفسه . وتوضع لهذا القسم نظم لا يقصد منها اكثر من مراقبة الاخلاق ومن تعليم أفراده تعليما صحيحا بعيدا عن العقائد الفاسدة موصلا الى روح الدين موصلا الى خلق قويم والقسم الاول تجعل درجات التعليم فيه ثلاثا فيكون ثلاثة أقسام

١ — القسم الاولى مدته خمس سنوات

٢ — « الثانوى « « «

٣ — « العالى « « «

والتعليم فى الاثنين الاولى والثانوى يكون عاما على مثال التعليم فى المدارس الاميرية ويعلم فيهما كل ما يعلم فى المدارس الاميرية ما عدا اللغات ، وتعلم فيهما علوم الازهر الاصلية بالقدر المؤهل لدخول الاقسام العالية تعليما لا يكون قوامه حفظ الدروس وانما يكون قوامه فهم العلم والمران على البحث والتدليل وتربية الملكات . وقد يلاحظ أن المدة لا تحمل علوم الازهر وتعليم ما يدرس فى المدارس الاميرية ؛ ولكن هذه الملاحظة تزول اذا لوحظ أن الطالب فى المعاهد يؤخذ فى سن عالية عن سن التلميذ فى المدارس الاميرية ، ويغلب أن يكون

ألم بكثير من المعلومات فى المدارس الاولية ، وأن يكون حافظاً للقرآن فاستعداده وسنه يسمحان بان يحتمل هذا المقدار الذى يراد أن يعلمه . على ان الشروط التى توضع لقبول التلاميذ فى القسم الاولى كفيلة بابعاد من لا يقوى على احتمال هذه الدراسة ويقسم التعليم العالى لى ثلاثة أقسام:

١ـ قسم اللغة العربية

٢ـ قسم الفقه

٣ ـ قسم الارشاد والدعوة

ويجب ن يلاحظ انى حيث اعرض لهذه الاقسام وحيث أبين ما يدرس فيها فانى اضع رسما اجماليا قابلا للتهذيب واترك تفصيله الى ان يحين وقت التفصيل فتؤلف له لجان فنية

أما القسم الاول فتدرس فيه علوم اللغة من نحو وصرف ووضع وعلوم البلاغة وأدب اللغة العربية وتاريخ الآداب وعلم النفس والتربية ؛ ويعلم التلاميذ فيه بعض اللغات التى لها اتصال وثيق باللغة العربية ؛ ويدرس فيه الكتاب والسنة من حيث اتصال اللغة العربية بهما ومن حيث اتصالهما بآدابها

وأما القسم الثانى فيدرس فيه الكتاب والسنة دراسة مفصلة ، وبخاصة من ناحية الاحكام الفقهية . ويدرس أصول الفقه وتقارن المذاهب الاسلامية بعضها ببعض مع عرض الادلة ، ومع التعرض للترجيح من جهة الدليل والعرف والعادة ومن جهة المصالح العامة وتقارن المذاهب الاسلامية بالقواعد العامة في أصول القوانين ويدرس تاريخ التشريع الاسلامى وما يلزم للقاضى والمحامى من نظم القضاء والادارة وقوانين المرافعات .

وأما القسم الثالث فيدرس فيه المنطق والتوحيد الاسلامى والاخلاق والفلسفة قديمها وحديثها وتاريخ الاديان والمذاهب مع مقارنتها بالدين الاسلامى ويدرس أدب اللغة والقرآن والسنة وبخاصة من ناحية طرق الهداية والارشاد .

بعد ذلك انتقل الى الغاية من هذا التعليم النظامى وسأجد نفسى مضطراً الى شيء من الاطالة فى القول :—

عند ما فكرت الحكومة المصرية في انشاء مدرسة دار العلوم لتخريج أساتذة اللغة العربية فى المدارس الاميرية كان العلماء فى الازهر لا يعنون الا بدراسة القواعد وفلسفتها دراسة نظرية بعيدة عن التطبيق ، وبدراسة الالفاظ وخدمة عبارات المؤلفين ولا يعنون بالغاية من اللغة ولا بخدمة اللغة نفسها !! يشهد بذلك أن أسلوب الكتب المؤلفة فى تلك الايام بعيد كل البعد عن اللغة ، ويشهد بذلك أن بعض كبار العلماء ممن شاهدناهم لم يكونوا يحسنون التعبير عن أغراضهم ولا يزال منهم بقية الى اليوم. وكان العلماء أيضاً لا يدرسون شيئاً من العلوم العامة كالتاريخ والحساب والهندسة وتقويم البلدان . وكانوا يحافظون على ما هم عليه أشد المحافظة ولا يرون الخير الا فيما هم فيه ، فلم تكن معلوماتهم العامة ولا طرائق تعليمهم مؤهلة لتوليهم تعليم النشء في المدارس الاميرية على النحو الحديث .

وعند ما فكرت الحكومة فى إنشاء مدرسة القضاء الشرعى كان الازهر على النحو الذى وصفته وكان فيه علماء يحرمون تقويم البلدان والتاريخ والحساب ، ويكتبون مقالات فى الجرائد ضد هذه العلوم وكان ولاة الامور يشكون من أن القضاة لا يعرفون الارقام ولا يعرفون طرق التوثيق ولا يعرفون من العلوم العامة ما يجب ان يعرفه شخص يتولى الحكم بين الناس . وقد بدل الله هذه الاحوال وأصبح قانون الازهر مشتملا على ضعف العلوم التى كانت تدرس من قبل ، وأصبح يدرس فيه التاريخ الطبيعى وتدرس فيه الطبيعة والكيمياء ويدرس فيه الجبر والهندسة ، وقبل الازهر فى قسم تخصص القضاء الشرعى مدروسا في وظائف الأعضاء ودروسا في التشريع . قبل الازهريون كل جديد وأعدوا أنفسهم له وزالت كل العقبات التى كانت قبل ولم يبق الا اصلاح طرق التعليم وايجاد المعلمين الاكفاء وتوزيع العلوم على الاقسام توزيعا صحيحا . واذا كانت هناك بقية

تعترض الجديد فلم يبق لها من الشأن ماتستطيع معه أن تكون عقبة فى طريق الاصلاح .

في الدولة الآن مدارس متعددة لنوع واحد من التعليم . فيها دار العلوم لتعليم اللغة ، وفيها الازهر وكل المعاهد لعلوم اللغة ، وفيها القضاء الشرعى للفقه ونظم القضاء ، وفيها الازهر للفقه ونظم القضاء . وفيها تجهيزية دار العلوم وفى الازهر اقسام تماثلها .

تنفق الدولة على هذه المدارس جميعها ومن الممكن أن تقتصد فى هذه النفقات ومن الممكن أن تضم هذه النفقات بعضها الى بعض وتوحد جهودها لتخرج امثلة أحسن من هذه الامثلة .

فى الدولة أشكال مختلفة من العلماء تخرجوا فى مدارس مختلفة يحسد بعضهم بعضا وينقم بعضهم على بعض ، ولهذا أثره فى افساد الاخلاق

لم لا يحملنا هذا كله على التفكير فى توحيد الجهود وتوحيد النفقات ونجعل قسم اللغة العربية لجميع مدارس الدولة والازهر . وتخصص فرقة من قسم الفقهاء لتحل محل مدرسة القضاء لتكون ينبوعا للقضاء والمحامين والمفتين وتلغى تجهيزية دار العلوم والقضاء ؟

أول مايعترضنا فى هذا ان مدرسة دار العلوم أنشئت للحاجة اليها وقد حققت الامال فيها فاخرجت للدولة علماء أحيوا اللغة العربية وادابها بعد أن كادت تندرس وكأنها من أهم الاسباب لنشر تلك اللغة وتحبيبها الى الناس بينما الازهر ضعف التعليم فيه وأصبح محلا لشكوى الامة وشكوى أهله أنفسهم ، وليس من الحكمة بناء على الامال فى الازهر ان نميت مدرسة محققة الفائدة وكذلك الحال فى مدرسة القضاء .

ولكننا على الرغم من قوة هذه الحجة يمكننا التغلب عليها بمراعاة مايأتى :

قد كان الازهر منفصلا عن الحكومة فى الماضى انفصالا تاما فلم يكن له بها علاقة الا بمبلغ يسير من الرزنامه كان حقا له عليها ولم يكن للحكومة اشراف عليه

وقد تبدل الحال فصارت ميزانية الازهر الضخمة أكثرها من وزارة المالية وبعضها من وزارة الاوقاف ، وصار لرئيس الدولة حق الاشراف عليه وصار مسئولا عنه أمام البرلمان ، وأصبح من اليسير على الامة والحكومة أن تعرفا فيم تنفق الاموال وبأى شيء تشتغل المعاهد وعلى أى نحو تسير.

ثم اندماج دار العلوم والقضاء سيفضى حتما الى ادخال أساتذة المدرستين فى الازهر والى وجود الصلة التامه بينهم وبين العلماء فهذه السلة التى من شأنها أن توجد تماس الافكار ستنتج نتائجها الحسنة فى احسان الدراسة وستكون هناك عناصر قوية من رجال التعليم فى مجالس الادارة والمجلس الاعلى ، وفى التفتيش على المعاهد . وعلى الجملة ستوجد كل الضمانات التى تطمئن النفوس الى أن المعاهد لا ترجع القهقرى .

هذا الذى قلته مضافا إلى توحيد التعليم وتوحيد النفقات وتجانس العلماء فى الدولة من شأنه أن يحملنا على المضى فى هذا الطريق .

وتختص مدرسة القضاء على نظامها الجديد بكلمة لابد لى من التصريح بها: لست أرجو للقضاء الشرعى خيرا من هذه المدرسة على نظامها الجديد وقد كان نظامها منذ انشئت الى سنة ١٩٢٣ خيرا من هذا النظام الجديد .

ذلك اننا حتى اليوم ليس لنا مراجع فى القضاء إلا تلك الكتب المؤلفة فى القرون الماضية وهى كتب معقدة لها طريقة خاصة في التأليف لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية وانما يفهمها من مارسها ومن على فهمها وعرف اصطلاح مؤلفيها . وأيضا فان العلوم الشرعية التى يحتاج اليها القاضى مشتبكة يستمد بعضها من بعض ، والاعنى للفقيه عن تعرف علوم كثيرة ترتبط بالفقه . ونظام المدرسة الجديد قطع الصلة أو أضعفها بين تلاميذ مدرسة القضاء وبين الكتب القديمة . فالتلاميذ الذين يتخرجون فى التجهيزية وينقلون الى مدرسة القضاء ليس لهم من المؤهلات ما يعدهم لتفهم تلك الكتب والى هضم تلك المعلومات التى وضعت لهم فى البرنامج .

ولست أدافع الآن عن الكتب القديمة (بل وأرجو الله أن يمكننا من الاستغناء عنها باحسن منها) وانما ادافع عن الموجود الذى قضت الضرورة بوجوده فنحن في حاجة الى رسل بين القديم والحديث ، واولئك الرسل يجب ان نعلمهم القديم والحديث ليخرجوا للناس حديثا جيداً فلا بد لنا من علماء فيهم من القوة مايستطيعون بها فهم تلك الكتب القديمة ومعرفة تلك الطرائق القديمة، وفيهم من القوة مايستطيعون معه تصوير ذلك فى أسلوب حديث . ولذلك فانه يجب أن يراعى في النظام الجديد للازهر عدم اهمال طرقة الأصلية فى البحث وفهم الكتب .

أما المدرسة — على نظامها — منذ انشئت إلى سنة ١٩٢٣ فانها تستحق الثناء ولا أجد ماأعيبها به . ولكن أستطيع القول بان تعهد الأزهر والمعاهد بالرقابة وحسن الادارة يخرج للامة مثل علماء تلك المدرسة أو أحسن منهم.

وقد أشير فى تقرير لجنة أصلاح الأزهر سنة ١٩٢٣ الى شىء من المقارنة بين القضاة خريجى الازهر والقضاة خريجى المدرسة ، ويحسن الرجوع اليه لأنه يفيد فيما نحن بصدده .

وخلاصة ماأسلفته أن تندمج تجهيزية دار العلوم والقضاء ومدرسة دار العلوم فى المعاهد ، على أن توضع قواعد وقتية لهذه المدارس بالنسبة لتلاميذها الموجودين فيها الآن .

أما امتيازاتهم فهى كما يأتى : —

علماء اللغة العربية يكونون أساتذة في الازهر والمعاهد الدينية وفى جميع مدارس الحكومة ومجالس المديريات .

علماء الفقه يكونون أساتذة العلوم الشرعية فى الازهر والمعاهد الدينية وجميع مدارس الحكومة ، وعلماء فرقة القضاة يكونون قضاة ومحامين ومفتين وأساتذة أيضاً :

وعلماء الارشاد والدعوة يكونون أساتذة في الازهر والمعاهد ويكونون خطباء وأئمة ووعاظا ومرشدين.

أما شهادة القسم الاولى فليس لهـا شيء من الحقوق إلا تأهيل صاحبهـا لدخول القسم الثانوى وأما شهـادة القسم الثانوى فتؤهل صاحبها للاقسام العالية وتؤهله لوظائف الـكتابة فى المحا كم الشرعية والمعاهد الدينية .

وقد ينظر بعـد في علاقة هـذا القسم وبعض الاقسام العالية بالجامعة المصرية اذا اراد واحـد من حاملى شهـاداتها دخول الجـامعة المصرية في بعض اقسامها :

وقد يصح أن يقال : لنـدع دار العلوم ومدرسة القضاء تمضيان فى طريقهما ولنصلح الازهر على هـذا النحو الذى أشير اليه وليس هناك ضرر في وجود مدارس متعددة صالحة غير أن ما اشرت اليه بالنسبة لمدرسة القضاء يحملنا على عدم السكوت على نظامها الحاضر وما أشرت اليه بالنسبة الى الغاية العظيمة التى ننشدها من توحيد التعليم وتجانس العلماء ، ومن الفائدة التى تعود على المعاهد نفسها من ادخال العناصر القوية فى اللغة العربية وهم علماء دار العلوم إلى الازهر يجعلنـا نفضل طريق التوحيد على طريق التعدد

وهناك أمر لا يصح الاغضاء عنه . ذلك أن وجود مدارس دار العلوم والقضاء وتجهيزية دار العـلوم مؤثر فى الازهر والمعاهد من حيث الرغبة فيهما لان نتيجة الازهر (اذا لم يخرج قضاة ومحامين وعلماء اللغة العربية فى مدارس الحـكومة) تقتصر فى اخراج علماء للمعاهد وخطباء للمساجد وهي نتيجة غير مرغبة ومن شأنها أن تجعل التعليم الدينى فى المعاهد مقصوراً على بعض الطبقات التى ليس لها فى الحياة آمال سامية وهذه الطبقات وحدها قد لا تؤمن على هذه الوديعة وديعة الخلق الدينى والثقافة الاسـلامية . ومن الواجب أن لا يغيب عنا ونحن

فتقدم لتهذيب التعليم الدينى وتقويم أخلاق الامة أن تشجع الطبقات الراقية على الدخول فى هذه المعاهد لتقوم بما يطلب منها من العناية بالاخلاق

وأمر آخر وهو أن سلب الامتيازات القديمة التى كانت للازهر من تخريج القضاة والمحامين وعلماء اللغة العربية يؤثر أمام الرأى العام داخل الدولة المصرية وخارجها فى الاقطار الاخرى فى جامعة الازهر والمعاهد ، ومن واجب الدولة المصرية ان تحافظ على كرامة هذا المعهد القديم وأن ترد له مجده فانه واسطة اتصال وثيق بين الامة المصرية وغيرها من الامم . واذا أحسن استخدام هذه الواسطة عادت بفائدة أدبية ذات قيمة على الشعب المصرى .

ومتى تم تنظيم الازهر وأخذ مكانته فستعود له ثقة الامم الاسلامية وتطلب منه علماء مرشدين خصوصاً اذا علمت فيه اللغات التى يحتاج اليها المرشد اذا ذهب الى بلد من البلاد الاسلامية .

هذا هو مجمل رأيى فى اصلاح المعاهد والتعليم الدينى قد أقدمه خاليا من التفاصيل حتى اذا ما صادف قبولا واتفق على النقط الاساسية فيه أمكن الشروع فى تأليف اللجان الفنية التى تبحث أجزاء المشروع وأمكن بعد ذلك أن نرجع الى القوانين لاصلاحها .

وقبل أن أختم كلمتى هذه أشير الى أن من الممكن ايجاد كل الضمانات لحسن سير التعليم فانك بتأليف مجالس الادارة ومجلس الازهر على وجه تمثل فيه وزارة المعارف تمثيلا قويا وبان يكون قسم التفتيش على اللغة العربية والعلوم الحديثة مشتملا على رجال يكون لوزارة المعارف رأى فى اختيارهم ، بل ويمكن أيضاً أن يكون لوزارة المعارف مندوبون لحضور الامتحانات .

ولا بد أيضاً من أن أصرح بان الازهر لا ينبغى أن يعنى باخراج معلمين للمدارس الاولية ، وسننظر فى انهاء هذه الدراسة الخاصة بالتعليم الاولى .

كما أنه لا بد لى أيضاً من الاشارة الى وجوب الغاء قانون التخصص فقد دلت

التجارب على عقم نتائجه ، ولذلك أسباب كثيرة قد يحسن عدم الافضاء بها وأيضاً فان النظام الذى أشرت اليه وهو نظام تقسيم الدراسة العالية سيضمن تخريج علماء لهم تفوق فى علوم الاقسام التى يدخلونها .

وأسأل الله أن يهيىء للازهر والمعاهد طريق الفلاح والنجاح فى ظل مولانا حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول وأن يوفق رجال دولته الى عمل الخير لهذه الطائفة واللامة المصرية جمعاء .

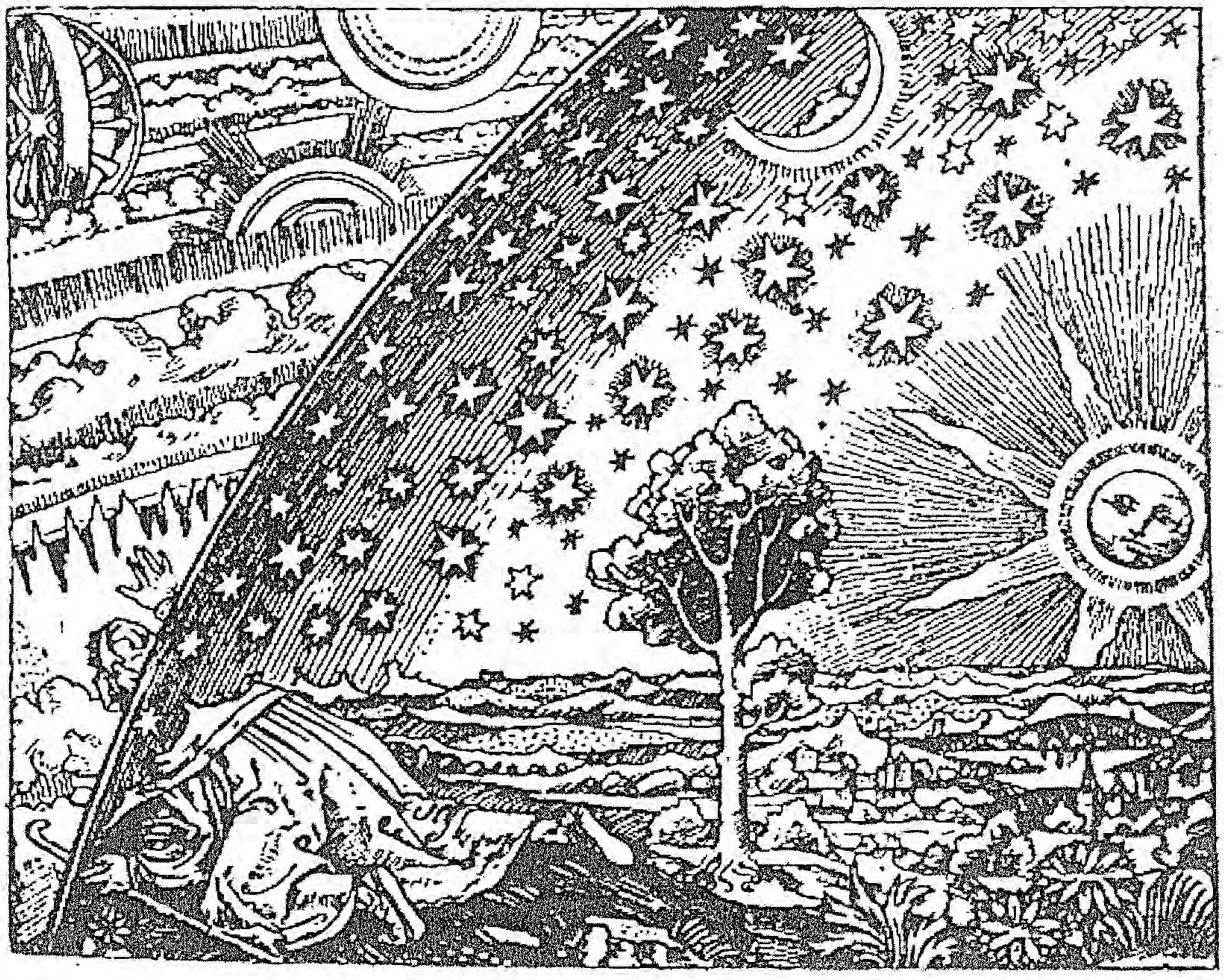
لمحة فى النظام الكونى

عظمة الكون وعظمة الانسان

* * *

١ — كوبر نيكوس والمعتقدات القديمة

اعتقد القدماء أن الأرض فى وسط النظام الكونى . ولم يقتصر اعتقادهم على انها فى وسط النظام الشمسى وحده ، بل فى وسط العالم الكونى في مجموعه . واعتقدوا بجانب هذا أن النجوم المضيئة سابحة فى فضاء الكرة الأرضية بل زعموا بانها رؤوس مسامير من الذهب الوهاج سمرت بها القبة الزرقاء لتثبت في مكانها . وكان أول من زعم هذا الزعم الفيلسوف انكسيمندر اليونانى منذ ٢٥٠٠ سنة مضين . على أن قليلا من مفكرى القدماء قد شكوا فى ما للارض من



ش (١)

الكون كما تصوره أهل القرون الوسطى

قيمة فى نظام الأشياء الكونية ، وقالوا بان النجوم عبارة عن عوالم كعالم الارضى ، وتمتاز عنه بكبر الحجم وجلال القدر ، وانها تظهر صغيرة لبعدها الشاسع عنا . غير أن العقل الانسانى احتاج الى الف من السنين ليدرك ادراكا صحيحاً أن الأرض ليست فى وسط النظام الجرمى ، وإنها ليست كما كان يقول القدماء ، تاج الوجود ، وانها ثابتة ثبوتاً تاماً فى وسط الكون . غير أنه لم يتح لاحد غير نيقولا كوبر نيكوس أن يزحزح الأرض بقوة عقله عن مكانها الذى اختاره لها القدماء ، ووضعها فى مركزها الحقيقى كسيار صغير من جملة السيارات التى تدور حول الشمس ، بل جعلها نقطة او ذرة صغيرة ملقاة في صحراء الكون الشاسعة اللامتناهية ، كبقية الذرات التى تتكسر اضواؤها الضعيفة على شاطىء اللانهاية .

٢ حياة الاجرام .

اذا اعتبرت الارض ذرة في وسط الكون ، وجب أن يعتبر الانسان ذرة فوق الارض أما الذرة الصغيرة التى نسميها الانسان ، فعلى حقارتها قد استطاعت أن تدرك بقوتها العاقلة حقيقة النظام وأن تغزو اللانهاية بقوة الفكر . فقد عرف أن الاجرام السماوية التى تخيل أنها باقية بقاء الازل تولد وتهرم وتموت كما تذبل الزهور الغضة فى الحقول المتسعة المترامية ، وليس من يعيرها التفاتاً أو يأبه لها . وان للنجوم مولداً ومصرعاً ، كمولده ومصرعه .

زحل أشرف الكواكب داراً من افناء الردى على ميعاد

وهذه الكلمة الخالدة التى قالها فيلسوفنا المعرى ، قد حققها الفلكيون بالمشاهدة فى العصور الحديثة .

غير أن عجلة الحياة الانسانية إذ تدور بسرعة فائقة على مقتضى قياس الزمان النسبى ، فانه لا يستطيع أن يرى الاجرام تولد وتموت لطول عمرها ، وقصر عمره . بل نقول إن الخيط الذى تحاك منه أعمار الاجرام يسير ، وذلك

بنسبة ما نرى من قياس الزمان ؛ في نول الطبيعة ببطء عظيم . وقد تمر ألوف من الاجيال قبل أن يلحق تغيير ضئيل بأية بقعة من تلك البقع المضيئة التي ترصع السماء . غير أننا اذا استطعنا ان نغير مقياس الزمان تخيلا ، وقلبنا ملايين السنين الى ثوان من مقياس زماننا الحاضر ، استطعنا ان نرى الشموس العظيمة تولد بغتة كالحشرات التي تتوالد في مدى الليل ، ثم نراها تزداد ضياءاً حالا على حال ، ثم تأخذ في الاظلام ثم تضمحل ، ثم تموت ، كما لو كنت ترى قبساً من نار في ظلام الليل ، اشتعل ثم احترق ثم انطفأ . إن الاجرام انما تولد مثلنا ثم تموت كما نموت . أما أعمارها فملايين عديدة من السنين ؛ اذا قيست باعمارنا كانت بضعة عشرات من السنين لا غير . أما ملايين السنين والثواني فشرع في حكم اللانهاية ، كلاهما واحد ؛ ولا تفريق بينهما في عرف الابد.

٣ ـ حركات الكوكبات

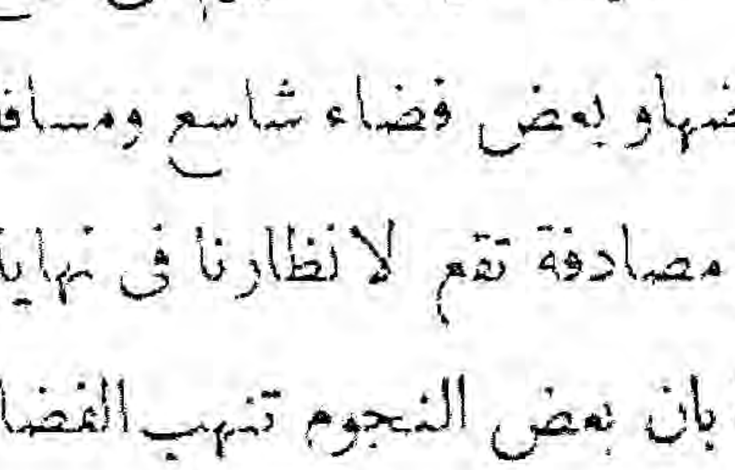
الامواج تتكسر على شاطىء اليم بلا انقطاع في تواتر واطراد مرجعه ذلك الانين المتواصل على طول الازمان . والواقع أن الناس تطلعوا بانظارهم الى الكواكب المتألقة في السماء منذ آلاف عديدة من القرون كما نفعل الآن . ولقد ضاعت الآن آثار أجدادنا الذين وقفوا فوق الارض يتطلعون بانظارهم الى السماء . فنت تلك الآثار . فلا أغنية مشجية ؛ ولا صخور نحتت عليها آثارهم لنعرف أي احساس قام في نفوسهم وهم ينظرون من فوق الارض الى العوالم الصامتة السابحة فوق رؤسهم وعن شمائلهم وأيمانهم . مضى هؤلاء في سبيل كل شيء ؛ ولا تزال الكواكب تتألق في السماء كما كانت تتألق فوق رؤسهم ؛ بل نراها ثابتة في أماكنها التي شغلتها في زمان أجدادنا الاولين. فالدب الاكبر لا يزال في شكله الاول ، وفي نظام كواكبه كما كان منذ أزمان طويلة . والتنين Dragon لا يزال ينشر سلسلة نجومه ، والنسر الواقع Vega لا يزال يرسل أشعته الزرقاء الجميلة الينا ؛ كما كان يرسلها اليهم . ظلت هذه الكوكبات ترسل أشعتها الصامتة فوق

رؤوس البشر منذ أن سكن الانسان الكهوف فى العصر الحجرى ، ومن فوق رمسيس العظيم وجيشه الاكبر الذى وجهه الى محاربة أهل سوريا في الازمان القديمة . وتطلع اليها كولمبوس فى سواد الليل وهو تائه فى بحر الظلمات ينشد أرض المعاد :

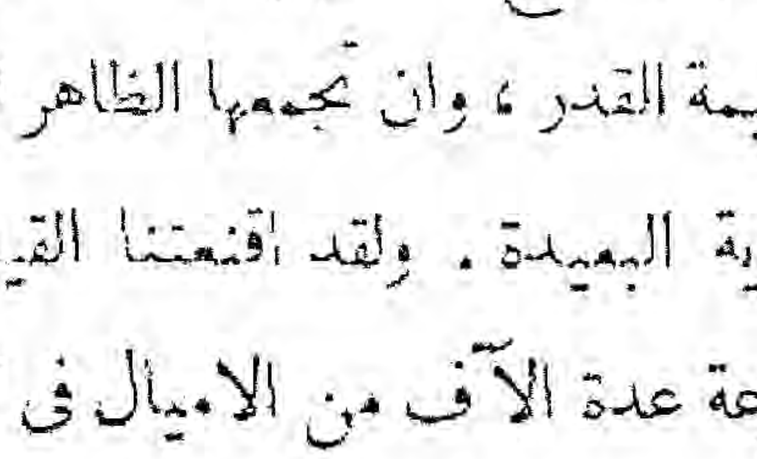
معصوب المقلة والدرب وعر وكثير الآفات
كسفين ليس لها رب تجرى فى بحر الظلمات

ورآها نابليون وناجاها وهو راجع من حربه الروسية مكسوراً ، وتطلع اليها نانسن من فوق جبال الجليد القطبية .

ومع كل هذا فالحقيقة أن هذه الكواكب تندفع كالسهم سائرة فى الفضاء بسرعة عظيمة . وأن النجوم التى تلوح لنا كأنها مجاميع — كوكبات — انما يفصل بين بعضها وبعض فضاء شاسع ومسافات عظيمة القدر ، وان تجمعها الظاهر لعيوننا انما هو مصادفة تقع لانظارنا فى نهاية الرؤية البعيدة . ولقد اقنعتنا القياسات الدقيقة بان بعض النجوم تنهب الفضاء بسرعة عدة الآف من الاميال فى الثانية وان نجوم بعض الكوكبات قد تبتعد أو تقترب بعضها من بعض ، وان كوكبات برمتها قد اندفعت نجومها فى فضاء اللانهاية بسرعة كبيرة .



ش ٢



ش ٣

الدب الاكبر ش (٢) كما كان من ١٠٠٠٠ سنة
ش (٣) كما هو الآن ش (٤) كما سيكون بعد ١٠٠٠٠ سنة .



ش ٤

وهذا التغير ولو انه يقع بسرعة فائقة ، فان الكوكبات تظهر لنا الآن كما كانت تظهر لاسلافنا وكما لو كانت النجوم التى تكونها ثابتة من اماكنها الاصلية لاتتحرك.

اذا نظرت الى قطار سريع يمر على مقربة منك ، فانك تراه يمر سريعا حتى يتعذر على نظرك أن يتبع حركته السريعة ، ولكنك اذا نظرت اليه من بعد كبير خيل اليك أنه يزحف على الارض زحفاً . وكذلك الحال فى الكواكب . فانها لبعدها الشاسع الكبير ، تلوح ، على الرغم من سرعة حركتها ، كأنها ثابتة فى اماكنها الأصلية لاتتحرك ، فنرى من الأرض وكأن كل كوكب منها يحتاج الى عشرات الالوف من السنين ليقطع من الفضاء مسافة لاتتجاوز عرض كرة القمر كما يرى فى عامه من الارض .

غير اننا اذا استطعنا أن نختزل المسافات الكونية الى بوصات ، وأن نختزل العصور المتطاولة الى ثوان ، امكننا أن نرى الكواكب الكبيرة ترقص فى الفضاء ، كما ترقص ذات الهباء صعوداً وهبوطاً فى خيط من خيوط الشمس يخترق نافذة ما .

٤ — صغر الكرة الأرضية

اذا اردت أن تتصور صغر الكرة الارضية ، فاعلم أن جرم الشمس يسع ١٢٥٠٠٠٠ جرم كجرم الأرض . فى حين ان رحاب الكون مملوءة بشموس اخرى غير شمسنا هذه ، نسبتها الى الكون كنسبة الذرات الطائرة في الفضاء الى حجرة متسعة الجنبات . وملايين من هذه الشموس العظيمة تكون تلك المنطقة البيضاء التى نسميها الطريق اللبنية — Milky Way. ملايين من الشموس ، ويحتمل أن يكون فيها ملايين الملايين من الكرات الأرضية التى تشابه أرضنا .

واذن نقول ماأحقر هذه الأرض التعيسة التى اريق من أجل بقاع دنيئة منها أنهار من الدماء الزكية ، وزهقت فى سبيلها ارواح مظلومة . ولو أن

الانسان كان قد استطاع أن يترك هذه الذرة الحقيرة السابحة فى فضاء اللانهاية



ش (٥)

Cygnns

جزء من الطريق اللبنية فى كوكبة الدجاجة

الى ذرة أخرى من ذرات الكون اذن لنقل اليها معه الحروب والخراب والدماره وإذن لعمرها بخطاياته ودناآته التى خطها على صفحات تاريخه ، وإذن لاصبحت مبلغة الامراض ومكلفاً للموت وصوره الكريهة .

غير أنه من حسن حظ الا كوان الصامتة العبيدة أن الانسان لم يجد جسراً

يعبر به اللانهاية الى طرف آخر من أطراف الكون ، ولولا شعاع ينقله الأثير في الفضاء الى الارض لما عرف الانسان أن فى الكون عوالم غير عالمة ، ولظل بعيداً عن الاتصال بالعوالم الأخرى ولو من طريق الفكر ، جاهداً نفسه فوق هذا السيار الذى نكب به ، والذى نسميه الارض.

٥ — بعد القمر والسيارات .

ماأقرب القمر من الأرض مقيساً بأبعاد الاجرام الاخرى ؟ انه أقرب « المحطات » الكونية من سيارنا الارضى . اما اذا اعتبرت المسافة الواقعة بين القمر والارض باعتبار فلكي ، لما استطعت أن تقول فيها انها اكثر من «خطوة». اما هذه الخطوة الفلكية فمقدارها ٢٤٠ر٠٠٠ ميل .

ثلاثون كرة من الكرات العظمى فى حجم كرة الارض كافية اذا وضعن الواحدة بجانب الاخرى لان تكون جسراً نعبر عليه الى القمر ! ! وقطار سريع يحتاج الى ستة أشهر ليقطع المسافة الى مهبط وحى الشمر . اما أشارة لاسلكية فلا تحتاج لاكثر من ثانية الا قليلا لتصدم الجبال الصامتة التى تكسو وجه القمر. وعلى الرغم مما يفصلنا عن القمر من المسافات الطويلة، فان القمر ، فلكيا، يمكن أن يعد جزء من الارض فهو تابع مطيع لها ، أو هو بمثابة « جزيرة » سابحة فى أقرب فضاء الارض .

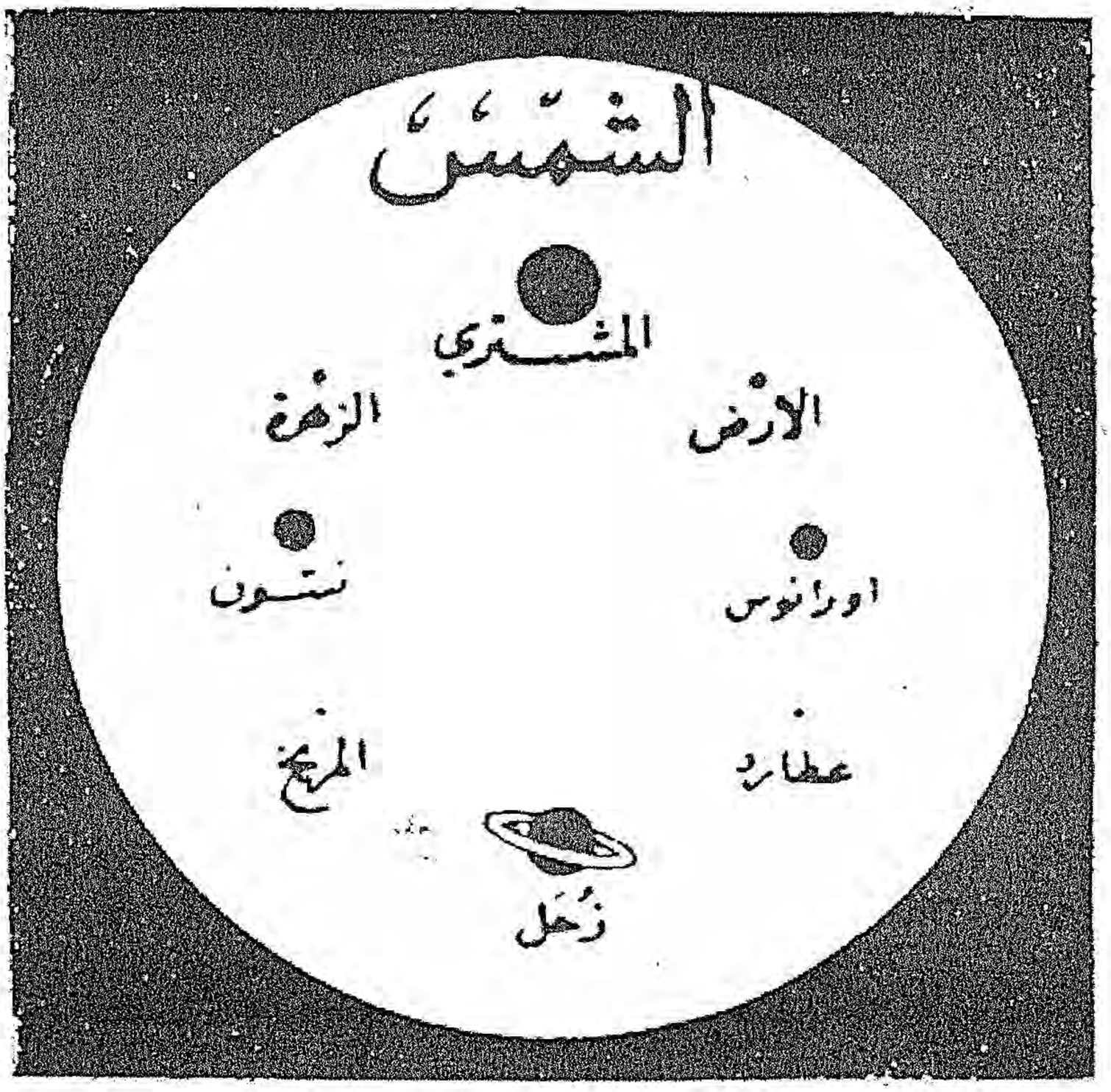
على أن المسافات تتسع وتزيد رويداً رويداً اذا نحن أردنا أن نزور اخوات الارض وأولاد عمومتها من الكواكب التى ندعوها السيارات التى تدور كما تدور أرضنا حول الشمس ؛ ونجتمع من حولها كما تجتمع الافراخ حول الدجاجة الكبيرة

تهبط الشمس وتزل عن الافق ويخيم الظلام على الارض . ومع هذا ترى الزهرة Venus مضيئة براقة ، كقبس من نور المغنيسيوم يتألق فى كبد السماء . والزهرة أقرب السيارات من فلك الارض فى دورتها اذ تكون فى بعض

الاحيان على بعد ٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل منا . ولكن ما أسهل ما نكتب هذه الارقام ، فى حين أنه يصعب علينا أن نتصور مقدار ما نعنى بها . تصور أن الزهرة تكون فى أقرب نقطة من الشمس عندما يكون بعدها عنا بمقدار ١٠٤ مرات مقدار بعد القمر ! ! سياحة يقطعها القطار السريع في ٥٢ سنة فقط ! أما كرة مدفع تخترق الفضاء بسرعة ١١٠٠ ياردة فى ثانيتين ؛ فانها تحتاج الى سنتين ونصف لتقطع هذه المسافة . اما اشارة لاسلكية فتحتاج الى دقيقتين وثلاثة ارباع الدقيقة ؛ لان الامواج الكهربائية تنتشر بسرعة ١٨٦٫٠٠٠ ميل فى الثانية .

على الرغم مما نرى في مكان الزهرة من بعد شاسع، فانها أقرب السيارات من الارض . أما الشمس فتبعد عنا أربعة أضعاف بعد الزهرة ،! ، ان الوصول اليها يحتاج الى قطار سريع يستمر ذاهباً الفضاء ١٩٠ سنة بلا توقف . أما كرة المدفع فتحتاج الى تسع سنوات ونصف فى حين أن الموجة الكهربائية تحتاج الى تسع دقائق وثلاث دقيقة

وكذلك تستطيع أن تقول ان الشمس فى مكان من أقرب الامكنة الكونية الى الارض . فاننا مهما طفنا فى مجاهل النظام الشمسى فاننا لانزال في عشنا الكونى . فان المشترى Jupiter يبعد عن الارض خمسة أضعاف وخمس بعد الارض عن الشمس . اما زحل saturn بحلقاته الجميلة وأقماره الثمانية فيبعد عنا مضاعف بعد المشترى . فان المسافة التى تفصل بين الارض وزحل عندما يكون فى أقرب نقطة الى الارض لايقل عن ١٦٠٠ مليون ميل ! ! مسافة يقطعها قطار سريع في ٣٣٠٠ سنة بلا توقف . اما كرة المدفع فتحتاج ١٦٠ سنة ، كما ان الاشارة اللاسلكية تحتاج الى ساعتين ونصف لتصل بين الارض والسيار أورانوس .



ش ٦

نسبة السيارات للشمس

ومع كل هذا ؛ فانك اذ وصلت الى أورانوس فانك لاتكون قد اجتزت منطقة النظام الشمسى . فمن وراء هذه الحدود فضاء متسع تجرى فيه المذنبات والنجوم الضالة حيث تسبح فى لانهاية من الخلاء . وكذلك يتنقل بنا الخيال الى ان نصل الى السيار نبتون ، وهو يبعد عن الشمس بمقدار ٢٧٨٨ مليون ميل . على أن أرضنا تكون قبل ان نصل الى هذه الاعماق القصية قد اختفت عن الانظار فى جوف ذلك الفضاء . اما المسافة الكبيرة التى تفصلها عن الشمس فتلوح لراء من سطح نبتون كأنها بعض الخطوات القصيرة فى مقياس اللانهاية ، واما جرم الارض الذى يحمل ١٥٠٠ مليون من النسمات البشرية فيكون قد اختفى تحت ظل الاشعة القوية التى تبعثها الشمس فى الفضاء المحيط بها . اما اذا أردنا الرجوع الى الارض من سطح نبتون فاننا نحتاج الى ٥٧٠٠ سنة نقضيها فى قطار سريع ، أو الى ٢٨٥ سنة ، اذا شئنا أن نحملنا كره مدتع ! ! اما الامواج الكهربائية التى

تقطع محيط الكرة الارضية سبع مرات فى ثانية واحدة ، فتحتاج الى أربع ساعات وكسر لتنقل رسالة من الارض الى نبتون .

اى شيء نستنتج من هذه الارقام ؟

أنها تبهرنا وتترك عقولنا عاجزة عن الفهم . ومع كل هذا فان هذه الارقام على عظمتها لاتخرجنا عن عشنا الكونى ، فانك حتى بعد ان تصل الى نبتون تكون فى حيز نظامنا الشمسى !

تأمل فى اللانهاية قليلا تعتقد أن الانسان حقير . فما بالك بنزعاته السفلى ؟

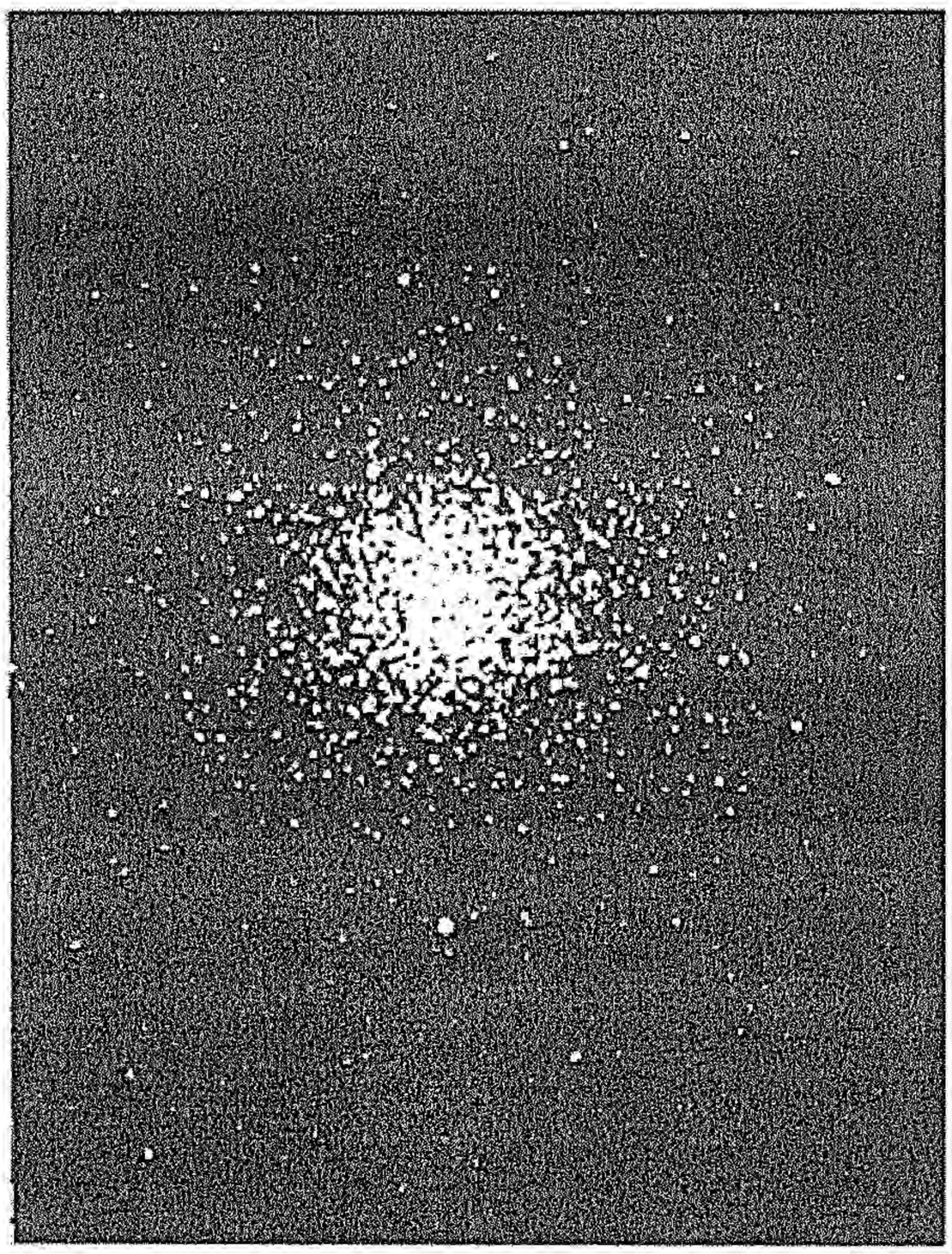
٦ — الشموس المجاورة لنا

اذا بلغنا نبتون ، كنا على تخوم النظام الشمسى . اما الكون ففيه من النظامات الشمسية عدد عظيم . فاذا حلقنا فى جو نبتون ، فاننا نيمم شطر تلك النجوم التى كانت تظهر لنا من الارض كأنها داخلة فى جوها . على اننا نحتاج الى زمان طويل حتى ندخل في منطقة نظام شمسى آخر غير نظام شمسنا . فان قليلا من النجوم تقرب من نظامنا الشمسى ، وهى التى يمكننا أن نقيس ابعادها بشيء من الدقة . واقرب هذه النجوم الينا كوكبة قنطوروس ، حيث تضيء براقة فى نصف القبة الجنوبى . وكوكبة قنطوروس هى اقرب الكوكبات الى الشمس غير انها تبعد عنها بمقدار ٩٠٠٠ ضعف بعد نبتون عن الشمس اما قطارنا السريع فيحتاج الى ٥٢ مليون سنة ليصل الى اقرب محطة من كوكبة قنطوروس . فى حين ان كرة المدفع تحتاج الى مليونى ونصف مليون سنة ، كما أن الشرارة الكهربائية لاتبلغ تلك الابعاد السحيقة الا فى اربع سنوات وكسر هو ٣ من عشرة لتقطع هذه المسافة التى تبلغ ٢٥ بليون ونصف ميل ! ! غير ان هذه الارقام لعظمها لاتنقل إلى اذهاننا فكرة ثابتة . اذن فلنجرب طريقة اخرى لنعرف مقدارها . فاننا اذا فرضنا أن المسافة التى تفصل بين الشمس والأرض لاتزيد عن بعدها بين عينينا فقط ، فان كوكبة قنطوروس على نفس هذه النسبة تكون بعيدة عنا بمقدار عشرة

بالميال او يزيد قليلا. ومع كل هذا فكوكبة قنطوروس هى اقرب جيراننا فى اللانهاية

٧ — السنون النورية

لقد اضطر الفلكيون اذ هم مرغمون على أن يعرفوا مقدار هذه الابعاد القصية ، واذ وجدوا أن قياس المسافات بالارقام لا يسد حاجتهم ، عمدوا الى طرق اخرى فى قياس الابعاد . ولهذا رجعوا فى قياس الثوابت الى حساب السنين النورية . فان قبساً من النور اذا اضاء فى مكانه استطاع مراء أن يرادفى الوقت الذى يشتعل فيه ، ولو كانت



ش ٧ ـ مجموع من النجوم فى كوكبة قنطوروس

المسافة التى تفصل بينهما آلاف من الاميال . ذلك لان النور ينتشر فى الفضاء بسرعة تلوح بجانبها المسافات الارضية تافهة لاشىء . اما سرعة انتشار الضوء فقد قيست على وجه الضبط ، فكانت ٠٠٠ ر ١٨٦ فى الثانية . ومعنى هذا أن النور يقطع محيط الارض عند خط الاستواء ثمانى مرات فى الثانية . وقد عرف أن سرعة انتشار الضوء مساوية تماما لسرعة التموجات الكهربائية . وعلى هذا نجد أن النور يحتاج الى ثانية وربع ليصل الينا من القمر ، وثمانى ثوان وثلث ليقطع المسافة التى تفصلنا عن الشمس . اما المسافة التى يستطيع النور قطعها فى سنة فتدعى فى علم الفلك سنة نورية . ولما كانت السنة عبارة عن ٠٠٠ ر ٥٣٦ ر ٣١ ثانية ، ولما كان النور ينتشر بسرعة ٠٠٠ ر ١٨٦ ميل فى الثانية ، أذن فالسنة النورية عبارة عن مسافة كونية مقدارها ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٨٨٣ ر ٥ من الاميال

وهذا بعد يقطع القطار السريع فى ٠٠٠ ر ٠٠٠ر١٢ سنة فقط ! !

٨ — أبعاد بعض النجوم

ان كوكبة قنطوروس وفيها أقرب الثوابت الى نظامنا الشمسى ، تبعد عنا أربع سنوات وثلاثة من عشرة من السنين النورية . ومع هذا فان النور الذى تبعثه لا يصل النظام الشمسى الا بعد أربع سنوات ونصف من مقياس زماننا.

وهنالك ثوابت أخرى تبعد عنا بمقدار بعد كوكبة قنطوروس عشرة أضعاف ، لا بل مئة ضعف ! وهذه الاعتبارات نصل اليها من قياس اقدارها ونسبة حركتها . فان النجمة القطبية تبعد عنا ستين سنة نورية ؛ والعيوق Capella وهو النجم المشرق المضيء فى كوكبه «ممسكة الأعنة» ـ Auriga ـ يبعد بمقدار سبعين سنة نورية . وهنالك نجوم نكاد نراها بالعين المجردة وندعوها اصطلاحاً نجوم القدر السادس ، تبعد عنا بمقدار ٣٣٠ سنة نورية . اما نجوم القدر الثامن فتبعد عنا بمقدار ٧٨٠ سنة نورية . أما تلك النقط البيضاء الصغيرة التى تكون ما نسميه الطريق اللبنية ـ Milky Way ـ فيقدر بعدها عنا بما لا يقل عن ٤٠٠٠ سنة نورية فقط !!

على أنه من العبث أن ندرك هذه الابعاد بان نضعها امامنا فى ارقام مادية. فان هذه العظمة لا تقدرها عقولنا المحدودة .

٩ — الطريق اللبنية.

أما وقد وصلنا الى نجوم المجرة ـ Galaxy ـ فلا يجدر بنا أن نغفل عن أننا قد وصلنا نجوم عالم عظيم مشابه لنظامنا الشمسى ، وأن كان القياس من حيث الضخامة والقدر ، مع الفارق البعيد. النظر الى السماء فى ليلة صافية الاديم . فانك ترى الطريق اللبنية ممتد فى صورة عقد منحن من الشمال الى الجنوب ، مما يدلنا على أنها عبارة عن حلقة عظيمة القدر تتضمن مجاميع عظيمة من النجوم والكوكبات فى منطقتها . وهذه المنطقة العظيمة التى تمنطق السماء تتكون من ملايين عديدة من النجوم ، وملايين عديدة من الشموس ، فى حدودها القصية

التى تقدر بما لايقل عن ٨٠٠٠ سنة نورية تعثر على شموس لاعداد لها ، تسع الواحدة منها شمسنا والارض وكل سيارات نظامنا هذا ، بما فيها المشترى وزحل اللذين نسميها جبارى النظام الشمسى .

ان الطريق اللبنية عبارة عن التخوم الاخيرة التى تقع فى حدود المسافة التى تحدها كل الكوكبات التى تتضمن ملايين عديدة من الانظمة الشمسية المشابهة لنظامنا . أما اذا استطعنا أن نطير فى الفضاء نحو جوانبه المتسعة ، وأمكننا أن نخرج من حدود الطريق اللبنية ، فاننا نجد أن هذا النظام برمته بما فيه الطريق اللبنية كأنه جزيرة كبيرة مضيئة ، وان شكلها يشابه حبة الحمص . حبة من الحمص تتضمن في جوفها مالا يقل عن ٣٠٠ مليون شمس يفصل بين كل واحدة وأخرى مسافات شاسعات الابعاد ، وفى مركز هذه الحمصة شمسنا ومن حولها تدور أرضنا وبقية السيارات .

على ان هناك أسبابا حملت علماء الفلك على أن يعتقدوا بان الطريق اللبنية ليست بتابعة للنظام الجرمى الذى يلى نظامنا مباشرة بل عبارة عن منطقة محدودة أو حلقة تزدحم فيها النجوم أكثر مما تزدحم فى أى مكان آخر من بحر اللانهاية.

١٠ — ما بعد الطريق اللبنية.

ها نحن قد وصلنا الى بعد ٨٠٠٠ سنة نورية ، فهل وصلنا الى النهاية؟ كلا فانا على بعد ٨٠٠٠ سنة نورية من الارض لا نكون قد وصلنا الا الى جزء حقير من الكل العظيم فالارض بقمرها نظام وحدهما. وكذلك المشترى باقماره الاربعة، وزحل باقماره الثمانيه . وكذلك الشمس بسياراتها نظام وحدها. ثم الطريق اللبنية من بعد ذلك التى تتضمن كل هذه العوالم التى ذكرناها فانها تشغل كمية محدودة من المكان فى الفضاء ارضين وشموس وسيارات عديدة. فلماذا لا يكون هنالك عديد آخر من الطرق اللبنية أو المجرات الشبيهة بمجرتنا هذه ؟

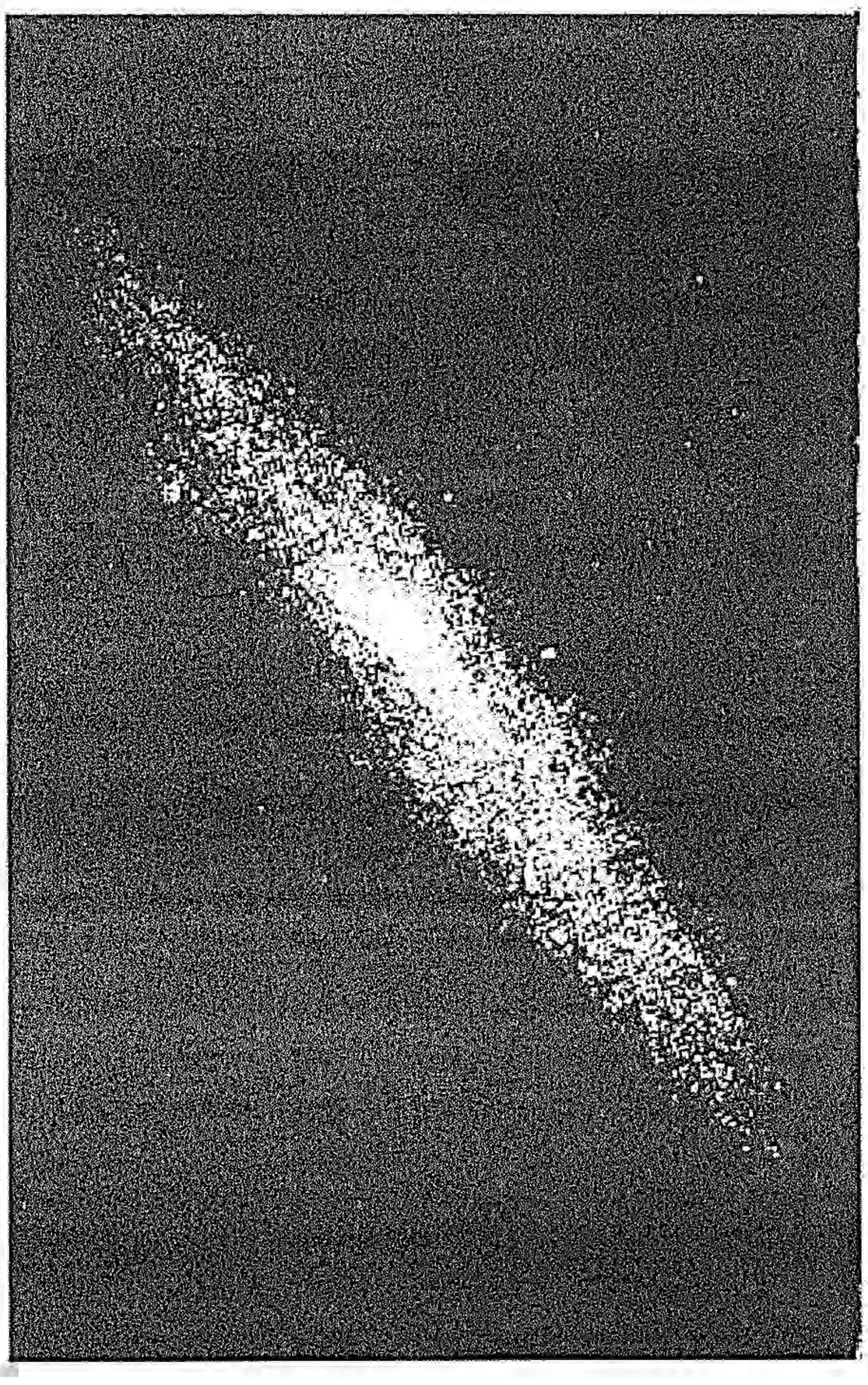
ولقد أظهرتنا التلسكوبات على بعض بقع صغيرة بيضاء دعوناها السدم ، وكان قد ظن من قبل انها عوالم خارجة عن حدود المجرة . ولا يزال البعض يؤيد هذا الرأى . ولكن هذه النظرية لم تثبت ، والراجح أنها نظم فى طور التكوين داخل

حدود الكون الذى نعرفه . غير ان القياس والمشابهات تحملنا على الاعتقاد بوجود عوالم مشابهة لعالم الطريق اللبنية ولو لم تشاهدها أعيننا.

١١ ـ الانسان والكون

اذا كان هذا هو الكون ، فاى شىء يكون الانسان ؟

الانسان من الوجهة المادية من أحقر الاشياء التى يتضمنها الكون . اما من الوجهة العقلية فهو من أعظم ماأدت اليه سنن التطور من تاريخ الاكوان .



ش ٨ ـ سديم اهليلجى

يقول باسكال : « الانسان يعرف انه حقير ، وفى ذلك سر عظمته » . كذلك لا يغيب عنا بجانب مايقول باسكل ان الانسان ومن فوقه هذه العوالم غير المحدودة ، فيه شىء يناظرها من حيث العظمة . فيه تلك « الحكمة » الداخلية ، محكمة الضمير . فانها بما تتضمن من شرائع الآداب العليا ، وبما لها من السلطة على الانسان اذا خضع لها ، تضارع فى نظرى كل هذه العوالم بما تتضمن من شموس وسيارات وسدم ومجرات .

الانقلاب الفكرى

حول الازهر واصلاحه

نشرنا فى هذا العدد مذكرة صاحب الفضيلة الشيخ المراغى بمنها ، لا لانها اقوم ماقرأنا لعالم دينى فى اصلاح الازهر ، ولا لانها قد صيغت فى قالب من الحرية الفكرية جدير بكل تبجيل واحترام لاغير ، بل لان الازهر اذا اصلح على القواعد الاولية التى عبر عنها الاستاذ المراغى احسن تعبير وشرحها احسن شرح ، بلغنا من الازهر تلك الامنية التى طالما تمنيناها للعلم وللدين فى ارض مصر ، محور العالم الاسلامى ، ومنبع التطور الحديث في الشرق العربى كله .

وما أعرف من سبب يصد الازهر عن التقدم والارتقاء ، بل وعن التفكير في أن يساير خطا الحركة الارتقائية التى اخذ كل الشعب المصرى يضرب فيها بقدم ثابت ، حتى قرأت هذا التقرير التاريخى ؛ فعلمت أن الازهر كانت تنقصه ، كما كان شأنه في كل عصر والحديث ، رأس مفكرة وضمير حر ؛ وعقل تدرب على فهم الحقائق على صورها الصحيحة ، ساير حركة التقدم العام الذى ضربت فيه مصر على أثر الامم الغربية ، وانه اذا وجد الشخص الذى تزود بهذه الصفات ، استطاع الازهر أن يجد التكأة التى يتكىء عليها ليخطوا الى الامام مساير اً بقية النظامات التى تقوم عليها مدنيتنا ؛ واستطاع على الاقل أن يخلص من المؤتمرات التى تعقد باسمه ، كمؤتمر الخلافة ، وهو بعيد عن أن يمد لهذه الحركات الاجنبية يد ، أو يعضدها بميل أو شبه ميل ، لولا رؤوس ملئت بكل شىء الا بالعلم ، ونفوس عمرت بكل شىء الا بالايمان ، وكانت تحل محل الرأس التى تقوم على الازهر وعلى أهل الازهر ، لتحول بينه وبين مفاسد اهل العمائم الذين انحى عليهم الامام محمد عبده بكل لوم وهو على فراش الموت فقال

ولست أبالى أن يقال محمد ... ابل أم اكتظت عليه المآتم
ولكن ديناً قد اردت صلاحه ... احاذر أن تقضى عليه العمائم
فيارب ان قدرت رجعى قريبة ... الى عالم الأرواح وانفض خاتم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشداً ... رشيداً يضىء النهج والليل قاتم

وهاهو النهج قد بدأ يستضىء ويستهدى بنفس المبادىء التى ذهب الامام ضحيتها ، وكان فقدان صيته وخدش كرامته بين الجامدين ، مقدمة لفقدان حياته وصحته فى سبيل الازهر وأهل الازهر .

ان النظام الذى تبع الازهر التزمه خلال كل عصوره منذ أن شيد القائد جوهر حتى اواخر القرن التاسع عشر ، اى منذ ان خطب فيه باسم الفاطميين لاول مرة إلى العصر الذى بدأ الاستاذ الامام يفكر وقليلا من صحبه الذين طوى بعضهم الموت ولا يزال بعضهم الى اليوم حياً يرزق فى اصلاحه ، لنظام فيه من البعد عن عقلية العصر الحاضر ، بقدر مافى القول بأن الارض مركز النظام الكونى ، وبأن الانواع خلقت مستقلة ، وبأن زوايا المثلث تساوى أربع قوائم ، عن الحقيقة . ولئن كان فى التئام مؤتمر أعرج مثل مؤتمر الخلافة في جوف الازهر وتحت ظل الازهر وظل أساتيذه ذوى العمائم الضخمة ، والعقول الفارغة شىء من طيب النزعة أو حسن الاثر ، اذن فيكون فى الازهر على ماهو الآن أثر من حب الحق أو الاستقلال فى الرأى أو الاعتدال في الرغبات أو القصد في الغايات ولعمرك كيف تقول في الازهر وفى أهل الازهر وفى أساتيذ الازهر ، وأنت لاتقوم من حركة سياسية فى هذه البلاد الا وتتجه الانظار الى الازهر لترى ماذا يكون من الجامعة ازاء تلك الحركة من طريق ادارة المعاهد الدينية ورءوس المعاهد الدينية ، ليعرفوا معرفة حقة من أين سوف تهب رياح الحوادث فى الغد القريب. أليس في هذا وحده دليل كاف على أن الازهر يحتاج الى الاصلاح ويحتاج قبل كل شىء الى الخروج من ميدان السياسة خروجا تاماً ليتفرغ أهله الى الدين

والدنيا ؟ أليس الازهر في احتياج إلى أن يتحرر أهله من التقاليد والاساطير ، بل ومن فاسد النزعات الانسانية ، ليكون مثابة للتقى ، ومهبطاً للورع ، ومباءة لقيام الليل والنهار ، ومنزلا لسجود العشى والاصائل ، لا مركزاً للدعاية لمثل مؤتمر الخلافة وأالعوبة الخلافة، ونزوة الخلافة ، بل وان شئت فقل أضحوكة الخلافة .

وما هى بأضحوكة . بل كانت جداً ، سار فيه الازهر ، استغفر الله بل أكبر عمائمه ، وراء زخرف الدنيا بما فيها من ولائم وكرائم ، وأكل وشرب وتكثير من الاموال والثمرات ، لولا أن تداركنا والحمدلله صاحب الاسطول بأسطوله وصاحب الطول بطوله ، فجعلها أضحوكة بعد أن كانت غمرة فتحت لنا فاها ، ومجوة من فجوات جهنم لم ينقذنا منها الا شيطان رجيم .

وانى مع هذا لأظن أن صاحب الفضيلة الشيخ المراغى يستطيع أن ينفذ برنامجه الاصلاحى الكبير ومن حوله تلك العمائم التى اعتادت على أن يكون الازهر مباءة لقاذوراتهم ، يدخلونها اليه كلما كنسها الفراشون وحملها عمال مصلحة الصحة الى مجارى القاهرة . بل أعتقد أن الازهر لن يتطهر الا اذا طهرت ادارته من أشباه الرجال الذين كاد الازهر ان يلبس على الدين بسعيهم أثواب الحداد ، ويقيم للهدى واليقين والايمان جنازة ترقص فيها عجائز القرى اللاتى تعين من كثرة ماحمل أهلهم الى الازهر — وهو يعلم الله براء — من فطائر وسمن وأرز وثياب وأموال ، ماضاعت الا هدرا ولا ذهبت الاسدى ، وماخرج الازهر بها الا جهلا يتحرك بين القرى ، والا غواية تسير في الطرقات ، مالها في الدنيا من أثر ومالها على الدين من فضل ، الا تحليل المحرمات بفتاوى ماأنزل الله بها من سلطان ، وما عرفها الدين ولا أهل الدين ، ثمن محللات لا يعرفها الشرع الى زواج متعة ماهوالا السفاح والسفاح اهدى ، بل وياسيدى الاستاذ المراغى ، الى بيع غفرانات كما كان يفعل قساوسة الكنيسة فى القرون الوسطى .

ووالله لوأن محمداً كان قد قتل كما قتل الكثيرون من أصحابه ، أولوأنه صلب

كما صلب المسيح لبيعت قطرات دمه من خريجى الازهر على الطريقة التى يتخرجون بها من أيدى ذوى العمائم ، تعربونا على دخول الجنة و بناء قصور لبنائها من فضة وذهب وأرضها من جوهر وسقوفها ممردة بالمرمر والزبرجد والفاروز . ألم يبع أهل الكنيسة دم المسيح على اعتبار ان قطرة واحدة من دمه كافية لتخليص العالم ، اذن فهم فى حل من بيع بقية القطرات لمن يريدها ليفوز بالجنة ويعبر اليها المطهر فى سلام ، بل وليكون منذ هلكه الى يوم مبعثه في مستوى أهل سيراف وملائكة الكروبيم ؟

ياصاحب الفضيلة : انه نزف من دم الازهر تسعا وتسعين جزءا ولم يبق الا جزء واحد . وهو كاف على ماأدرى ليعيد الحياة الى هذا المعهد بل الى هذه الجامعة التى يجب ان يجمع التعليم فيها بين نفع الدنيا ونعيم الآخرة . فعليك بالمطهرات القوية لتقتل بها تلك الجراثيم التى لاتزال سابحة فى ذلك الجزء تحاول امتصاصه . صب عليها من المطهرات قدرا يقتلها سريعا وفز بجزء من دم الازهر تحيي به بقية الاعضاء التى ماتت وما تنتظر الا اللحد ثم قيامة الجنائز والنواح على مجد زال ودين كاد يدركه الزوال .

وما مثل دعاة الاصلاح من أهل الرياسة فى الازهر الا كمثل المعرى حيث يقول :

اذا قلت المحال رفعت صوتى وان قلت الصحيح أطلت همسى

أطل همسك ياصاحب الفضيلة ولا تعبأ بجراثيم ماعاشت الابين بلا ليص السمن والجبن وما تكاثرت الابين الانات والآهات ترسلها الامهات الفقيرات والآباء التاعسين لاشيء ياسيدى الا ليخرج لهم من الازهر بين ناجح نجيب يقر عين اهله بمحلل حرام ، أو بمحرم يحلله . وماذاك الا ازاء دريهمات يأنف السائل المتجول في الطرقات ان يمدها يداً او يحسب اذا اخذها أن رأس ماله قد تكثر أو أن حاجته قد سدت . كل

هذا والازهر في ملكوت الله يسبح فى غفوة كأن الزمان ماتحرك من حوله وكأن الفلك مادار . أما اهله فلا تأخذهم عما تعلم ومالا تعلم وما أنت به اعلم ، سنة ولا نوم .

وبعد . فياصاحب الفضيلة : ففى الازهر نواة طيبة اقصتهم الاغراض عن أن يكون لهم فى الازهر كلمة تسمع او صوت يرفع . وما اعرفك عنهم فانت بهم منى اخبر . فخذ هؤلاء عدتك فى اصلاحك وفقك الله ورضى عنك وارضاك

فكرة السلام

نقد وتحليل

— ١ — تمهيد

لانريد أن نبحث مشكلة السلام من ناحية آثارها التى تترتب على نشر الوئام بين الامم .ولا نريد أن نذهب مع النظريات فى مذاهب لانستطيع أن نخلص منها بنتائج ثابتة . بل نريدأن نبحث مشكلة السلام من ناحية علاقتها بالسياسةالعامة ومطامع السياسيين من جهة ، ومن ناحية علاقتها بترقى الاساليب العلمية الحديثة من جهة اخرى .

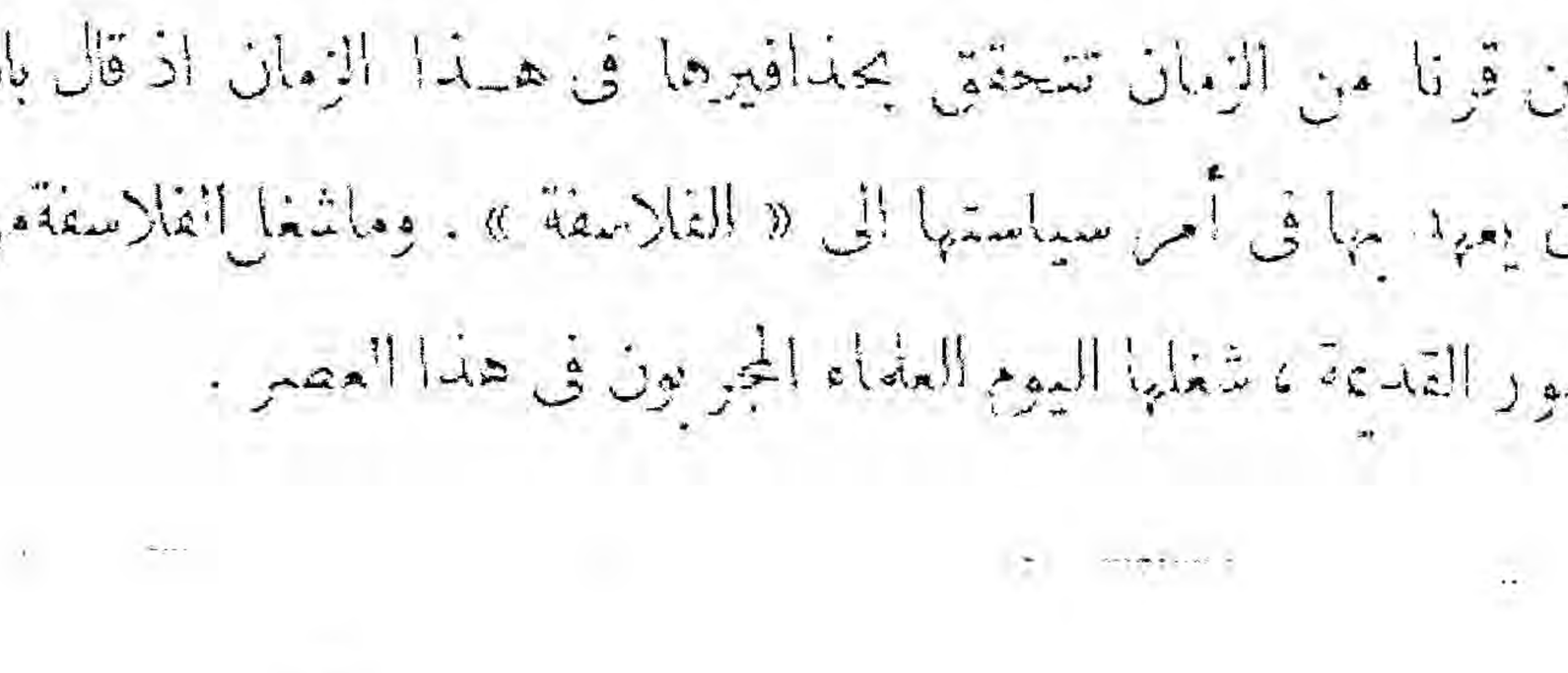
وقد يسأل سائل ماهي العلاقة بين السلام والسياسة والعلم ؟ والواقع ان تقدم الاستكشاف العلمى وتسود الانسان على قوى الطبيعة ووقوفه على الكثيرين اسرارها قد احدث انقلاباً فى الافكار كبيراً ، وتغييراً فى وجهة النظر الذى كان ينظر الناس من ناحيتها في الحياة الانسانية .فبعد أن كانت « الحريةالشخصية» حكمة القرن التاسع عشر ، وبعد أن كانت « الحرية والاخاء والمساواة » انجيل الثورات الانقلابيةفي العالم ، أنقلبت الفكرة فى هذه المبادىء انقلاباً الى النقيض واذا بنا نسمع الاستاذ « جوليان هكسلى » وهو من اكبر البيولوجيين ، يقول متى يقلع الناس عن سخافة القول « بالحريةالشخصية » — واذا بفطاحل الاجتماعيين يقولون إن الحريةوالاخاء والمساواة ، ثلاث متناقضات لايمكن التوفيق بينها عمليا وان بهرت الناس فى الاعتبار النظرى . فان الحرية تناقض المساواة ، والاخاء يناقض الحريه . هذا بعد أن ثبت للاجتماعيين أن الحياة منافسة وجهاد وان الكفايات الانسانية يجب أن تفوز بقدر مؤهلاتها الطبيعية فى الحياة .

ولم يكن لهذا الانقلاب الكبير من سبب الاهم الا تقدم العلم والاستكشاف

وعلى الاخص فى مجال العلوم البيولوجية وما تفرع منها مثل الوراثة واليوجينية وقوانين الصحة ، وما تعلق من هذه الابحاث الجديدة بالعلوم الاجتماعية كالاحصاء وشرائع الزواج والطلاق وتكوين الاسرة ومستقبل الامم من وجهة بيولوجية صرفة .

٢ — عصر جديد

ولا شبهة مطلقا فى أن هذه الاشياء فى مجموعها تؤثر فى السياسة العامة تأثيراً لا يظهر أثره الآن جليا فى تدبير حاجات الشعوب . من عصر السياسى الانتهازى قد انقضى امده أو كاد ينقضى ، وكادت نبوءة أفلاطون الذى فاه بها منذ خمس وعشرين قرنا من الزمان تتحقق بحذافيرها فى هذا الزمان اذ قال بان الامم يجب ان يعهد بها فى أمر سياستها الى « الفلاسفة » . وما شغل الفلاسفة من مكانة فى العصور القديمة ، شغلها اليوم العلماء المجربون فى هذا العصر .



ش ١ قصر السلام فى لاهاى

ولقد شعر الناس بحاجة ماسة الى سياسيين من طراز جديد يعرفون أدواء الامم بطرق علمية ويأخذون فى معالجتها باساليب قائمة على التجارب العلمية

المحققة النتائج . لهذا قال الكثيرون من كتاب هذا العصر المعروفين إن فشل الديموقراطية ليس له سبب الا فشل السياسة الانتهازية التى اتبعها سياسيو القرن التاسع عشر وسار على أثرهم فيها سياسيو القرن العشرين .

٣ — أثر الصحافة

اذا كان سياسى العصر الحديث أشد الناس « انتهازية » أو « وصولية » كما يقولون، فان صحفى هذا العصر ، أوعلى الاقل الاغلبية الساحقة من صحفييه ، من أشد الفئات تطفلا على جسم الاجتماع . ذلك لان الصحافة أصبحت مرتزقا وأصبح الصحفى أجيراً . وبذلك خرجت الصحافة عن دائرتها الاصلية دائرة الارشاد والنصح وتوجيه الجماهير فى سبيل الخير الى وسيلة للكسب المادى كأنها متجر من المتاجر تنخذ فيه نزعات الجماهير سبيلا لنيل الاغراض المادية . فان الصحفى فى هذا العصر سواء أفى السياسة أم الآداب ، لايحتاج ليصل الى النجاح الى شىء أكثر من أن يعرف كيف تسير الحوادث وكيف يمتنع بسلطة المسلطين عليهم ، ثم يساير اتجاه الجماهير يعضدها بالقول وفارغ الكلام لتدر عليه رضوانها من جاه ومال .

على ان للسياسة الانتهازية أثرفى تخريج هذا الضرب من الصحفيين السياسيين . اما القائمون على امر التعليم فمسؤلون عن تخريج ضرب آخر من الصحفيين الذين يدعون زوراً انهم يحترمون الأدب اذ يعكفون على اشياء تقوم على ماتحب الجماهير أن يكون مذهبة للوقت وقتلا للآداب العاقة . وبهذا تعيش الصحافة متطفلة على الجماهير ، فلا ترشدها ،ولكن لتضلها ثم تستنزف دمها .

لهذا نشعر بنقص كبير في القوانين العامة . فان القانون العام انما يوجه كل همه الى صيانة الفرد وحقوق الفرد. أما المجتمع ، اما الجماهير ، فلاقانون يحميها من تطفل الصحافة ومن أنتهازية السياسيين .

٤ — انتهازية السياسى وتطفل الصحفى

اجتمعت هاتان القوتان الكبيرتان وتعاضدتا لتقوم احداهما على كتف الاخرى . ولاعمل لهاتين القوتين فى العصر الحاضر الا تدبير الحروب وسفك الدماء وهضم حقوق الامم .

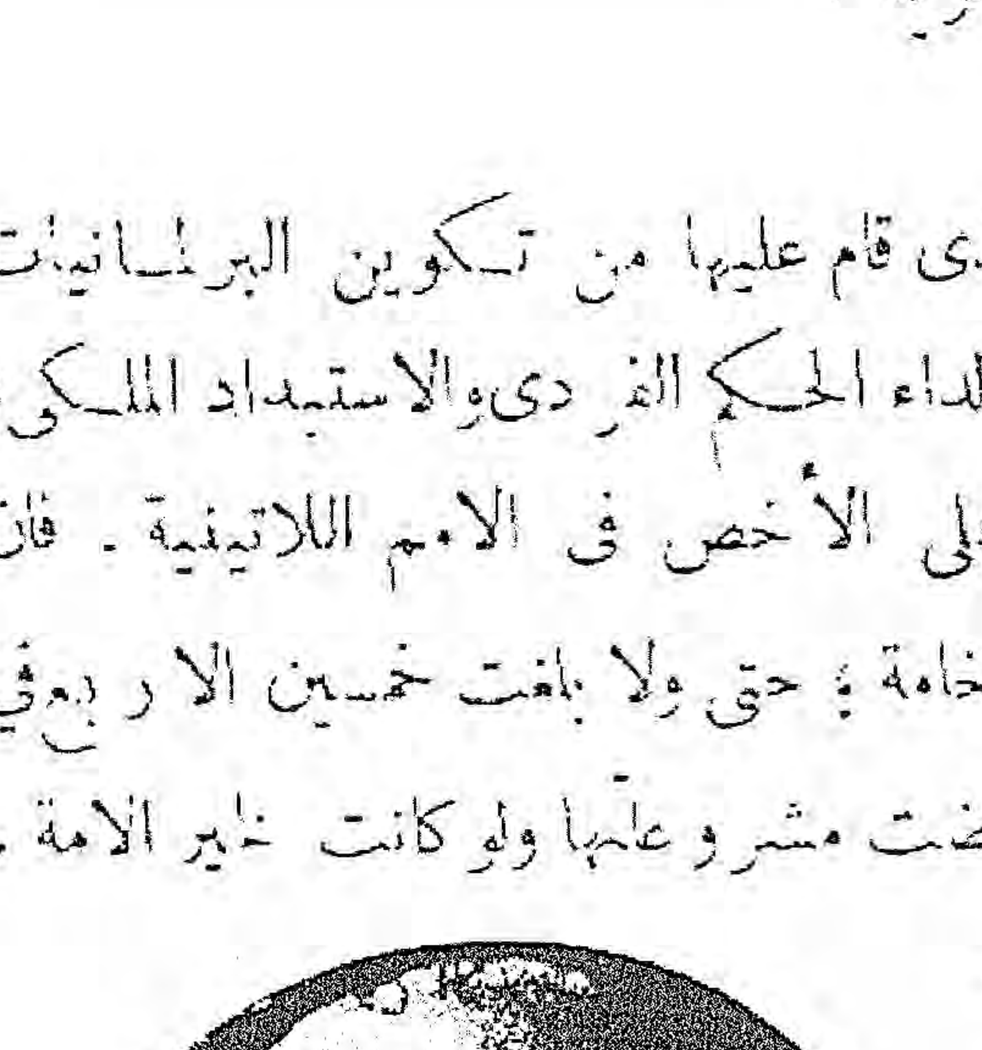
ولاجرم أن الصحافة قوة لايستهان بها ، ولها فى الاجماع من الاثر البالغ مالا يقاس به اثر الجامعات المشيدة او النظم الاجتماعيه التى قامت مع الانسان منذ ابعد عصوره حتى اليوم لهذا كان اثرها في توجيه الجماهير بالغاً وعلى الاخص فى الازمان التى تقع فيها الازمات السياسية والحروب. وماعليك الا أن تتصور الى اى حد يبلغ اثر الصحافة المتطفلة على انفعال الجماهير يعضدها سياسيون انتهازيون لايهمهم من شىء اللهم الا أن يكونوا فى الحكم وأن يكون لهم جاه الانتصار عند النصر وكرامة الانتزام «بشرف» عند الهزيمة .

٥ — فشل الديموقراطية

اذا كانت الديموقراطية والنظام الذى قام عليها من تكوين البرلمانيات المنتخبة بطريقة التصويت العام ، دواء الداء الحكم الفردى والاستبداد الملكى ، فانها ولا شك قد فشلت فشلا تاماً ، وعلى الأخص فى الامم اللاتينية . فان الاقليات مهما بلغت نسبتها من الصخامة ؛ حتى ولا بلغت خمسين الا ربع في المائة ، استبد بها وأهينت كرامتها ورفضت مشروعاتها ولو كانت خير الامة .

أما الاغلبيات فتحكمها أقليات نشيطة فيها قليل من الجرأة تعضدها قوة من الخطابة غير محدودة المقاصد والغايات ، الا فيما يزيد الاكثرية قوة والاقلية ضعفاً .

ولم يقف فشل الديموقراطية عند هذا الحد ، فان الشعوب قد تبدلت من ملك واحد يملك عديدة تؤثر فى ادارة



ش (٢)

لورد فنلى العضو البريطانى فى محكمة السلم الدولية بلاهاى

البلاد تاثيراً سداه الاغراض الشخصية وحيازه اكبر قسط من المنفعة بالسلطة المستمدة من صفة النيابة .وهي صفة كبرشأنها في الامم اللاتينية وامم البحر الابيض المتوسط عامة حتى لقد تعطلت الحياة النيابية بالفعل في كثير من هذه الامم . اذن لم تنجح الديموقراطية البرلمانية في تخفيف الويلات التي كانت تعانيها الامم في الازمان الاولى . بل زادت اليها خطر الانبعاث في حروب اهلية ، كما كاد يحدث في ايطاليا عند الانقلاب الفاشستي ، وكما حدث بالفعل في روسيا عند الانقلاب الشيوعي .

على أن هناك فارقاً بين نظام الاستبداد الفردي والنظام الديموقراطي . وينحصر هذا الفرق في أن الاستبداد الفردي كان يواجه الشعوب بقوة الجند والسلاح باعتبار أن حق الملكية موروث أو بالفتح أو أنه من عند الله !! أما النظام الديمقراطي فمن شأنه أن يجعل أحزاب الاغلبية ، اذ هي تحاول المحافظة على سلطتها في مجالس النيابة ، تعمل جهد ما تستطيع أن تملق الجماهير بالوعود الخلابة وبالختل حيناً والمواربة حيناً آخر ، بل وبالرشوة في غالب الامر . لهذا تشعر الامم في ظل الديموقراطيات أنها تحكم ، في حين أنها لدى الواقع تكون محكومة بقليل من الافراد الذين لاهم لهم الا أن يجمعوا من حولهم كل الظروف التي يخيل معها الى الامم أنها حرة ، وأنها تحكم بالفعل وأنها مصدر السلطات .

اذن فمشاكل الديمقراطية في هذا العصر راجع الى صفات اجتماعية أولها انتهازية السياسيين وثانيها تطفل الصحفيين على جسم الجماعات . وهذه أشياء من شأن العلم أن يبحث لها عن علاج كما يبحث العلماء عن علاج الامراض الخبيثة .

٦ — فشل الدكتاتورية السياسية

وكذلك الحال اذا رجعت الى الدكتاتورية السياسية فانها فشلت ولا شبهة فى أن تسوى من ناحية الحرية السياسية بين طبقات الامم . فان معنى الدكتاتورية هي الحكم المطلق . فاذا استندت الى أكثرية كما هى الحال فى ايطاليا ، ظلت الحياة النيابية قائمة فى



ش ٣
دكتور لودار رئيس محكمة العدل الدولية سنة ١٩٢١

الظاهر ، معطلة في الواقع . فالدكتاتور ، وهو رئيس الاغلبية ، يكون لدى الواقع الحاكم المطلق ، ومجالس النيابة اداة تدعم قراراتها بالقوة التشريعية . وهنا تموت الاقلية وتفنى تحت ظل الاستبداد المطلق الذى لاتعيش الدكتاتورية الا فى ظلاله . اما اذا استندت الدكتاتورية الى أقلية ، كما هى الحال في روسيا ، تعطلت الحياة الديموقراطية فى الظاهر وبالفعل ، وقبضت الاقلية على زمام الجماهير بقوة السلاح ، وهنا تموت الاكثرية وتخضع لحكم أقلية تريد أن تفرض على النظام الاجتماعى مبادىء لم يألفها ونظامات لم يبلغ اليها حكم الحاجة اليها ، بل بحكم التصور القائم فى رؤوس بعض الافراد .

٧ — هل تنجح الدكتاتورية العلمية ؟

لاجرم أن التنبؤ بنجاح الدكتاتورية العلمية فى هذا العصر أمر سابق لاوانه . وان كانت كل الدلائل تتجه بنا نحو الاعتقاد بان الدكتاتورية العلمية هى التى سوف تنقذ العالم من شر الحروب والثورات وتقيم النظام الاجتماعى على قواعد ثابتة .



ش ٤
القاضى جون مور العضو الامريكى
فى محكمة العدل الدولية

لقد تقدم العلم خلال خمسة العقود الغارطة تقدما محسوسا حتى لقد بدأ يتدخل بسلطته الغالبة فى كل مايقوم فى الاجتماع من المظاهر التى كان يخيل الينا انها ثابتة ثبات السرمد والابد ؛ وأن التغير ان ينتابها ؛ وان التبديل ليس له بحالها من سلطان . فقوانين الزواج والنسل التى كان يظن انها من أخص ماتتمتع به الانسان من مظاهر الحرية الفردية أخذت اليوم تخضع شيئا فشيئا لمباحث العلم ولاثر العلم . وقس على ذلك بقية الاشياء التى يحتاج اليها الانسان من ملبس وغذاء وشراب بل وكل ماتحتاج اليه المدنية فى الضروريات الاولية . عامة ذا خضع للعلم فى العصر الحديث .

ولا يفوتنا بجانب هذا أن العلم قد احدث باستكشافاته الكثيرة فكرة سلبية حملت الجماعات على أن تفكر فى أن السلام وسيلة تؤدى الى حفظ الذات ضد المهلكات الخطيرة التى أدى اليها العلم . لهذا نقول بان فكرة السلام بين الامم كان السبب فيها نزعة أو غريزة حفظ الذات ضد مهلكات تكتسح الالوف لا الافراد فى طرفة عين ؛ فاتخذت وسيلة يتقى بها الهلاك ؛ لاغاية سعى الانسان اليها مأخوذا بجلال مافيها من سمو الفكرة أو الجمال .

وهذه النظرية ، بل هذه الحقيقة وحدها ، كافية لان تنبئنا بان المستقبل سوف يكون لدكتاتورية العلم ، تقوم على الجماعات وصية تستهدى بقواعد ثابتة فى تصريف الحالات التى يتطلبها وجود الانسان فى حياة اجتماعية . ولاجرم ان

انتصار الدكتاتورية العلمية سوف يكون آخر عهد الناس بالسياسى الانتهازى والصحفى المتطفل ، اللذين هما أول من يسألا عن الحروب وعن الثورات التى تكاد تزلزل قواعد المدنية .

والحقيقة ان السياسى في العصر الحاضر أحوج ما يكون إلى علم البيولوجى والوراثة والاحصاء وما يجرى مجراها من العلوم التى بدونها لا يفقه للنظام الاجتماعى من معنى ولا يعرف كيف يصرف الازمات التى تنشب في عصر المدنية الحديثة كانشب الطفيليات ، فجاءة و بلا انذار ، فاذا لم يبادرها المفاحون بالمعول والفأس قتلت الغرس الاصلى وقضت عليه .

ولا شبهة مطلقاً فى ان العالم الاجتماعى برمته يجتاز الآن عصر انتقالى سوف ينقشع غباره عن نظام جديد يقوم على انقاض كثير من النظم التى سوف تتهدم وتبيد . ولكن الظن الغالب أن سياسي العصر الحاضر وصحفيـة أو بالاحرى انتهازى السياسية ومتطفل الصحافة ، سيكونان أول ما يبيد من مظاهر العصر الاجتماعية .

٨ — فكرة السلام .

الفكرة التى تقوم في العصر الحاضر في رؤوس السياسيين فكرة غير قويمة ، فان السلام يتخذ عندهم وسيلة لحفظ الذات ودفع المهلكات الحديثة عن الامم . اما فكرة السلام لتكون ثابتة فواجب أن تقوم فى الرؤوس على أنها غاية لا وسيلة . أما هـذه الفكرة فلا تقوم فى الرؤوس ويكون لها أثرها الثابت إلا فى ظلال الدكتاتورية العلمية .

والمحصل من كل هذا اننا اليوم فى جو اضطراب وفوضى ، وفي عصر انتقال . سوف تصفى فيه النظم الاجتماعية من كثير مما ينشاها اليوم من المفسدات . اما أظهر مفاسد هـذا العصر فالسياسى الانتهازى والصحفى المتطفل . وكلاهما

مرهون وجوده على قيام الدكتاتورية العلمية لتحل محل هذه النظم الخرقاء التى أدت وسوف تؤدى الى الحروب العامة والثورات .

السلام غاية لا وسيلة . فاذا اتخذ اليوم وسيلة تتقى بها متكشفات العلم الحديث ، فليس لنا أن نغتبط وان تتعجل حوادث هذا الدهر ؛ ولكن المستقبل للعلم ، لا بين جدران المعامل كما هو شأنه الآن ؛ بل فى السياسة العالمية والنظام الاجتماعى .

***

نموذج جديد

من رباعيات الخيام

هلا كنا تجرى السماء وما لها الا اغتيال نفوسنا فى مقصد
اجلس بزاهى الروض وارتشف الطلا فالروض ينبت من ثرانا فى غد

***

خم جسم الزجاج روحاً خاكي يا سمينا يحيط في ارجوان
لا لعمري فالجام حامد ماء ضم فى القلب سائل النيران

***

ثوب قدسى خلعته فوق دن وتيممت في ثرى الحان حزما
فعسانى التقى لدى الحان عمراً ضاع منى بين المدارس قدما

***

لا عيش لى بسوى صافى المدام ولا أطيق حملا بغير الراح للجسد
ما أروح السكر والساقى يناولنى كأساً وتعجز عن أخذ الكؤوس يدي

***

اجعلوا قوتى الطلا وأحيلوا كهرباء الخدود للياقوت
واذا مت فاجعلوا الراح غسلي ومن الكرم فاصنعوا تابوتى

سيد احمد الصافى النجفى

النقد والتأليف

السفور والحجاب

للآنسة نظيره زين الدين

ترحب هذه المجلة بنفثات يراع السيدات على وجه خاص . تقول هذا بالرغم من اننا نقسو داعما على المؤلفين ونفعل هذا ونحن مطمئنون بانهم يتأولون قسوتنا الى رغبتنا فى اظهار مواقع الضعف فيما يكتبونه عساهم يتلافونها فيما بعد . وعما انى اتبع الرأى القائل بعدم وجود فارق بين أفراد الجنسين يجب أن اشعر السيدات بان من الواجب عليهن تحمل النقد ، مثلهم في ذلك مثل الرجال . وقد بسطنا رأيا عن كتاب الارى زيده حاولنا ان نتناسى فيه انا نكتب عن سيدة « فان المطالب بالحقوق مطالب بالواجبات ايضاً وانا آمل ان تكون مارى قد حملته على خير محمل . وهذا ما أطالب نظيره زين الدين الآن به أيضاً

السفور والحجاب ليس كتاب علمي بل صيحة ألم نتجت عن تهجم الحجابيين على السيدات السافرات فى دمشق . واظن هذا هو الداعي لوضعه فى صورة محاضرات . وبالطبع اهتمت المؤلفة قبل كل شيء ان تجتذب القراء لصفها تارة عن طريق الاثبات وتارة عن طريق العواطف وتارة . . . ايضاً . . . عن طريق . . . المغالطة

والمطلع على الكتاب يلاحظ انه كتب باندفاع لا عن روية وليس هذا يطعن في مادته لانها جيدة ولو ان فيها خروج كثير عن الموضوع وكثير من الحشو والتكرار تلك الامور التى تلازم دائما الاندفاع ابداً . فنظيره زين الدين قد القت ذاتها في بحر هائج من العواطف لم تلبث حتى تلاعبت بها

وفى الكتاب اسئلة اجابت عليها الآنسة اجابات استفهامية اى بدلا من ان تجيب انقلبت سائلة وقد تهربت فى عدة مواقف عن الاجابة والتجأت الى مواقع الضعف فى الرجل . كذلك لاحظت انها اذا واجهت حديثاً مضاداً لرأيها (وما أكثر احاديثها) زاغت من طريقه واكثرت من التكلم عن الاحاديث المفتعلة واذا وجدت أية عقبة فى سبيلها حولت وجهها صوب العلماء الاعلام وصبت على رؤوسهم جام غضبها لانهم جامدون ولانهم ولانهم ولانهم . لا تغضبوا يا أصحاب الفضيلة فان مناظرتكم صاحبة فضيلة ايضاً والا لما ملأت ربع كتابها بآيات قرآنية وربعه باحاديث واما الربع الثالث باقتباسات اغلبها عن السلف الصالح ؟ فهلا يحق لى والحالة هذه أن أخلع عليها حلة العلم مع لقب العالمة العلامة والبحر الفهامة صاحبة الفضيلة نظيره زين الدين . وفى الكتاب اجزاء كتبت بروية يخيل لى كأن كاتبتها مشترعة ومن السهل العثور على هذه الاجزاء من « قواعد فقهية » و « بناء عليه » الخ . وأحسن انموذج لذلك هو افتتاحية القسم الثالث من الكتاب

وكان هم نظيره قد اتجه قبل كل شىء الى اقناع رصفائها علماء الشرع فكانت لهم من بضاعتهم حتى انها لم تنس ان تتكلم عن ذي القرنين والسدين الذين بناهما وقد تذكرت وانا اقرأ هذا البحث كتاب « الكاف فى اثبات وجود جبل قاف »

سأجتهد الآن ان اقدم للقارىء زبدة كتاب الآنسة : —

بنى الدين الاسلامى على حرية الفكر والارادة والقول والعمل ولا مسيطر على المسلم فى امر دينه الا عقله وارادته ولا حجة بينه وبين الناس إنما الحجة بينه وبين الله . فاذا لم يسمح الله لنبيه بان يكون وكيلا او حفيظاً على عباده فكيف يجعل الانسان من نفسه على العباد وكيلا وحفيظاً (٩)

بلى الشرق بظلمات اربع . ظلمة نقاب عن نسيج ، وآخر من جهل ، وثالث من رياء والاخير من جمود . المرأة المسلمة ، لا تطلب منك تحريرها فهي حرة

فى كتاب الله (١٤) رأت المرأة المسلمة كل رجعى او كل ذى هوى مسيطراً ووليا ووكيلا عليها . انه لم يفرق بين نسائه ونساء غيره.لان النقاب مشترك مانع من تفريقهن بعد كل رجل نفسه قواماً على النساء جميعاً ورأت المرأة كل الرجال قوامين عليها . يريد الدين كشف وجوهنا للهواء والنور مثلما يكشف سائر الناس وجوههم (١٥) ان ستر وجه المرأة ليس من شروط الاسلام ولا من اركانه وليس ستور الوجه من محرماته فشروط الاسلام اربعة العقل والبلوغ وعدم الاكراه والشهادتين وأركانه خمسة الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج واعم المحرمات هى الفحشاء والخمر والربا (١٨) فلم يذكر بينها الحجاب والستور

يجب ان يوجه التأويل والاستحسان الى التيسير (١٩)وما الحكم فى الاهتمام بالحجاب اكثر من اهتمامهم باصول واركان الدين حتى انهم يهتمون بتحجب كافة النساء ولا يقتصرون على حجب نسائهم فاذا كان دعاة الستور لا يعتدون على المحجبات فهلا يجب على دعاة الحجاب ان يوقفوا تهجمهم على السافرات (٢٢) لم تخرق الآنسة النظام وتفر من سجن الحجاب بل هو والدها الذى عد سجنها منافياً لعدل الله وعدل الانسانية (٢٨) تأخرنا نتج عن استعبادنا للام (٣٢) الامة المشلول نصف اعضائها لا تستطيع ان تبارى وتستولى وتتفوق (٣٣) كلها تجد اقوالا لمفسرين تجد اخرى تخالفها وتناقضها (٣٧) معنى التحجب هو كره التبرج ووجوب التستر المانع له (٤١) اكثر علماء زماننا نقلوا كل مافيه بدع من التفسير والتعقد (٤٦) النساء ناقصات عقل ودين ؟ يا سادتى ليس من مصلحة الامة الاسلامية ولا من مقتضى شرفها ان يكون نصفها ناقص العقل والدين وليس من مصلحة الرجل ان يقال ان امه ناقصة وابنته ناقصة عقلا ودينا الخ (٥٧)

الدين يحرم الربا والرجل قد حلله وحرم المسكر وبيعه والرجل قد اباح ذلك فى قوانينه وحرم لحم الخنزير والرجل يضرب عليه الضرائب واوجب الحدود الشرعية،والقوانين قد الغتها.وحرم الصور والتماثيل والمتاحف ممتلئة

بها. الدين اباح الاسترقاق فحرمناه، فيا لتدين الرجل ويالغيرته على الدين ! انه كامل الدين يا سيدي الرجل . انك لا ترى ما فعلت وفعلت مروقا والحاداً ولكنك ترى الالحاد ان تتكمل المرأة ادباً ونوراً وعقلا (٦١) الله غطى وجه الرجل بالشعر الطويل والدين امر بابقاء ذلك الغطاء اما الرجل فقد ازاله وخلق الله وجه المراة مكشوفاً نقياً والدين امر بابقائه مكشوفاً جلياً اما الرجل فقد غطاه بالنقاب ليجعله خفياً فيجب اذن ان يعترف الرجل بانه ليس اكمل من المراة ديناً (٦٣) الا ترون ان المراة مع حرمانها تجارى الرجل رقياً فى امور الحياة كلها. فكم من مكتشفات ومخترعات الخ يسابقن الرجال في ميدان العقول . رفعة روما تسببت عن الحرية وكذلك اليونان والاسلام وهكذا المراة اذا سلبها الرجل حريتها نراها في ظلام الجهل (٦٩) نطلب من الرجل ان يعترف بان المراة مثله عقلا ومنزلة (٧٢) الذكر اقوى جسما من الانثى ولكنها اصلح غريزة منه ولولا ذلك لما كلف الله انثى الطير بناء العش وتربية الصغار وحفظهم وكل ذلك من خصائص العقل فى حين ان الله لم يكلف الذكر الا جلب الغنى والتقاط القوت (٧٣) هل رايتم ياسادتى حيواناً فى الدنيا يعامل انثاه كما يعامل الرجل انثاه هل رايتم حيواناً وأد اولاده كما فعل الرجل (٧٩) يفتخر الرجل بانه كالنسر والمراة بين مخالبه كالحمامة ولعمري ان الحمامة خير للانسان من النسر (٨٠) لا يجب ان يتخذ عن شهادة المراة نصف شهادة الرجل دليلا على نقص عقلها فليس عدم الاعتماد علي شهادة غير المسلم على المسلم دليل علي نقص عقل ذلك الغير فالشهادة ليست اكثر من تكليف يتعب صاحبه ويحرجه فالله اراد ان يخفف عن المراة ذلك التكليف (٩٤) انك خلقت والمراة من روح واحدة فعلام تدعى انك اكمل منها فى الفطرة عقلا . يكلف الله المراة التكاليف الشرعية فى السنة التاسعة من عمرها ولا يكلفها للرجل الا فى السنة الثانية عشرة هذا اذا بلغ أفلا يدل ذلك على ان المراة يكمل عقلها قبل ان يكمل عقل الرجل ؟ (١٠٥)

اهل الحجاب لا يجاوزون عدة ملايين من الاسلام ولكن العالم الاسلامى في القرى وكل الامم الاخري اهل سفور . الامم السافرة امم راقية رقياً ليس للامم المتحجبة مثله (١٠٩) لا يجوز ان نسند التبذل الى اكثر من مليار ونصف من الناس اكثرهم ارقى منا ونحصر الشرف فينا ونحتكره لنفوسنا وما نحن الا عدة ملايين اكثرنا قاصر متأخر فى رقيه (١١١) الامم كالاشجار يسقط من ثمارها ماكان خبيثاً فاسداً فتتناوله الحشرات . فلا تعرف الشجرة مما يرى تحتها من ثمرات ساقطة (١١٣) اذا كان في الحجاب اشارة الى عجز المراة عن نيل حقوق بدونه ففيه اشارة اخري الى ان الرجل خائن سارق للاعراض (١١٧) كيف يستطيع الرجل ان يكون قواماً علي المراة وهو يحجب وجهها بحجاب يمنعه هو نفسه من معرفتها خارج بيتها . كيف يكون قواماً عليها وقد حرم عليه الدخول الى كل مكان تكون فيه اذا قيل له ان معها محجبات وقد يكون رجلا او حيات او افاعى تنفث سمها فى قلب امراته (١١٨) اي امراة لها شرف ترتكب الدنيئة وهى معروفة بشخصها ؟ اذن لماذا نمهد لها سبيل التنكر . ان خوف العار والفضيحة سبب من الاسباب التى تعصم من السقوط في الرذيلة فلماذا يحرم الرجل المراة من هذا العاصم ؟ (١٢٥)

انهم ان رأوا وجه امراتك عرفوا اى امراة هى فلا يحدث التباس بينها وبين السافلات من المحجبات فى اية الجماعتين يكمن الخطر فى قضاة الشرع والاشراف والادباء الذين تحجب نساءك عنهم او بين ظهرانى الخدم وسائقة المركبات والباعة ؟ (١٢٧) لقد طالما حرمك تحجب الزائرات لذة الاجتماع بعيالك في السهرات فتذهب لقتل الوقت الى اماكن لا خير فيها قال تعالى « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا »(١٤٤)والآنسة لاتوافق على الرقص(١٤٩)هيئوا النساء منذ الصغر لاحتمال كوارث الدهر اذا نزلت بهن (١٥٤)

ثم تقول ان آيات الكتاب المتصلة بموضوع السفور والحجاب اربع اثنتان منهما خاصتان بنساء النبى والآخريان بنساء المسلمين . معنى (قرن)

مشتق من الوقار و (التبرج) هو التبختر ثم عرضت تفسير العلماء للآيات وقالت ان ما ذكر في الاوليتين لا ينطبق على غير نساء النبي وهما حاولتا تفسيرهما

هذا بعض من كل مما يحوى هذا الكتاب العظيم ونحث القراء على مطالعة اقوم كتاب اصدرته سيدة شرقية

ع٠ع

المرأة في الاسلام

لحامد محمد الشيال

هذا الكتاب عبارة عن ثلاث محاضرات يتنزل المؤلف الفاضل في مستهل محاضرته الاولى بمسائل المرأة ثم يعرف الحجاب بانه الستر عن غير المحارم من الرجال خشية الفتن وابتغاء تجنب الفساد ولا يعرف كيف يفرق بين « انصار السفور » ! و « دعاة المفسدة » ويقول ببطلان ادعاء هؤلاء القوم بان الحجاب انتقل الى العرب عن طريق التقليد ثم اتخذوه شعاراً دينياً ويستنتج بانه لقول باطل لا يقوم عليه دليل ثم يعترف بان نساء الاسلام لم يعرفن الحجاب بادىء ذي بدء ثم نزلت الآية « واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب » وقد أتى ببرهان يعزز رأيه هذا فقال « روى عن أم سلمة قالت كنت عند الرسول وعنده ميمونة بنت الحرث إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه بعد ما أمرنا بالحجاب اذ قال احتجبا منه فقلنا يارسول الله أليس أعمى لا يبصرنا قال افعميا أنتما الستما تبصرانه » ثم يقول انه يفهم من هذا الحديث ضرورة غض بصر المرأة عن الرجل كما ينض الرجل بصره عن المرأة وثانياً وجود الحجاب بين نساء الاسلام ثم سكت ولم يزد قائلا « وبين رجال المسلمين » واعتقد أن هذا الاستنتاج ناقص فادامت النساء يخفين وجوههن خوفا من أن يفتتن بهن الرجال فواجب منطقياً أن يخفى

الرجال وجوههم حتى لا تفتتن بهم النساء ودن ناقصات عقل ودين ويظهر أيضاً أن حجاب تلك الايام كان كثيفاً جداً لا تخرقه عينا المرأة وبالطبع يتعذر معه التنفس والمشى أيضاً فكيف أمكن للسيدات فى ذلك الوقت السير فى الطرقات ولم تكن معبدة خصوصاً فى أيام الزمهرير والقر .

وياسائلك إذا كنت تخلو بامرأة (وبالطبع يقصد الجميلة لا البشعة المنظر) فى حديقة بحوطكما بها الورود والنرجس ماذا تحدثك به نفسك مهما كنت تقياً ورعا . ويظهر أن حضرته قد أغفل عمداً ذكر صفة الجمال لانه يعلم تمام العلم بانه ليس من لزوميات النساء وحدهن بل يوجد في الذكور من يتصف بهذه الصفة فهل يسمح لى أن أسائله ماالذى تحدثك به نفسك مهما كنت ورعا تقياً اذا وجدت فى ذلك المكان مع صديق جميل المنظر ؟ بالطبع سيقيم الدنيا على ويعقدها ويصفنى باحط الاوصاف ولكن هذا هو الواقع ياصديقى اذا أردتنى ان أنسج على منوالك وأتناسى وجود شىء اسمه الشرف والترفع فاذا وجدا فماذا تعدها من خلال الرجل دون المرأة واذا لم يوجدا فلم لم تحصر الحجاب فى الجميل من الجنسين وحل تنكر ياسيدى ان عادة قوم لوط أكثر انتشاراً فى بلاد الحجاب من أى مكان آخر ؟

ثم يحاول أن يستدر عن الريفيات السافرات فيقول بان الفقر قد دفعهن الى حياة لا يرتضونها فهل حقيقة لا ترتضى الريفيات بحياة السفور اللاتى يرتعن فيها ثم اريد ان ألقى كلمة فى اذنك هل صحيح ان الفساد أكثر انتشاراً بين الريفيات السافرات عما هو عليه بين ساكنات مكة والمدينة ولا أقول ساكنات المدن المصرية . سيدى ان الرجل السجين إذا منعت عنه الطعام لا يكون قد تعفف عنه بل بالعكس ففكره دائما به مشغول فالمتعفف هو الذى فى مقدوره من الطعام ولكنه لا يفكر فيه اما قناعة او اقتناعا .

وهكذا يمضى المحاضر الفاضل فى مغالطاته الى نهاية الكتاب على طريقة علمائنا الاعلام فلا فائدة من تفنيد ما يقول لان المجال لا يتسع لهذا . وانى اسديه نصيحة خالصة لوجه الله ان يقترض كتاب السفور والحجاب

لنظيره زين الدين فهي أقدر منى على اقناعه لانها تعمدت النحو على المنحى الذى نحاه وليس كلامى المعزز ببراهين علمية قائمة على نظريات علم النفس وعلم الجمال والمنطق والاجتماع الخ هذه الخرافات التى اقتبستها من الغرب بمقنع له لاننى مهما حاولت لا أجد إلا اقوله تربة خصبة فى جمجمته . شكراً لك يا آنسة نظيره فقد عرفت حقيقة بأى لغة نتفاهمين مع طبقة الصالحين من دعاة الحجاب .

اللباب

للسيد جميل صدقى الزهاوي

ديوان أشعار مجموعة يقع فى ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير

للسيد الزهاوي شاعر العراق ميزة يمتاز بها على كل شعراء هذا العصر وهذه الميزة تزدوج فى الاسلوب وحرية الفكر . فهو فى أسلوبة سهل ممتنع جلى تكاد تسيغ معانيه قبل ان تتم قراءة مقطوعاته الممتعة العميقة الفكرة . وهو في حريته الفكرية مثال لما يجب ان يحتذى الشعراء والكتاب.. يتصدى فى شعره للتعبير عما يقوم في نفسه من المعانى التى لا يجرأ على المصارحة بها الا فيلسوف مليء تجربة واثقلته السنون ، فهو فى رأيه فى الخلود والبعث والمادة والله والحياة والموت ، عنوان حي على تحرير الفكر من التقاليد والاساطير ومثل ناطق على ان الفكرة الصحيحة اذا تمكنت من النفس واستوعبتها العقلية الناضجة طاوعتها اللغة ولم تبخل عليها الاساليب بان تجرى معها حيثما جرت وتتبعها اينما سارت ، وفاضت لها المعانى تنصب كما ينصب الماء الزلال السائغ من منحدر صخري جلاه النمير على طول السنين والاعوام

والديوان الكبير بين يدى لا أدرى اية قطعة منها اختار وايها اخلى بها علي القارىء . فالديوان كله قطعة من الفن الرائع واللغة الحلوة الصافية من كدورة التكلف ، فائض بالمعانى الواسعة ، شامل لكل ما يرضى عقلية

الزمن الحديث . فاذا بحثت عن الطبيعة برزت لك من خلال سطوره فى حلة تجلوها الالفاظ الممتازة والاسلوب العذب . واذا بحثت عن الحياة صورت لك فى صورتها الحقيقية التى لن تجد الحياة الا مصبوبة فى قالبها . وما الحياة في نفس الشاعر الذي عرك الدهر وعركه الزمان الا متاعب نهايتها الموت ، وما الحى الا باذل من دمه ومن قوته ما لا يعود عليه بشىء الا الخسران فى دنياه . والواقع اننا لا ندرك من الوجود الا شيئين عامين ، هما الطبيعة والحياة ، وفيهما تنحصر كل المظاهر التى يكون الانسان منها مدنيته وعلمه ومعرفته وأدبه وفنه . وعلى هذين الشيئين تقع فى ديوان للباب فاذا قرأته فانك انما تقرأ الطبيعة والحياة .

وللسيد الزهاوي رباعيات نسجها على منوال رباعيات الخيام فاذا رددت أن تقع على شىء يحقق لك ما ذهبنا اليه في هذه الكلمة فاقرأ له قوله :

حديثى اليوم فى القدم وفي الاكوان والعدم
وفى الازمان والابا د والاجرام والسدم .

* * *

سماء ذات ابراج وبحر رب امواج
وارض فوقها قد طا ل تأويبى وادلاجى

* * *

فضاء ماله امد يقل حياله العدد
وليس هناك من زمن فلا ازل ولا ابد

* * *

هناك جواهر تتحد هناك كهارب تحتشد
هناك قوي بها نحيا فلا روح ولا جسد

* * *

هى الاكوان لا يع لمها الا النحارير

واكثر علمهم عنها اساطير اساطير

* * *

ولولا دفع رب الناس بعض الناس بالبعض
لدالت دولة الانسا ن وزالت عن الارض

* * *

لقد كان التقى منهم كما آباؤه كانوا
فقد قال بما قالوا وقد دان بما دانوا

* * *

انما الارض لنا وطن مشترك
فيه نحيا اجمعين وفيه نهلك

والديوان باجمعه على هذا النمط من سمو الفكرة وجلال الوضع وقوة التصوير

قبض الريح

لابراهيم عبد القادر المازني

مجموعة مقالات ادبية فى ٢٢٢ صفحة من القطع الصغير عنى بنشره الاديب الياس انطون الياس الناشر المعروف بمصر

الكتاب أدبي صرف تستجلى فيه قوة الاسلوب وحسن التعبير وسلالة السياق . اما قوة التفكير فخير ما يؤديه اسلوب ادبي صرف لا تقع فيه على اثر للتفكير على الاسلوب العلمي . نعم تقع فى الكتاب على اسلوب ولكن لا تقع على شيء من قوة التفكير

من الادباء كتاب لايخرجون من موضوعهم الذى يمكنون على درسه الا بجملة من النظريات او بنظرية يحاولون دائما ان يؤيدوها بالدليل والبرهان. نظرية ينتهى منها بفكرة او مذهب جديد او مبدأ يتخذ قاعدة فى درس لموضوع الذى يكب عليه . اما الاديب المازنى فليس من هذا في شيء

فهو اديب من الطابع الذي لا يعنى بالفكرة بقدر ما يعنى بالصياغة . وما اصدقه اذ يقول

« وكل بما عنده يجود . ! زرعت حسبي في ارض صفوان ، وهذا حصادي . وقبضت الريح من كل تهبي تحت الشمس ، وهانذا أؤديها الى القاريء واطلقها عليه كما تلقيها لو يقنع المدل ! وقد خرجت ، كما سيخرج القاريء ، ولما سنخرج جميعاً من هذه الدنيا ، وليس في يدي شيء »

ومن ذا الذى خرج من الدنيا وفى يده شيء . ولكن كثيرين خرجوا منها ومن ورائهم للانسانية تراث لا تبد اركانه الايام

والحقيقة ان الاستاذ المازنى قد نبغ في صرف الاسماء على مسمياتها . واذا أردت ان تثبت هذه النظرية فحاول ان تقرأ « قبض الريح » فتكون كانك تقبض على الريح . ولكنك اذا قرأت حصاد الهشيم ، فانك حقيقة تحصد هشيما الا في موضع واحد هو حيث تكلم في ابن الرومى ، فالحقيقة انه لم يحصد فى ذلك هشيما بل حصد ثمرا طيباً ممتعاً

اما ملاحظاتى الكثيرة على الكتاب فاخص للقارىء منها ما يأتى :

١ — يشبه الكاتب نفسه بالمجور او القربة (ص ١١)

٢ — يكتب دون وعى (ص ١٢)

٣ — يحاول ان يكون خفيف الروح ولكنه يخلق اخفاقاً شنيعاً (ص ١٣)

٤ — تخبطات . افكار غير منظمة (ص ١٣)

٥ — يكثر من غليظ القول (ص ١٤)

٦ — ملأ خمس صفحات ونصف قبل ان يحاول (على زعمه) نقد اسلوب طه حسين (ص ٣٥)

هذه بعض ملاحظات. غير انى ارى ان الاديب الذى يكتب على طريقة المازنى لا يستغنى عن هذه الاشياء . فهى ضرورية ليكون من طابع المازنى . غير انى ارى ان الكاتب قد يستطيع ان يستغنى عنها ، ولا ينقص من ادبه شيء ما

الهندسة المستوية

تأليف وينتوورث سميث وترجمة الاستاذان علي وجلال امين زريق ببغداد وصلنا منه الجزءين الثامن و ١٣٤ صفحة والثالث في ١٥٦ صفحة من القطع الكبير

على غلاف الكتاب هذه الكلمة — كل نسخة غير مذيلة بتوقيع احد المترجمين تعد مسروقة » وعبثا حاولت ان أقع على توقيع أحد المترجمين في كلا الجزءين ، ولقد اردت ان انبه على هذا الآن لئلا تعد نسختي مسروقة ، في حين أنها وصلتني في البريد وعلى الجزء الثالث طابع البريد العراقي لايزال ثابتاً على الغلاف والحمد لله .

وبعد . فيسرنا كل السرور أن يكب اساتذة التعليم على نقل الكتب العلمية التي ينتفع بها الطلاب في المدارس وعلى الاخص في القطر العراقي الذي نرى أنه متعطش للوقوف على مبادىء العلم الأولية . ولا نزال عند رأينا الذي أدلينا به مراراً من أننا في عصر الترجمة ولم نقدم بعد الى عصر التأليف وقد أحسن الاستاذان في اختيار الترجمة على التأليف .

ولقد ألحق الاستاذان بالجزء الثالث فهرست عام للمصطلحات العلمية وترجمتها العربية احسنا فيه كل الاحسان . على اننا نأخذ عليهما بعض الأشياء. فقد ترجما اصطلاح consonant magnitude بكمية ثابتة وحقيقتها قدر ثابت. وترجما اصطلاح concentric circles بالدوائر المتحدة المركز والاصلح أن تترجم بالدوائر المتراكزة وهي تؤدي المعنى تماماً. وترجما اصلاح principle of continuity قاعدة التسلسل والاصلح أن تترجم بمبدإ الاستمرار .

ومهما يكن من أمر فان هذا الملحق كبير الفائدة جم المنفعة في الكتاب ويسرنا أن ينهج المترجمون على منوالهما .

اسكندر فون همبولد

humboldt , Friederich heinrich Alexander Von,



البارون فون همبولد (١٧٦٩ — ١٨٥٩) ولد بعد أن كتب العلامة الالمانى المعروف كاسبار فردريك وولف مقاله المعروف من الاجنة بشر سنوات ومات فى السنة التى اظهر فيها العلامة داروين كتابه أصل الأنواع. فكأنه عاش معظم القرن الذى يدعوه الطبيعيون قرن علم الطبيعة الذهبى (١٧٥٩ — ١٨٥٩) وقد توسطه لامارك المعروف اذ اخرج كتابه فلسفة الحيوان فى سنة (١٨٠٩) .

ويعرف همبولدبانه عالم طبيعى ورحالة كبير . ولد في برلين فى ١٤ سبتمبر سنة ١٧٦٩ . وكان أبوه ضابطا كبيراً فى الجيش البروسى ، وينتمى الى اسرة من « بومبرانيا » ذات حسب ونسب . واشترك أبوه فى حرب السنين السبع وكوفىء أزاء امانته بوظيفة كبيرة فى العصر الملكى . وتزوج فى سنة ١٧٦٦ من « ماريا الين ابيت فون كولومب » أرملة البارون « فون هولويد » ورزق منها ولدان الاسكندرفون همبولد أصغرهما .

وكان همبولد فى صغره ضعيف الجسم والعقل ولم تظهر فيه علامات النجابة مطلقاً . غير أن خصائصه ظهرت آثارها في حياته سريعاً ، إذ كان يغرم كل غرام بجمع النباتات والحشرات والاصداف ويكب علي التمعن منها والتغرس فيها طويلا . ومات أبوه فجأة فى سنة ١٧٧٩ ، فترك لعناية أمه فقامت عليه خير قيام وعنيت بتربيته واخيه الاكبر عناية تامة . وارادت أن تجعله من رجال السلك السياسى فاكب علي الاقتصاد يدرسه حتى انّه فى سنة اشهر في جامعة فرانكفورت ، وقبل بعد ذلك بسنة واحدة — ٢٥ ابريل سنة ١٧٨٩ — فى جامعة « غوتنجن » حيث كان لها شهرة ترجع إلى محاضرات « هيني » و« بلومنباخ » . ولم يكن لينفق اجازاته السنوية عبثاً بل كان يمضيها سائحاً علي شواطىء نهر « الرين » منقباً فى الاحياء والاحجار . وكان من وراء ذلك ان نشرت له بضعة مقالات ظهرت فيها نجابته الفائقة وقوة ملاحظته الغريبة . ولقد حملته ميوله الى الطواف والرحيل على ان يصادق « جورج فورستر » بن زوجة هيني ، وهو من رفقاء كابتن كوك فى رحلته الثانية . وعلي الرغم من تنوع دراساته واتساع آفاقها ، فانه وجهها بكل مافيه من امل ويقين لتكون عدته فى المستقبل اذا ماأصبح « رحالة » يبحث فى العلم . وهذا مانال همبولد فى سنى حياته . وعلي هذا الامل درس التجارة واللغات في « همبرج » والجيولوجيا في « فريبرج » علي « فرنر » والتشريح فى « بينا » على « لودر » « والفلك » واستعمال الآلات علي « فون زاخ » « وكوهلر » .

وماتت أمه — في ١٩ نوفمبر سنة ١٧٩٦ — فتخلص من آخر قيد كان يصده عن أن يرضى شهوته في الارتحال والطواف في مجاهل الارض .وكان تعطيل بعث الكابتن « بودن »وهي رحلة كانت أعدت للطواف حول الارض، سبباً في أن يهيم على وجهه في أوروبا باحثاً وراء تحقيق امله الكبير . فسافر من باريس إلى مرسيليا مصطحباً « إيميه بونلان » صديقه الفرنسوى الذي كان على أمل أن يصحب حملة فرنسا إلى مصر كعالم نباتي . غير أن وسائل النقل لم تكن متوفرة ، فنقلا الى « مدريد » عاصمة اسبانيا ، حيث وقعا على مالم يكن ليخطر لهما على بال ، اذ عندها الوزير الاسباني « دوركويجو » على أن يجعلا أمريكا الاسبانية مسرحاً لابحاثهما واستكشافاتهما .

وسافرا في السفينة «ببزارو » من« كورانا » في ١٥ يونية سنة ١٧٩٩ فطافا في سفرتهما بتنريف وتسلقا القمة العليا منه . ووصلا في رحلتهما الى كوبانم الى جنوب امريكا وطافا باضفاف الاورينوكو والامازون ، في مجاهل المكسيك وجبال تلك البلاد وهضابها ، ثم عادا الى أوروبا حيث هبطا ثغر « بوردو » في أغسطس سنة ١٨٠٤ .

***

يمكن أن يقال بحق ان فون همبولد قد وضع في أثناء رحلته هذه القواعد الاولية التي قام عليها علمين من أشد العلوم الحديثة علاقته بالانسان ومدنيته، فقد حصر همه في أكثر الامر في البحث في الظاهرات التي كونت علمي الجغرافية الطبيعية والارصاد الجوية وقد عكف اول الامر على البحث في نسبة انخفاض الحرارة بنسبة ازدياد الارتفاع عن سطح البحر ، ووضع أثناء بحثه في الاسباب التي تحدث الزوابع الاستوائية ، أول النظريات التي اعتمد عليها فيما بعد للكشف عن السنن الطبيعية التي تتحكم في التقلبات الجوية في الارتفاعات العليا . وعقب على ذلك بمقالة في « جغرافية النباتات» وضعتها على الفكرة الحديثة التي قامت على درس استيطان الصور العضوية في سطح الارض تبعا لتغاير الحالات الطبيعية المحيطة بها . واستكشف من بعد ذلك قانون ازدياد القوة المغنطيسية في الارض من القطبين الى

خط الاستواء وتقدم بهذا الاستكشاف الى الاكاديمي الفرنسوية فى ٧ ديسمبر سنة ١٨٠٤. أما عمله فى الجيولوجيا فقد انحصر فى درس البراكين فى الدنيا الجديدة وقضى بان البراكين قد تكونت فى جموعها الحديثة تبعا للصدوع التي انابت الارض فى عصورها القديمة ، وكانت تختفى تحت قشرتها الظاهرة .

ولقد عمد همبولد بعد أن استقر به المقام في العالم المتمدين الى مذكراته الكثيرة وملاحظاته الشتى التى جمعها خلال رحلة يعيد درسها ويكب على تنظيمها ليخرج فى رحلته كتابا وبعد رحلة قصيرة في ايطاليا انتقل الى بلده فقضى فيها سنتين ونيف هبط بعدها باريس سنة ١٨٠٨ واتخذها مقراً لابحاثه العلمية ليكون على مقربة من علمائها الاعلام فيستعين بهم على فهم كثير من الحقائق التى جمعها أثناء رحلته . ولقد خيل اليه انه يستطيع ان يتم كتابه الكبير فى عامين أو ثلاثة اعوام ، ولكن خاب ظنه فقد أكب على العمل فيه واحد وعشرون سنة ، وبقى بعد ذلك غير كامل.

ولقد انهالت عليه الالقاب العلمية من كل مكان ، وتناست المجامع العلمية والاكاديمات في ان يكون همبولد في بين أعضائها الشرفيين . ولقد حباه الملك وليم الثالث بان عينه في وظيفة سامية في بلاطه من غير أن يحمله اعباء القيام بواجباتها وقطعه معاشاً كبيراً ضاعفه بعد قليل . وفى سنة ١٨١٤ رافق ملوك المانيا المحتدين الى لوندرا ، وبعد ذلك بسنوات ثلاث حضر مع ملك بروسيا مؤتمر « إكس لاشابل »، ثم مؤتمر فيرونا ، ثم زار معه مدينتى روما ونابولى وقفل منها ثم الى باريس سنة ١٨٢٣ . وبعد ان توفي اخاه وهلم فون همبولد ، وقد مات بين ذراعيه في سنة ١٨٣٦ غشت ايامه الاخيرة غمامة من الحزن العميق .

والغريب ان همبولد قد اجل نشر كتبه العديدة الى ان بلغ السادسة والسبعين من عمره فان الجزءين الاولين من كتابه «الكون» cosmos — لم يظهرا الا فى عامي ١٨٤٥ — ١٨٤٧ ولقد جال فى فكره ان يخرج كتابا يصف به العالم الطبيعي وصفاً نظريا يقرب حقيقته فى العقول ، وليكون وسيلة

يتذرع بهادارسو الطبيعة استيعاب فكرة عامة فيها قبل الاكباب على درسها ولقد ظلت هذه الفكرة تجول فى خاطره نصف قرن من الزمان ، ثم بدأ فى تنفيذها بمحاضرات اخذ يلقيها في جامعة برلين فى شتاء سنة ١٨٢٧ — ١٨٢٨ وكانت هذه المحاضرات الاساس الذي بنى عليه كتابه الكبير « الكون »

ولقد قضى عشرة الاعوام الاخيرة من عمره فى انجاز كتابه الكبير الذي تص فيه حوادث رحلته وملاحظاته العلمية التى درسها خلا لها . فاخرج الجزءين الثالث والرابع بين عامي ١٨٥٠ — ١٨٥٨ ونشر شطراً من الجزء الخامس فى سنة ١٨٦٢ . اما هذا الكتاب فعبارة عن موسوعة علمية جمعت من حقائق العلم ومن مرغبات الاكباب عليه ومن اوصاف الطبيعة ، ما جعل للعلوم الطبيعية شأناً لم يكن لها قبل ان يتفق عمره الطويل المنتج فى درسها ووصفها .

فى ٢٤ فبراير سنة ١٨٥٧ فوجيء همبولد بأزمة صرعية مرت من غير ان تترك فى كيانه اثراً ظاهراً . ولكن قوته بدأت تنحطفى شتاء سنة (١٨٥٨ — ١٨٥٩) وتوفي على اثر ذلك فى ٦ مايو في سنة ١٨٥٩ بينما كان العلامة داروين مكبا على اخراج كتابه الخالد اصل الانواع . ولقد كان لوفاته رنة حزن عميقة في نفوس العلماء فى كل انحاء العالم المتمدن وامريكا ، ودفن باحتفال حافل كان من اهم مظاهره ان يستقبل ولى عهد بروسيا جثمانه حاسر الرأس أمام الكاتدرائية .

ولم يتزوج همبولد فى حياته ، إن كانت اخلاقه ورضى صفاته تجعله من ذلك الضرب القليل الذى يجذب اليه القلوب الجامدة بله القلوب الملتهبة بحرارة الانفعال .

واحتفل بمرور مائة سنة علي ميلاده فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٦٩ احتفالا كبيراً اشتركت فيه معاهد العلم وجماعاته فى العالمين القديم والحديث .

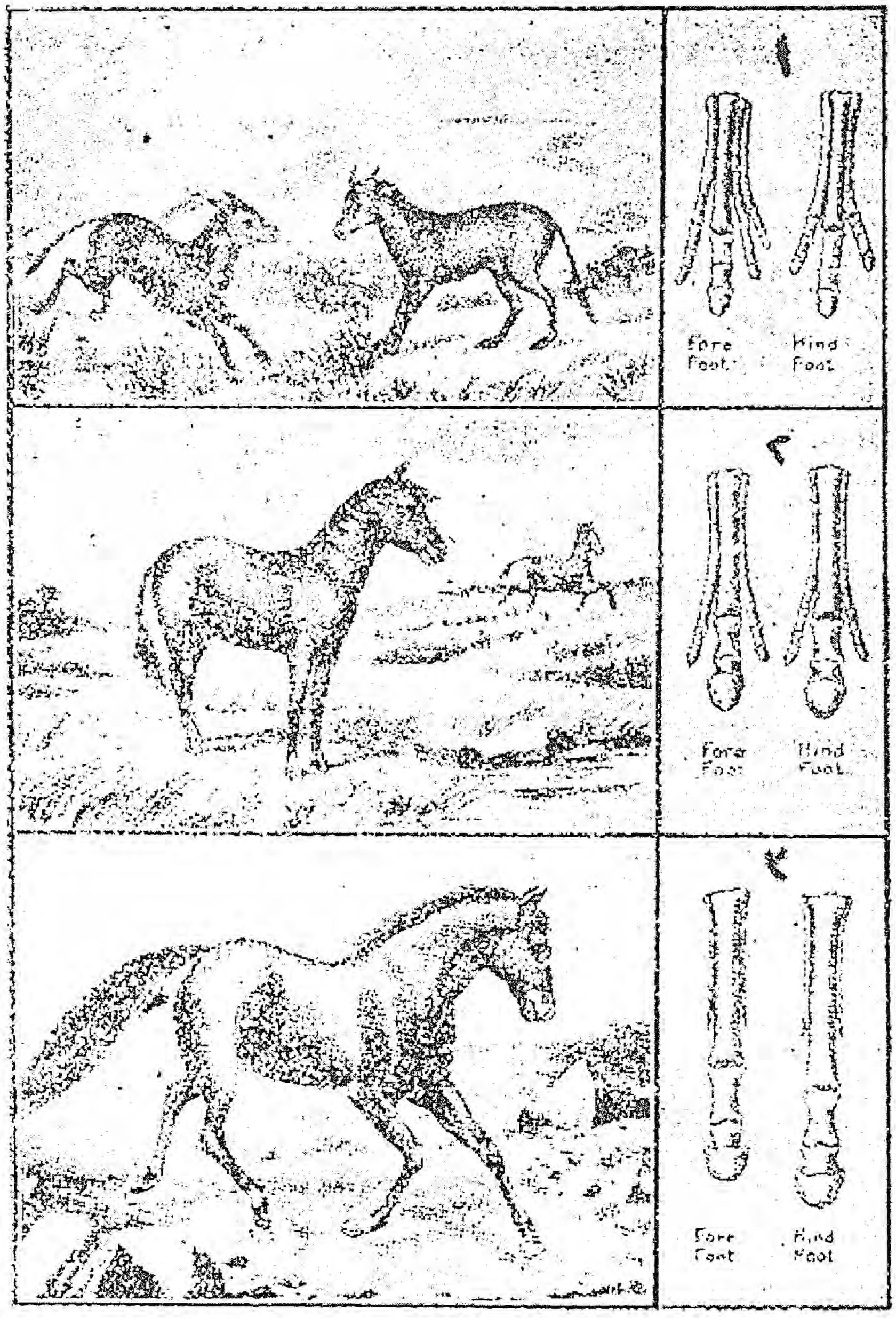
فصول في التاريخ الطبيعي

الحصان : أصله ونشوءه

نشط العلماء بعد أن استتب الامر لمذهب النشوء بجهود داروين وولاس وهكسلي وسبنسر في انجلترا وهيكل في المانيا يبحثون عن الحلقات التي تربطنا بين الانواع إحداها ببعض لان من انكى المعترضات التي عورض بها داروين في مذهبه النشوئي قول المنتقدين بانه إذا كانت الانواع قد نشأ بعضها من بعض بالتسلسل ، وجب أن توجد الحلقات التي تربط كل نوع بالآخر على مدى الدهور

ولقد رد داروين على منتقديه في الفصل العاشر من كتابه أصل الانواع وفي مواضع متفرقة من الفصل السادس وعلى الاخص لدي كلامه في نشوء التنوعات . ولكن الوقوف على بعض الحلقات التي تربط بين الانواع بالفعل كان من اكبر الشاهدات التي أقرت مذهب النشوء في نصابه . وكان العثور علي حلقات تربط بين أنواع عليا أبلغ في التدليل علي صحة النظرية من العثور على حلقات تربط بين الانواع كالدنيا كصور الحشرات وغيرها . وزاد الى هذه النظرية قوة وقوف العلماء علي الحلقات التي تربط بين المراتب الكبرى في النظام الحيواني ، مثل الحلقات التي تربط بين الزواحف والطيور ، وبين الاسماك والزواحف ، وبين الفقارية وذوات الثدي . ولا جرم أن الباحثين قد عثروا ببرهان جديد يؤيد مذهب النشوء عند ما عثروا على الحلقات التي تربط بين الحصان وبين أصل أولى منقرض عنه نشأ

في مباحث التاريخ الطبيعي يعتبر الحصان والحمار العادي وحمار الزرد Zebra — اعضاء فصيلة واحدة من اكبر فصائل ذوات الثدي ، لانها الفصيلة الوحيدة التي تمتاز بان لارجلها اصبع واحد هو ما نعرفه عادة بالظلف وذوات الاظلاف كثيرة الصور .



نشوء الحصان

(١) الصورة الأولى تمثل الايوهيبو Eohippus وكان فى حجم الثعلب من ذوات الأربع وله ثلاثة أصابع (٢) تمثل الميوهيبوس Mionipous وكان له ثلاثة اصابع منها اثنان وهما الجانبيان أكثر ضمورا من اصابع الاول (٣) الحصان وفيه يظهر كيف انضمر اصبعان وبقى الاوسط وفيه الظلف العادى المعروف لنا .

ولكن هذه الفصيلة تمتاز بان ظلفها موحد غير مكثر . وهذه الحيوانات تختص بالمقام فى مجاهل افريقية وغربى آسيا غير انها اخذت تنتشر الآن فى اوروبا والجزر البريطانية

وما عثر عليه من الحلقات التى تثبت تطور هـذه الفصيلة عن حيوانات متقرضة ، عاش خلال العصر الثلاثى ـ Tertiary ـ من العصور الجيولوجية وهو أقرب عصر جيولوجي لعصرنا الذى نعيش فيه ـ Ouarternary ـ . والحلقات التى عثر عليها تدل علي تطور تدرجى طرأ علي الصور الاصلية :

غير أن الاغرب من هذا ان الباحثين قد عثروا في شمال امريكا وجنوبها حيث نشاء صنف خاص من الخيل ، على حيوان حفري عاش إلى حدود العصر الجليدى الأخير . ثم انقرض فجأة من الحياة . ولما مر العصر الجليدي بما احدث فى صور الاحياء من احداث يعرفها علماء الحفريات واستعمر الاسبانيون امريكا نقلوا معهم بعض الخيل فتكاثرت هنالك تكاثراً كبيراً وبلغ عددها من زمان قصير عدداً لايتصوره الوهم .

والاغرب من كل هذا أن الصور الحفرية التى هى اسلاف نوع الخيل قد عثر بها في امريكا واوروبا على السواء مع بعض الفوارق القليلة التى تختص بها الصور التى وجدت فى كلتا القارتين . وهذه الشواهد تدل على ان شمال المحيط الاطلانطيق كان متصلا باوروبا من طريق آسيا وان هذا الاتصال ظل قائما الى عهد قريب قبل أن يتصدع وان المهاجرة من امريكا الى اوروبا ومن هذه الى امريكا كان يقع في احيان كثيرة

ويصعب علينا أن نقضى بحكم في نشوء الحصان الحالى وهل كان في امريكا أم فى أوروبا . ففى كلتيهما عثر على بقايا حيوان كان فى حجم الثعلب المعروف ، وتدل كل ظواهره الحيوانية على أنه الاصل الذى نشأ عنه نوع الخيل فى العصور الحديثة . ويقول اكثر الباحثين أن النوعين الاصلين الامريكى والاوربى قد تلاقحا واندمجا فى أواخر العصر الجيولوجي الثالث لان ذلك النوع كان خفيف الحركة محباً للهجرة والتجوال .

وأشهر من كتب في هذا الموضوع كاتبة امريكية تدعى « شارلوت بركنس غلمان » بحثت هذا الموضوع اطلى بحث وأمتعه

الزولوجيا

أو

مباديء علم الحيوان

— ٨ —

اذا تركنا المخلوقات التى نصرف عليها عادة اسم « الديدان » ـ worms ـ ننتقل الى عالم من المخلوقات أكثر منها رقياً ؛ فانا ولاشك نبدأ بتلك الحيوانات التى تصرف عليها عادة اسم « الارثرو بودا » ـ Arthropoda ـ اصطلاحا . وقد ندعوها فى العربية ترجمة « ذوات الارجل المفصلية » لان حيوانات هذا الجذع تشابه فى كثير من صورتها العامة حيوانات « الانيليدا » ـ الديدان الحلقية ـ التى سبق أن تكلمنا فيها من قبل . فان أجسام هذه الحيوانات تتركب من حلقات بعضها متصل ببعض فى حلقات أو دوائر تدعى اصطلاحا ـ somites ـ اما جهازها العصبى فشابه كل المشابهة للجهاز العصبى الذى تختص به « الانيليدا » اذ يتكون من مخ ـ Brain ـ وعصب طوقى ـ nerve collar ـ ووتر عصبى باطن Ventral nerve-cord . اما أخص صفات هذه الحيوانات فوجود طبقة سطحية صلبة على ظاهر أجسامها تدعى اصطلاحا ـ Cuticle ـ أى البشرة القرنية ؛ تحدث بافرازات تخرجها خلايا الجلد الخارجى . ونعثر فى « الانيليدا » على بشرة تشابه هذه البشرة ، غير انها تكاد تكون جلاتينية غير صلبة . اما فى الارثرو بودا فتكون سميكة صلبة ، تشابه درعا قويا يحميها من الطوارىء . فاذا نما الحيوان فى الحجم نبذ هذه البشرة القرنية مرة أخرى ، ثم تعود الى التكون مرة بعد مرة . وهذه العملية تدعى « التبديل » Moulting

واصطلاحا ـ Ecclysis ـ وهي تتم بين الارثروبودا أكثر مما تتم بين — النيماتودا — لان هذه البشرة في الحيوانات الاولى أقل مرونة منها فى الثانية وقد شرحنا لدى الكلام فى النيماتودا هذه الظاهرة ويحسن بنا أن ننقل هنا ما كتبناه من قبل :

«وهذه البشرة Cuticle كثيرة المرونة — فى النيماتودا — فعندما يبتدئ الحيوان الصغير فى النمو من حيث الطول أو يتقدم مع امتداد جسمه . غير ان مرونتها حداً تقف عنده فقد يحدث فى بعض الحالات أن تنفجر هذه البشرة وتلقى بعيداً ، عندما يأخذ الحيوان فى النماء من حيث الطول سريعاً ، ومن ثم يمضى فى تكوين « ثوب » آخر يتجدد بتجدد الافراز »

اما حركة الحيوان ، وهو مظروف فى مثل هذا الدرع الصلب ، فتتم بواسطة لفائف تصل بين اجزاء البشرة وتجعلها مرنة بعض المرونة ، وتكون لاجزاء البشرة بمثابة « المفصلات » لغلق الباب . وتسمى هذه اللفائف المرنة اصطلاحاً «الانمشية الارثروبودية » Arthropoidal membranes كما تسمى الاجزاء الصلبة اصطلاحاً Sceleritesويجوز أن تدعوها فى العربية «التآليل»

وتختلف الاطراف التى تنبت من جانب الحلقات الجسمية قلة وكثرة وهذه الاطراف تكون مزدوجة دائماً قلت ام كثرت . اما طريقة الحركة فى هذه الحيوانات فتختلف عنها فى « الأنيليدا » ، واوفق ماتدعى به حركة « الآرثروبوديات » علميا هى ان تدعو حركتها « بالحركة التجديفية » Rowing اذا كانت من الانواع المائية « وبالحركة الانتقالية » اذا كانت من الانواع الارضية . وبعض هذه الاطراف اذ تكون قريبة من الفم تكون مهيئة لتفتيت الطعام ، فتدعى Gnathites اى الافكاك Jaws

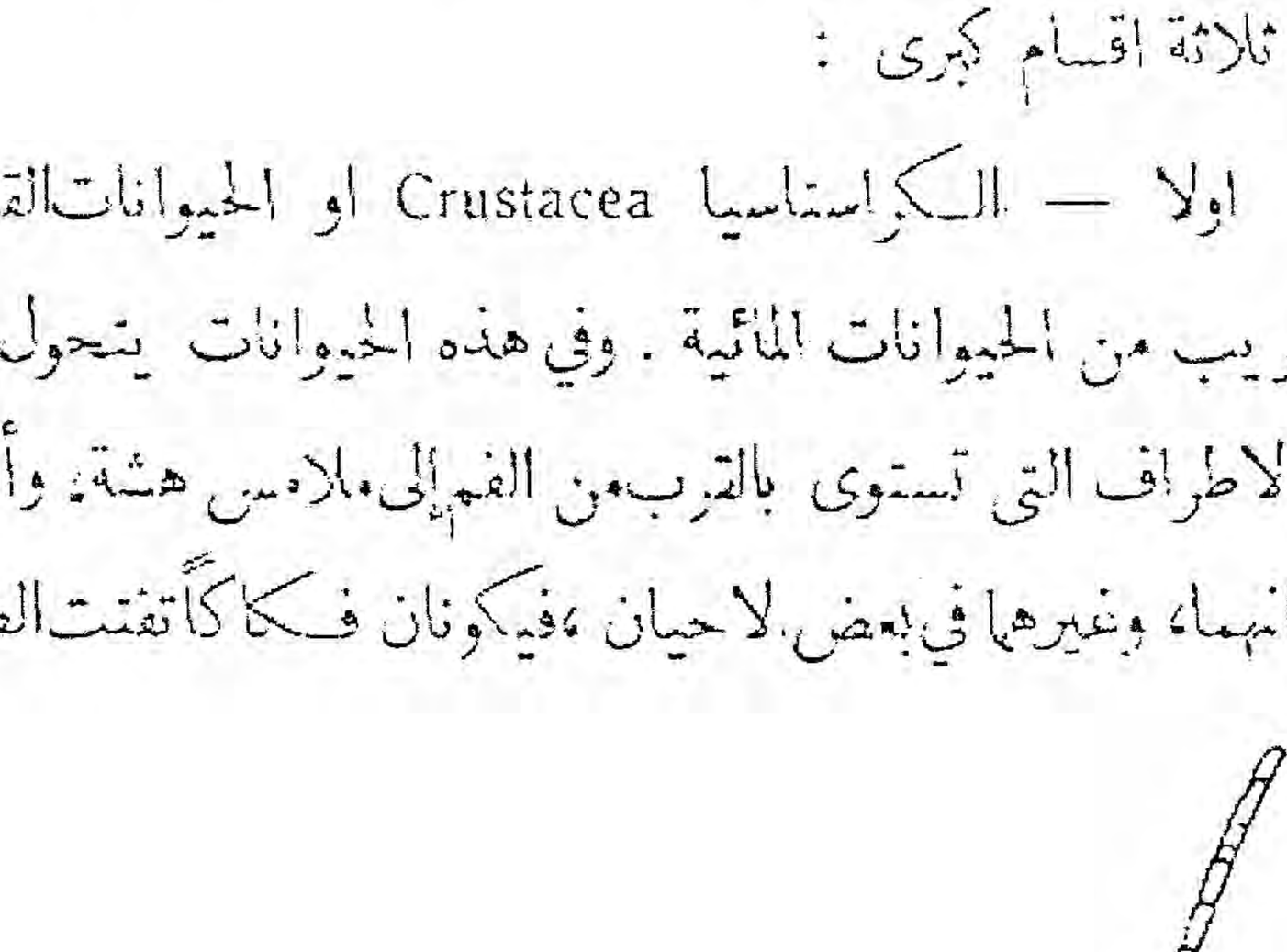
وبين الانيليدا والارثروبودا فرق فزيولوجى كبير لايجب ان يغفل عنه مطلقاً . فان الفجوة الجسمية الثانوية في الارثروبودا تدعى اصطلاحاً coelom تكون صغيرة منضمرة ، في حين ان الفجوة الجسمية الاولية Primary body-caivty تكون

كبيرة ممتدة فى سلسلة من الفجوات .

على أن الفجوة الجسيمة الثانونة تكون كبيرة فى صغار هذه الحيوانات. اذ تكون فى طورها الجنينى ولكن اذا كبرت واخذت اعضاؤها فى النشوء تعطل النماء فى هذه الفجوة وعجزت عن ان تلحق ببقية اعضاء الجسم من حيث النمو فتكون فى الحيوان البالغ عبارة عن فجوات شبيهة باكياس صغيرة تنبت على جدرانها الخلايا التناسلية

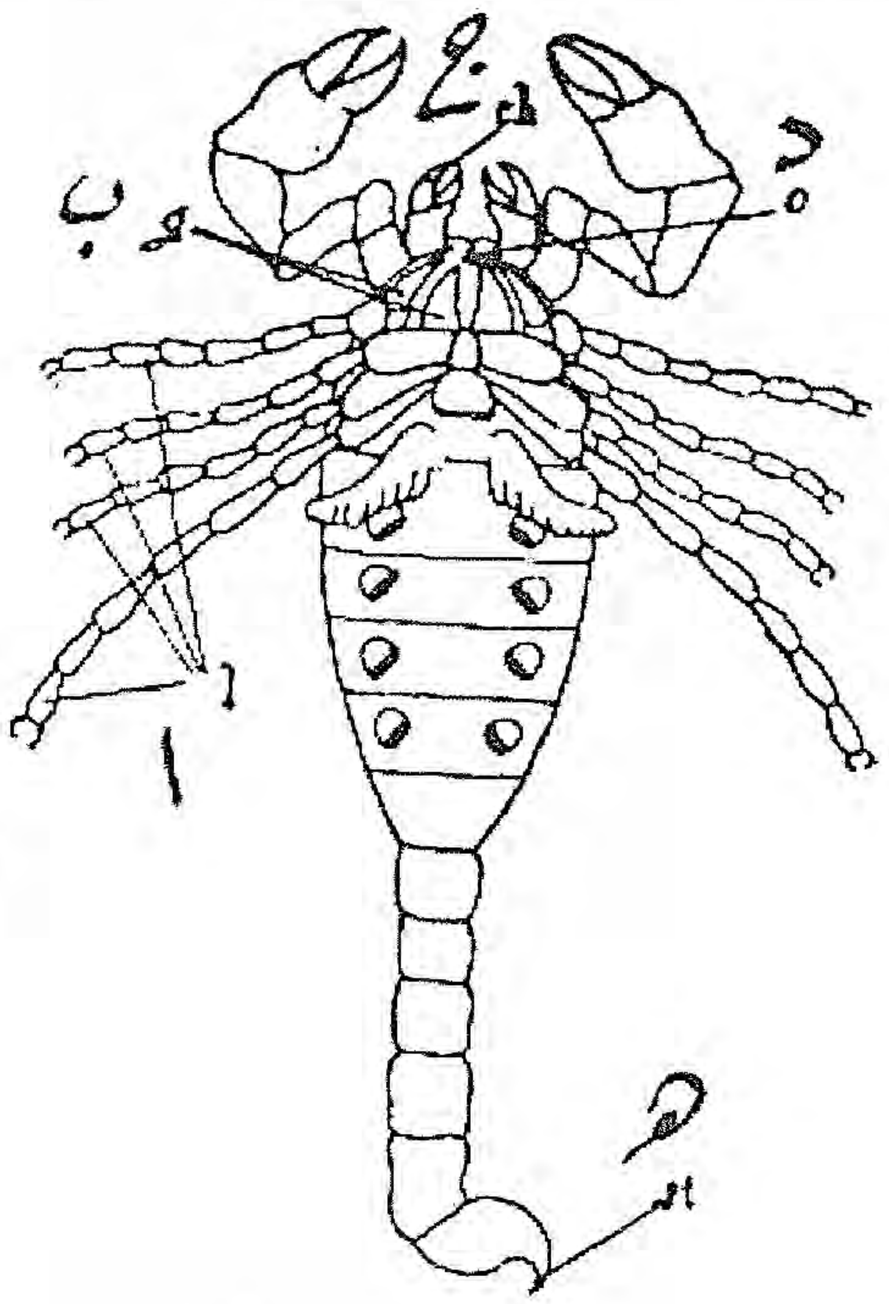
ان الارثروبودا من الجذوع الهامة فى علم الحيوان ، وتحتوى نصف مليون نوع على وجه التقريب ، وصفها علماء الحيوان كلها امتع وصف وأدقه على أن لهذه الحيوانات من الأثر فى تحديد الحياة الانسانية على الأرض اكثر مما لكل الجذوع الأخرى . فاذا تركنا الاقسام الدنيا منها رأينا ان العلماء يقسمونها الى ثلاثة اقسام كبرى :

اولا — الكراستاسيا Crustacea او الحيوانات القشرية وكلها على وجه التقريب من الحيوانات المائية . وفي هذه الحيوانات يتحول الزوجان الأولان من الاطراف التى تستوى بالقرب من الفم إلى ملامس هشة ، واما الزوجان اللذان يليانهما ، وغيرهما في بعض الاحيان ، فيكونان فكاكاً تفتت الطعام وتزود به الحيوان .



شكل ١ — الماء كمثال للحيوانات القشرية
أسفل (ب ١) اللامسة الأولى (ب ٢) اللامسة الثانية (ج) الأعين (ل) الارجل

ثانيا — الاركنيدا — Arachindae — أى «العنكبوتية» فى الاصطلاح العربى وفيه تجد أن الزوج الاول فى الاطراف قد هيىء ليكون مخالب تدعى اصطلاحا فى اللسان الحيوانى — chelicerae — ولا يوجد فى مقدم الفم من الاطراف غير هذا الزوج وحده . اما أزواج الاطراف التى تلى فيما بعد فقد تكون عريضة لدى قواعدها ؛ أى عند اتصالها بالجسم ؛ وتزداد خشونة لتساعد على تفتيت الطعام ، ولكنها تستعمل أيضاً للحركة وأكثر أنواع « الاركنيدا » من الحيوانات الارضية ، غير أن بعض أنواعها ذات عادات مائية تستحق العجب .



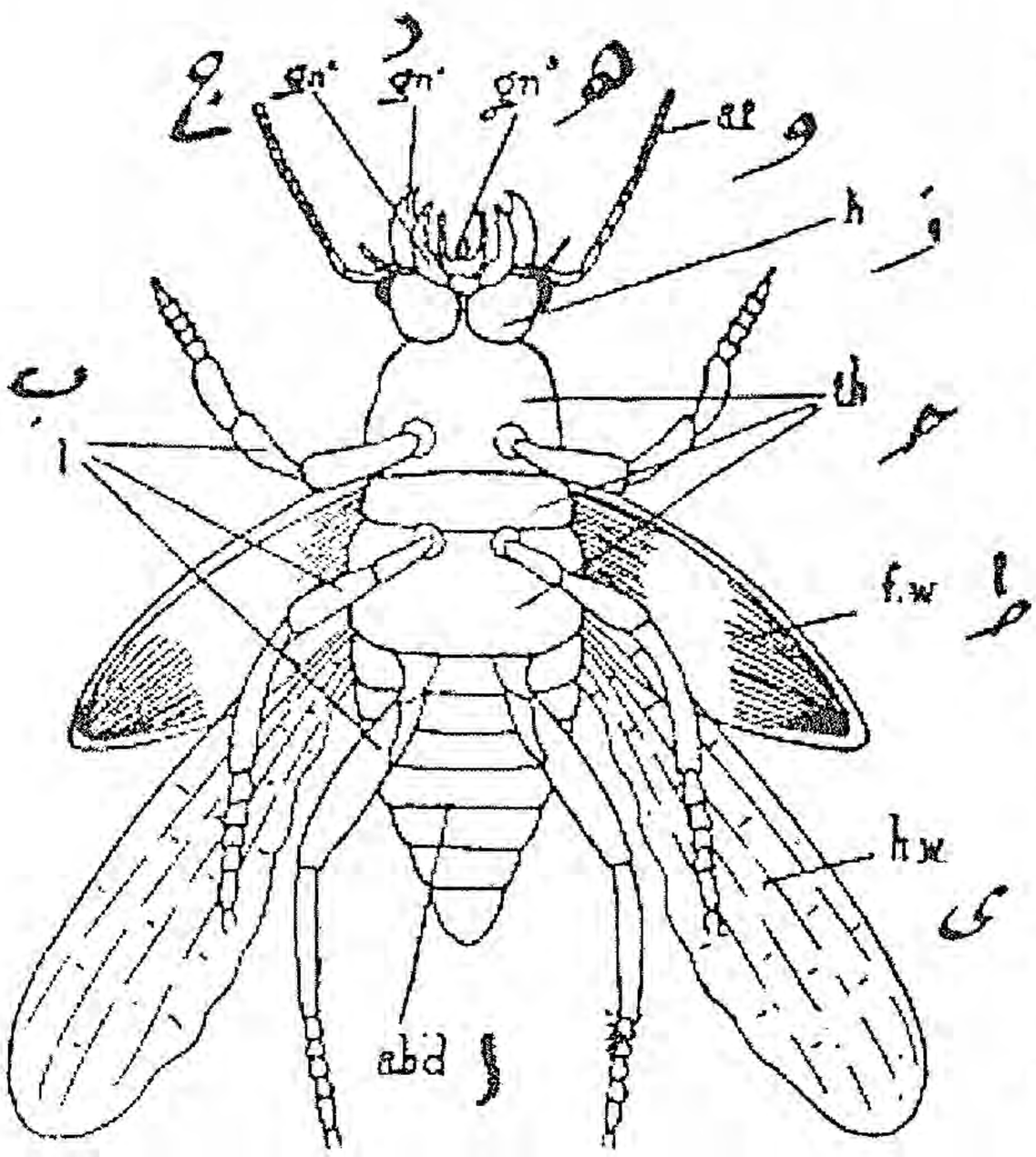
ش ٢
عقرب هو مثال الاركنيدا منظور فى أسفل « ج » المخالب « ب » جهاز التفتيت أو المضغ معلق فى قاعدة « ا » وهى الارجل — « د » الفم

ثالثا — الحشرات — أو اصطلاحا الانسيكتا — Insecta — وليس للحشرات الا زوج واحد من الاطراف فى مقدم الفم مهيئاً ليكون ملامس لاغير . ثم ثلاثة أزواج من الاطراف قد انقلبت الى أفكاك . اما الجزء الذى تعلق به الملامس والافكاك فيدعى الرأس Head ومن بعده جزء قابل للحركة يدعى Neck اصطلاحا أى الرقبة وبعد الرقبة جزء من الجسم تعلق به ثلاثة أزواج من الاطراف تستعمل للحركة والتنقل . ويدعى هذا الجزء من الجسم اصطلاحا Thorax أى « التجويف الصدرى » وهو يتكون من ثلاثة « فصوص »

اما القسمان الثانى والثالث من هذه الاقسام ؛ فينبت لها فى ظاهر جسمها « زوائد » مسطحة تستعمل للطيران وتدعى « الاجنحة »wings اصطلاحا .

ومن بعد التجويف الصدرى يقع جزء من الجسم يتكون من تسعة أو عشرة فصول ولا زوائد فيه يدعى اصطلاحا « الامعاء » abdomen

ان كلمة «انسكت »insect التى ندعوها في العربية حشرة ، تدل في الاصل على معنى « القطع في شيء » وهذا يشير الى الاقسام الثلاثة التى ينقسم اليها الجسم في الحشرات.



ش ٣

خنفساء متطورة فى أسفل كمثل للحشرات « و » زوج الملامس «ا» الامعاء ط . الجناح المقدم . ج ، د ، هـ . ثلاثة أزواج من الافكك . ى . الجناح المؤخر . ز . الرأس . ب . أرجل المشى . ح

والحشرات تتنفس بواسطة انابيب تدعى « الانابيب الهوائية » air tubes تتشعب من داخل التجويف الصدرى

أجسامها والحشرات تعيش في الهواء كما تعيش في داخل الارض . اما أنواعها القليلة التى تعيش فى الماء فتحمل معها أنابيبها الهوائية ، وهناك تكون حياتها أشبه بحياة الحيوانات الغائصة لا الحيوانات المائية بطبيعتها كالاسماك .

وفصيلة الحشرات تتضمن كثيراً من الصدر كالذباب والخنافس والنمل والنحل والزنابير والفراش والبق والجراد والعث والنطاط . اما العناكب والسوس ، فعلى الرغم من انها تدعى عادة حشرات ؛ فانها لدى الواقع من الاركنيدا ؛ لا من الانسيكتا .

الاستكشاف القطبى

نبذة من تاريخه وآخر حوادثه

كان للاستكشاف الجغرافى أثر كبير فى تغيير أساليب الفكر والقضاء على الاوهام التى شاعت فى القرون الوسطى وكانت أكبر سنادة للكنيسة في بث تعاليمها المعروفة . ولقد كان جهل الناس حقيقة موطنهم الاصلى سبباً في أن يتقبل الناس أقاصيص المبشرين بحسن نية . فلما أن فتح الرواد فى حدود العصور الحديثة باستكشافهم أقطار الارض رجع الناس شيئاً فشيئاً عن الاعتقاد بالاوهام التى بثها في روعهم رؤساء الدين وأخلدوا للحقائق الكونية كما أراد الله أن تكون ، لا كما أراد أهل الدين أن تكون تصوراً من مختلقات أذهانهم .

ولما خلص الرواد من استكشاف البقاع المأهولة من كرة الارض وجهوا بأنظارهم الى الأصقاع غير المأهولة فارتادوها وقطعوا مجاهل القارات الكبرى والصحارى التى هى أشبه بالرمضاء صيفاً وبالزمهرير شتاء . ومن ثم رجعوا الى الاقطار الجليدية يرتادونها وليس لهم من قصد الا البحث العلمى الصرف ، لانها بقاع لاتستعمر ولا ينتفع بها مادياً . فمن أجل العلم ماضحوا ومن أجل البحث ماانفقوا من مال ومتاع وأنفس .

ولقد كان النكبة المنطاد ايطاليا أخيراً وهو الذى استقله الجنرال نوبيلى ورفاقه ، ومنهم الاستاذ مالمجرن السويدى المعروف ، صدى تجاوبت به أنحاء العالم وقامت قيامة الصحافة في أطراف الدنيا تطالب بعمل تحقيق يتناول أسباب النكبة ومن المسؤول عنها ، وعما وقع لبعض رفاق نوبيلى بعد أن تحطم منطاده بالفعل . وقد قيل بأن مهندس الجهاز اللاسلكي لم يكن واقفاً على أسرار مهنته بقدر كاف وقيل بأن بعض الايطاليين الذين هبطوا على الجليد مع مالمجرن قد تركوه بغير عناية بعد أن كسرت ساقه عرضة للموت والآلام الشديدة . بل تطرفت

بعض الجرائد الى القول بأنه قتل بالفعل واتخذت بعض أجزاء جسمه طعاما .

ولقد هرع عند وصول الاخبار بنكبة المنطاد كثير من كبار الرواد لنجدة المنكوبين وكان الرحالة المشهور أمندسن أول من هب للنجدة على الرغم عما كان بينه وبين نوبيلى من حفيظة ، فقضى شهيد الواجب ، بل قضى حيث كان يجب أن يقضى نحبه بين الثلوج التى أحبها واستكشف أرجاءها الفسيحة ، فكأن الجليد قد انتقم ممن فضح أسراره الابدية ، كما انتقم الملك المصرى توت عنخ آمون ممن كان سببا في انتهاك حرمته المقدسة .

ولقد أعادت هذه الحوادث على أذهاننا ذكريات أربعة من رواد المجاهل القطبية كان آخرهم من الاحياء أمندسن وقد لحق بمن سبقه من الابطال . لهذا أردنا أن نتكلم فى أربعة من أبطال الارتياد القطبى فان فى تاريخهم عظة كبرى وفي سيرتهم مثلا أعلى لما يمكن أن تبلغ اليه الصفات الانسانية من صبر واحتمال .

ويحسن بنا أن نقف بطرف موجز فى سيرة الدكتور مالجرن لنعرف مقدار مصيبة العلم فيه . « كان الدكتور فن مالجرين العالم السويدى النابه في علم الاجواء (المتيورولوجيا) احد ثلاثة ممن حاولوا بعد نكبة السفينة الجوية (ايطاليا) الوصول الى منطقة الارض الشمالية الشرقية مشيا على الاقدام وان قصة مماة صحيفة من انبل صحائف الاكتشاف القطبى .

كان الدكتور مالجرين شابا لم يزد عمره على الثلاثين والتحق كعالم بعلم الأجواء فى بعثتين قطبيتين قبل ذلك ومما حفزه الى التعمق فى دراسة العلوم الطبيعية اتصاله بالاستاذ هامبرج فى مرصد بوزتسيا كو حيث كان مساعدا له وفى سنة ١٩٢٢ التحق ببعثة امونسن على ظهر الباخرة « مود » وكانت في بداية المرحلة الثانيه فى الكشف عن الحوض القطبى الشمالى . وقد استغرقت هذه الرحلة ثلاث سنوات اذ عبرت الباخره « مود » مضيق بهرنج سنة ١٩٢٥ وفى خلال هذه السنوات الثلاث كان الفقيد يواصل دراساته على ظهر الباخرة حتى انه عند رجوعه

درجة « استاذ في العلوم » ثم الدكتوراه وفي العام التالى اشترك في الطيران فوق حوض القطب الشمالى فى السفينة الهوائيه « نورج » وكتب فصلا في « الجو والتنبؤ به اثناء الطيران صوب القطب » في الوصف الرسمى لاعمال البعثه الذى كتبه اموندصن والسورث

وفى هذا العام عين محاضرا وامينا لقسم التاريخ الطبيعى فى كلية فاسما نلندر (التابعه) لكلية ابسلالا ولما عرض عليه الجنرال نوبلى الالتحاق ببعثة « ايطاليا » كخبير فى الاجواء قبل هذا العرض عن طيب خاطر رغم كل اعتبارات أخرى.

* * *

الكابتن سكوت



ش ١
الكابتن سكوت

غادر الكابتن سكوت ورفقه لندن فى أول يونية سنة ١٩١٠ ووجهم القطب الجنوبى ولكن اخبارهم انقطعت عن العالم المتمدين فى اوائل سنة ١٩١٢ ، وبقيت اخبارهم غير معروفة حتى عادت السفينة التى اقلتهم الى البقاع الجليدية الى نيوزيلاندا وكانت تدعى الارض الجديدة « تيرانوفا » .

وقد انقسمت بعثة سكوت عند وصولها الى اول الاصقاع الجليدية الى ثلاث فرق وعنيت الفرقة العلمية بعملها واكبت عليه منذ اول وصولها الى تلك الاصقاع ، فاكب العلماء والخبراء الذين رافقوا سكوت على تدوين الارصاد

ومعرفة المغنطيسية الارضية فى تلك الاصقاع ودرس طبائع الطيور والحيوانات والجراثيم والحيوانات الدوارة التى تعيش فى الجليد .

واخذ سكوت يتقدم نحو القطب فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢١ ـ ولكن دوابه ماتت فتأخر عن التقدم شهراً آخر . ثم عاد يتقدم الى القطب غير مبال بالاهوال والشدائد فبلغه فى ١٨ يناير سنة ١٩١٢ وكان معه اربعة من رفقهم دكتوره ويلسون والكبتن أووتس والملازم بورز والضابط البحرى ادغر القيانس . ثم تقلوا راجعين الى مراكزهم الاولى فعانوا من الشدائد مالا يبلغ اليه وصف ، فصيب ايفانس بارتجاج الدماغ ومات ، ومرض أووتس وقل لديهم الوقود . وفى ١٦ مارس بينما كان الرفاق الأربعة جالسين تحت كهف من الثلج وبينهم اووتس مريضاً وقد رأى نفسه انه اصبح عالة على رفاقه تقدم نحو هاوية من الثلج عميقة الغور ووقف على حافتها ورفقاؤه ينظرون اليه من غير أن يتنبه منهم احد الى غرضه ، ثم التفت اليهم وقال «استودعكم الله» ثم القى بنفسه فى الهاوية ليخلص رفقاؤه من ثقل حمله والعناية به . وهذا مثل من التضحية لا يعرفه الا رجال آمنوا بغرضهم فى الحياة ايماناً كبيراً .

وواصل سكوت ومعه دكتور ويلسون وبورز حتى اصبحوا على بعد احد عشر ميلا من مركزهم العام ولكن الزمهرير اشتد عليهم فتعذر عليهم أن يتقدموا خطوة واحدة ولم يكن معهم من الزاد الا ما يقوتهم يومين اثنين لا غير . وكان قد خرج من المركز العمومى بعض اعضاء البعثة يبحثون عن سكوت ورفاقه والظاهر أنهم اقتربوا منهم كثيرا ولكن شاء القدر أن لا يهرب سكوت ورفقه من يد الموت ، فلجؤا الى كهف ينتظرون الموت . وظل سكوت يرقب الموت يسرى فى مفاصل رفاقه ، فلما مات اولهما زم عليه اردیته وخاطها عليه ، ولما مات الثانى فعل به كما فعل برفيقه ، وظل ينتظر الموت وحده ، ثم فكر فى ان يكتب رسالة الى الامة الانجليزية وقد وجدت بجانب جثته فقال فيها:

«ان فشلنا لم يكن لاننا اخطأنا فى تدبير امورنا ، بل لانه نزلت بنا نوازل لم تكن منتظرة

فاولا — فقدنا دواب النقل فى مارس سنة ١٩١١ فاضطررت أن أؤخر سفرنا وان اقلل المؤنة التى اخذناها معنا

وثانياً — اشتد البرد وثارت العواطف كل مدة السفر ولاسيما حينما كنا عند الدرجة ٨٣

وثالثا — وجدنا الثلج رخواً ليناً فابطأ سيرنا عليه .

«وقد قاومنا هذه العوائق بهمة ونشاط وتغلبنا عليها ولكنها قللت مؤونتنا ولولا مصيبة أخرى حلت بنا لوصلنا الى القطب ورجعنا منه ومعنا زاد كاف لاننا كنا قد استعددنا لهذه الطوارىء . اما المصيبة فهى مرض الرجل الذى كنا نحسبه اقوى منا كلنا واصبرنا على المشقة وهو إدغر ايفانس . وكان امامنا نهر الجليد المسمى « بيرومور » وعبوره قليل الصعوبة فى الصحو ولكننا لم نصح يوماً واحداً فى رجوعنا ومعنا رجل مريض نضطر الى حمله ، فانه وقع واصيب بارتجاج الدماغ ثم مات بعد أن هد حيلنا ، وتركنا وفصل الزوابع قد أدركنا ولكن ذلك كله لم يكن شيأ مذكوراً بجانب ما وجدناه مخبوءاً لنا . فما من مخلوق كان يظن اننا نصادف البرد الذى صادفناه في هذا الفصل من السنة ، فقد كانت درجته ٢٠ الى ٣٠ تحت الصفر بين عرض ٨٥ و٨٦ ولكننا لما رجعنا الى العرض ٨٢ وفى مكان من الأول ١٠٫٠٠٠ قدم رأيناه ٣٠ تحت الصفر نهاراً و٤٧ تحت الصفر ليلا والريح تعصف فى وجوهنا صرصراً مستمراً ثم قال

«حقاً لقد جازت ملمات الزمان حدودها واستنزفت آفاته مجهودها

لقد ركبنا الاخطار عن طيب نفس فجاءت التقادير على غير ما انتظرنا فلا نشكو من احد ولا نلوم احداً بل نسلم انفسنا للاقدار عازمين أن نبذل جهدنا الى النهاية

«ولكن ان كنا قد خاطرنا بانفسنا لاجل شرف وطننا فاننا نتوقع من ابناء

الوطن ان يعتنوا بالذين تركناهم وراءنا وليس لهم ملجأ سوانا

«واذا فسح لنا في الاجل فعندي كلام كثير في وصف شجاعة رفاقي وصبرهم وتحملهم المشاق ـ كلام ينير النخوة في صدر كل ابناء وطني ولكن هذه السطور وجيزتنا الطالعة ستظهر خبرنا ويقيني تام في أن بلادا عظيمة غنية مثل بلادنا تعنى بالذين تركناهم في بيوتنا

سكوت

المندحن

وصل المندحن ورجاله في رحلتهالى القطب الجنوبي الى أرض مرتفعة قليلا قدرها ١٠٧٥٠ قدماً فوق سطح البحر في ٦ ديسمبر سنة ١٩١١ وكان ذلك درجة ٨٧ و١٤ دقيقه عرضاً . وفي ٩ ديسمبر بلغوا الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي ، فكان بينهم وبين القطب درجة واحدة و٢١ دقيقة وفي ١٢ ديسمبر بلغوا الدرجة ٨٩ والدقيقة ٤٥ وفي يوم ١٤ بلغوا القطب نفسه وكانت درجة الحرارة ٢٣ تحت الصفر . والقطب سهل مرتفع فسيح جداً . وفي ١٥ ديسمبر سنة ١٩١١ رصدوا ارصاداً كثيرة فوجدوا انهم على الدرجة ٨٩ والدقيقة ٥٥ فشوا تسعة كيلو مترات اخرى ليكونوا قد اجتازوا القطب فعلا .



ش ٢
المندحن

وفي (مايه) سنة ١٩٢٥ استكشف القطب الشمالي بالطيارة بعد استعداد لهذه الرحلة الكبيرة ظل عدة سنوات . ولما نكب المنطاد ايطاليا كان المندحن أول من فزع للنجدة

ولكنه فقد ولم يعرف مقره حتى اليوم والظن الغالب انه مات فى الاقطار الشمالية المتجمدة ولاشك فى انه اكبر رائد للقطبين فى هذا العصر

* * *

سير ارنست شكلتن



حاول الرواد استكشاف القطب الشمالى منذ سنة ١٨٤٠ اذ حاول السرجون فى فرنكلين أن يكشف طريقاً بحرياً الى آسيا من الشمال الغربى ، ولكنه مات دون غرضه هو وجميع رجاله الذين رافقوه فى رحلته هذه . وتوالت بعد ذلك بعثات الاستكشاف وكل بعثة منها تقرب من القطب خطوة ابعد من الخطوة التى بلغتها سابقتها . فان سير فرنكلين مات وهو من القطب على بعد ١٣٢٥ ميل . وكان آخر

ش ٣

شكلتن

من استكشف القطب فى سنة ١٩٠٩ سير شكلتون فوصل الى ابعد ماوصلت اليه البعثات القطبية اذ كان على بعد ١١١ ميل من القطب

* * *

القومندور بيرى

هو مستكشف القطب الشمالى ، اى أول من بلغ اليه من رواد الجليد . ولد فى ولاية بنسلفانيا بامريكا فى ٦ مايو سنة ١٨٨١ وتخرج من كلية



بودين سنة ١٨٧٧ ثم عاون فى
مسح بحيرة نيكاراغوى بامريكا
الوسطى ، ثم اصبح رئيساً لبعث
مساحة تلك الاصقاع سنة ١٨٨٧
و رحل بعد ذلك رحلات عديدة
وكان محباً للمخاطرة مغرماً
بالاستكشاف فبعد ان قفل
من سياحته الى انجلترا أعد
العدة لرحلة قطبية حتى اتمها
واقلع من ميناء نيويورك فى ١٦
يناير سنة ١٩٠٥ ومعه من
المؤونة مايكفيه وصحبه حوالين
كمالين . ومازال يضرب فى مجاهل
تلك الاصقاع الجليدية حتى وصل

ش ٤
بيرى يقف على القطب

فى ٢١ ابريل سنة ١٩٠٦ الدرجة ٨٧ والدقيقة ٦ من العرض الشمالى وهو اقصى مابلغه انسان من شمال الكرة الأرضية . ولكنه عاد بعد ذلك الى امريكا من غير أن يصل الى القطب .

ثم عاود الكرة مرة اخرى سنة ١٩٠٨ فاستقل سفينته « رزوفلت » وكان معه ستة من رفاقه ، وأخذت المؤونة تقل شيئاً فشيئاً فكان يعيد رجاله واحداً بعد الآخر الى مركز الرحلة خوف أن يموتوا جوعاً ولما وصل الدرجة ٨٧ والدقيقة ٤٨ من العرض الشمالى بقى معه الكبتن بارتلت ، فاضطر الى ارجاعه أيضاً . وسار بيرى يصحبه خادمه الاسود واربعة من الاسكيمو يين يواجهون المصاعب ويذللون المشاق حتى بلغوا القطب فى ٦ ابريل سنة ١٩٠٩ .

ثم عاد ادراجه وصحبه افراد بعثته الى امريكا فوصلوها فى آواخر سنة ١٩٠٩ سالمين لم يصب احد منهم بسوء .

بين الصحف والمجلات

هول الاسلوب العربي

مجلة الحديث العدد السابع من السنه الثانيه تحت عنوان (سلامه موسى . بين خصومه وأنصاره) .

جرت العصور على طريقة من النقد لم ترض الكثيرين من الكتاب والاساتذة على الاخص . وما يعنينا من شيء رضوا ام غضبوا مادمنا نرضى ضميرنا ونقول مانعتقد لافرق عندنا بين صديق وغير صديق . وتناولت العصور فيما تناولت بالنقد بعض أشياء نشرها الاستاذ سلامه موسى الذى لايمكن بحال أن نحاول ان نغمطه حقه أوننكر جهوده فى سبيل العلم والادب . غير أن هذا لايصرفنا مطلقا عن أن ننقده ونقول بان أسلوبه عامى ، والحقيقة انه عامى الاسلوب لاتجرى ديباجته على ماتتطلب أساليب العربية المنتقاة ، ليكون أسلوبه عربياً . مارمينا الاستاذ سلامه بعد ذلك بالجهل ولا وصفناه بالعى ولا بشيء مما يجرى على أقلام الكتاب عادة . وما لبثنا على ذلك غير قليل حتى قرأنا فى « الحديث » خطابا أرسله الاستاذ سلامه الى الاستاذ المغربى يعرض فيه بالعصور ومحررها ويقول بان كتبه تقرأ بآلاف ومئات الآلاف . على أن هذا ان صح لايغير من رأينا فى أسلوبه شيئاً . وهنا نذكر رأيضاً انه أسلوب عامى ليس فيه من الاساليب العربية عين ولا أثر . على انه يكفى لان ينقل لك فى كلمات عربية وجمل تتركب من الفاظ عربية فكرة تجول في رأس صاحبها . وماذا يعنينى اذا كان الاستاذ سلامه موسى قد تربى في انجلترا أوفى بلاد الواق ليكون لهذا الامر عندى أقل اعتبار فى الحكم على أسلوبه العربى ؟ ألم يعترف الاستاذ سلامه بان أسلوبه تلغرافي « لاسلكى » ؟

وليقل انا بعد ذلك الناقدون ماهو الاسلوب « التلغرافي » في اللغة العربية وعند كتاب العربية ؟

ولقد قرأت في العدد الاخير من « الحديث » ردان على كلمة تفضل صديق صاحب الحديث بنشرها في العدد الخامس من سنتها الثانية . احد الردين « البكاوريوس آداب من أمريكا » ، وما أدراك ماأمريكا ، هو محمد افندي على ثروت . والثاني لصديق الاستاذ زكي مبارك . اما الاستاذ فيقول بانى أتبع أسلوبا مانفع غيري لينفعني . اما النفع والضر ياأستاذ زكي فبيد الله ولله في ذلك أقدار مقدورة . واما قولك — « فهل يتفضل . . . . . صاحب العصور فيذكر من هم الكتاب المعاصرون الذين يقف منهم الاستاذ سلامه موسى موقف الشرير تلى من محمد عبده وجمال الدين الافغاني » — فليس من الاسئلة التي يعسر الجواب عليها . فلماذا لايكون الدكتور طه حسين أو الدكتور فهمي أو الدكتور فريد رفاعي أو يكون الدكتور زكي مبارك نفسه ؟ ولكن على يقين أيها الصديق انى ماأبتغي بذلك نفعاً أو جوه أو كسباً لشيء من حطام الدنيا صغر أم كبر ، بل هي طريقتي وأسلوبي لاأنفك عنهما . اما النفع والضر فلا شأن لي بهما بعد ان أرضي نزعتي وأعبر عن رأيي في صراحة لاتقبل التمويه .

أما « البكاوريوس آداب من أمريكا » فانا ننقل لك فقرات من رده في الحديث لتعرف انه « بكاوريوس آداب » ومن صميم « أمريكا » ، « وان من البيان لسحراً وان من « النقد » لحكمة » — قال زادنا الله من أدبه :

« وفي الجملة فكتب سلامه موسى قد امتازت بجمال الاسلوب وبالمزاج الفلسفي وبالنظر التحليلي الثاقب في التاريخ الانساني (مرحى مرحى) وتطور تفكير العقل البشري . وهي مفعمة بالادلة المنطقية القاطعة . واما اسلوبه فهو البديع الغير المعقد (كاسلوب البكاوريوس آداب) المتكامل لكل صفات المجيدين ممن ضربوا بسهم في تاريخ الانسانية (ثم ماذا ؟) وتطور ذلك المدى الذي حاق

فى فضائه العقل البشرى (وماهو تطور المدى أيها البكالوريوس آداب ؟) وبالاختصار فهو السهل الممتنع (وهل يؤدى ازص الاول هـذا المعنى ؟) — ثم اقرأ :

« ولم يكن لسلامه غرض يرمى اليه بكتابته التى سرت فيها روح العصر ، سريان الدم فى الشرايين (الدم يجرى فى الشرايين ولا يسرى) سوى العودة لرسم صورتنا الحاضرة (كصورة البكالوريوس المنشورة مع مقالته فى الحديث والظاهر انها مقطوعة من « أبونيه » قديم) وهى صورة جزئية من مجموعة الصور التى تتألف منها الانسانية (مايعنى البكالوريوس آداب بهذا ؟) كما رسم صورة أمته كل كاتب خالد » . ثم اقرأ بعد ان تبسمل حذر الشيطان وتحوقل على لغتك العربية وأسلوبها :

« ولم تكن الصورة التى يعطينا اياها « سلامة » شبيهة بالصور التى رسمها الكتاب المزوقون من مجرد سحب بحتة سرعان ماتشرق عليها الشمس فتنقشع ، وتضمحل ، ولكنها صورة مصنوعة من مواد الارض التى نعيش عليها (اى صورة من طين او زلق) والتى تعطينا مادة التفكير والحياة (مرحى مرحى) بل هى صرح من التفكير وحصن منيع أو معبد مقدس للعقل المصرى المعاصر يستطع أن يجد فيه كل طبعى من أعصابنا . ومصور احساساتنا . الفرصة السانحة ليتعبد فى محراب الجمال المقدس (وهكذا تكون الاساليب الامريكانية وإلا فلا) .

ثم اقرأ واندب اللغة العربية فى مناحة طويلة .

« ولا نستطيع أن نقول عن سلامه سوى مايقرره روح العصر عنه (ولم اتشرف بعد بمعرفة روح العصر افندى او الاستاذ روح العصر ولعله لايزال فى السماء السابعة) . وهاهى كتبه ومقالاته منشورة أمامنا (على الطاولة) وكأنى

اسمع روح العصر (اسمعنيه معك وفقك الله ومتعك بالبكاوريوس) تقول عنه انه قوة سلكت طريقا محفوفاً بالموانع » الخ الخ .

ثم اقرأ كيف يكون القصد وعدم الأسراف فى نقد البكاوريوس اذ يقول :

ولو ـ « كنا فى احكامنا منزهين عن التغرض والتحامل لقدرنا سلامه موسي كما يقدر الروسيون « تورجنيف » وكما يقدر الفرنسيون « فلوبير » !!! هذا فى الآداب ياسيدى البكاوريوس . ولماذا نسيت أن يشارك داروين عظمته وسبنسر خلوده ، ذاك فى العلم الطبيعى ، وهذا فى الفلسفة ؟ لعلك نسيت . وانى اعتذر عن استدراكي هذا .

وبعد فيحسن بالاستاذ سلامه موسي أن يمنع مثل « البكاوريوس آداب من امريكا » عن أن يدافع عنه هذا الدفاع الذى هو أشبه شيء بالندب في المناحات منه بالكلام العربى الذى يقتضيه موقف كموقفه يدافع فيه عن أسلوبه . وانى آسف بعد هذا إذ اعترف انى لاأزال على رأيى فى أسلوب الاستاذ سلامه . فهو أسلوب عامى . وليس أعرق منه فى العامية نسباً وأدنى اليها لحمة إلا أسلوب « البكاوريوس آداب من أمريكا » .

***

الحب والجمال

الهلال ـ مصر ـ من مقال بهذا العنوان بتوقيع سلامه موسى: عدد اغسطس سنة ١٩٢٨

يقول الاستاذ مانصه :

« اذا جردنا الكرة الأرضية من الحيوان وتخيلناها كانت لسنا منها ولا نتصل بها إلا أيناما كما يرى الكون كله ايضاً ، ظلمة صامتة »

« فنحن نتوهم أن فى العالم ضوءاً أو ضوضاء . نرى الشمس تسطع بنورها ونسمع تغاريد الطيور وصخب الحركة من موج أو ريح فنتوهم أن الضوء والضوضاء

حقيقتان لهما وجود مستقل عنا . ولكن الواقع أن لا وجود لهما في الكون أو على الأرض . وانما كل ماهنالك حركة نراها أحياناً ضوء أو نسمعها احياناً صوتاً . فالصوت والضوء ليسا حقيقة موضوعية لهما وجود خارج عنا بل حقيقة ذاتية متوقفة على ذواتنا . اى على العين والأذن . فلو فرض انه كان على الأرض حيوان آخر له حواس غير حواسنا ، وليس له عين أو أذن لما تخيل معنى للضوء أو للصوت » .

وهذا القول لاينطبق على الحقائق العلمية ، ولا الابحاث الفلسفية العميقة التى تصدى لها كثير من الباحثين فى العصور الحديثة .

لقد اختلط على الاستاذ سلامه فى هذا البحث ان يفرق بين الادراك وما يدرك . وكان عليه أن يتساءل هل اذا فقد الادراك كلية امحت كل المدركات باعتبارها حقيقة طبيعية لها وجود موضوعى ؟ والواقع أن الاستاذ سلامه قد اعتمد فى هذا البحث على ابحاث الفلاسفة في الفرض الضرورى فى الفلسفة . ومعنى الفرض الضرورى عندهم أن الانسان يلزم ضرورة بالاعتقاد بعدة حقائق يستقيم معها علمه الطبيعى ولو لم يكن فى مستطاعه أن يثبت وجودها بطريق علمى . لا جرم أن هذا لايؤثر على وجودها الموضوعى الحقيقى سواء اثبت الانسان وجودها علمياً أم لم يثبت . وبالضرورة يخرج عن هذا كل الاشياء النظرية التى لايرجع اثباتها الى الحواس وحدها باعتبارها طريق لاثبات العلمى .

فلو أردنا مثلا أن نثبت وجود حيز للمادة خارج عن حيزنا ، لما استطعنا ذلك لان ادراكها راجع الى احساسات كائنة فينا وليست خارجة عن حيزنا فلو فقدنا البصر امتنع علينا ان نراها ولو فقدنا الشم امتنع علينا ان ندرك رائحتها ولو فقدنا الحواس جميعها امتنع علينا أن ندرك أن لها حيزاً خارجا عن حيزنا. لهذا تحملنا ضرورات العقل والحواس على أن نفرض وجودها فرضاً ضروريا ولولا هذا الفرض لتعذر علينا أن نقوم باعمالنا وأن نؤدى حاجاتنا . أما اذا أديناها

وانصرفنا عن هذا الفرض فى الوقت نفسه كان ذلك دليلا على أن ميزان العقل قد اختل وان الفتيه قد انحلت . غير أن هذا كله لا يقوم دليلا على أن المادة ليس لها وجود حقيقى أو أنها وهم تصوره لنا الحواس . فان عجزنا عن اثبات وجودها علميا او اثبات أن لها حيزاً خارجاً عن حيزنا من طريق العلم ، لا يؤدى الى النتيجة التى يريدها الاستاذ ، وهى اثبات أنها تكون وهما لان وجودها راجع الى حواسنا وحدها . لان الحقيقة أن عجزنا عن اثباتها علمياً راجع الى ذاتيتنا لا الى موضوعيتها باعتبارها كائنة . ولا أدرى ما هى العلاقة بين وجود المادة فى موضوعيتها وبين فقدانى لذاتيتى ؟

فاذا استطعنا بعد هذا ان نثبت للاستاذ ان الضوء مادة يراها بالبصر وان الصوت تموجات فى مادة لها وجود موضوعى استطعنا أن ننقض نظريته التى يذهب اليها وننقض معها كل ما بنى عليها من النتائج .

والحقيقة أن الصوت ان كان عرضاً من الاعراض اللازمة لمادة متحركة ، فان الضوء مادة صرفة . فاذا عجزنا عن إدراكهما بالحواس لتعطل الحواس ذاتها فليس ذلك بدليل على أنهما وهميان لا حقيقة موضوعية لهما . وهذا كما لو فقدت تماما إن فقدان الحواس وعدم ادراك المادة بفقدانها دليل على أن وجود المادة ذاتى لا موضوعى .

قال سير جينز سكرتير المجمع الملكى البريطانى :

« ان الحرارة والضوء يحملان ثقلا معيناً . فثقلا حقيقياً نتكلم فيه كما نتكلم فى طن من الفحم أو قنطار من الحديد . فاذا قلنا مثلا طنا من الحرارة أو طنا من الضوء ، انطبق كلامنا على الحقائق العلمية ولم نعد الصواب قيد اصبع . وليس معنى هذا أننا نحصل على طن من الحرارة أو طن من الضوء اذا نحن أحرقنا طناً من الفحم بكلا . فاننا إذا أحرقنا طناً من الفحم فانما نحصل على جزء من مليون جزء من الرطل ضوء أو حرارة . والباقى يكون رمادا أو رجوعا ، أو مواد تختلط

باو كسجين الفضاء . فاذا وقع الضوء على سطح ما فانه يحدث من ذلك السطح « صدمة » Impact — كما يقولون فى الميكانيكيات — هى نتيجة لثقله . فاذا وجهت الى الانسان كمية من الضوء كافية الثقل ، فانها تصرعه ، كما تصرعه كرة المدفع تماما . وهذه « الصدمة » التى يحدثها الضوء لدى وقوعه على سطح ما ، تمكننا من قياس ثقله ؛ كما نستطيع تماما أن نقيس ثقل كرة يقذفها مدفع من مقدار « الصدمة » التى يحدثها فى هدف توجه اليه . ولا جرم أننا نضطرق هذه الحال أن نعرف مقدار سرعة كرة المدفع تماما . أما سرعة انتشار الضوء فمعروفة على وجه الدقة والضبط ، وهى ١٦٨٤٠٠٠ ميل فى الثانية »

إذن فالضوء مادة والصوت عرض ملازم لحركة المادة ، وما دام للمادة وجوداً حقيقياً لا يتوقف على حواسنا وذاتيتنا ، انهارت نظرية الاستاذ سلامة موسى فى الحب والجمال ولو بمقدار ما أقام على نظريته هذه من الاستنتاجات .

أما اذا سايرنا الاستاذ سلامه فى نظريته هذه لم يصبح لشىء من وجود حقيقى سوى الحواس . لان كل شىء عنده يتوقف عليها . فى حين أن الحواس ليست الا وسائل زائلة تنقل « موضوعية » الطبيعية الى « ذاتيتنا » .

ان الابحاث الحديثة لم تدر حول فقدان المادة بفقدان الحواس ، بل دارت حول اثبات المادة من طريق العلم و بالوسائط العلمية التى لا طريق لها الا الحواس جرياً على القاعدة التى وضعها سبنسر اذ قال بان « كل ما لا تدركه الحواس لا يمكن أنه يكون صحيحاً » . هذا ليكون الاثبات علمياً . . ولكن تقييد الاشياء والحكم على وجودها او عدم وجودها من طريق العلم و بالوسائط العلمية ، امر لا يجيزه العقل لان الحواس ناقصة والطريقة العلمية ناقصه بالنسبة لها . ومقدار النقص فى الاولى ، لابد من أن ينتقل الى الثانية بالاستتباع . هذا فى حين أن عجزنا عن اثبات وجود شىء من طريق الحواس او بالاحرى بالطرق العلمية ، لا يثبت انه غير موجود . والفارق ظاهر جلى .

اصلاح النوع البشرى

الهلال . مصر . من مقال بهذا العنوان من نلم التحرير ص ١٢١٢ د عد اغسطس سنه ١٩٢٨ فى هذا المقال استدراك بسيط ، ولكن لايحوز بنا اعقاله فقد جاء فيه :

« كان غالتون بن عم داروين (أى شارلز روبرت داروين المعروف) اول من التفت الى موضوع الترقى البشرى » — والحقيقة أن السير فرنسيس غالتون هو بن عمة داروين لا ابن عمه . فان اباه مسترس . ت . غالتون من ميدستون بمقاطعة وارو كشير وجده لوالدته مستر اراسموس داروين وخال مستر وارنج والدشارلز داروين المعروف (راجع الانسيكلوبيديا بريطانيكا مجلد ١١ ص ٤٢٧ الطبيعه الحادية عشر)

***

هول الدم السامى والدم الآرى

عن مجلة التربية والتعليم ، بغداد ، بامضاء ابو خلدون الجزء السادس سنه ثانيه ص ٣٧٦

حاول الاستاذ ابو خلدون أن ينقض رأينا الذى ذهبنا اليه فى تحليل شخصية بشار بن برد ، ذلك الرأى الذى ايدنا فيه كثير من الادباء في مصر وفى غير مصر من المشتغلين بحركة الآداب . وفى ظنى أن هذا الرأى سوف يكون له شأن بعد أن تستكمل فى عقليتنا كفاءة القياس التاريخى . على انى اعتقد أن هذه النظرية لايمكن رفضها برمتها ، كما يصح أن تكون صحيحة فى جملتها . فهى لاتزال فى طور التكون والتمحيص . وأنا نشكر لمجلة التربية والتعليم عنايتها بمثل هذه الابحاث .

غير انى على الرغم من كل ماأتيت به من بحث واسانيد لاأزال اعتقد ان بين الدم الآرى والدم السامى فارقاً بعيداً وصدعاً متنائياً يحملنا على أن نفرق بين المنتوجات العقلية التى ينتجها جذعان مختلفان تمام الاختلاف من جذوع الشجرة

البشرية . وقبل أن نمضي في اثبات رأينا هذا نظهر للقارىء شيئاً من الخطأ الذي وقع فيه الكاتب ليعرف مقدار وقوفه على حقيقة الموضوع .

قال في صحيفة ٣٧٤ . مايلي

« هذا ، ويجب أن لا يعزب عن بالنا ان تاريخ آداب الامم الاوربية لا يخلو من ذكر ادباء وشعراء عظام منحدرين من أصول اجنبية عن الامة التي نشؤوا بين ظهرانيها مع ذلك لا يتقدم مفكرو تلك الامم على ارجاع مزاياهم الى نوع الدم الذي يجري في عروقهم ، بل كثيراً ما نراهم بالعكس يعتبرون بعض هؤلاء الشعراء من اكمل الممثلين لآداب القوم واحسن المعبرين عن ميول الامة . بالرغم من انحدارهم من سلالات اجنبية » ثم قال

« وذلك لان التدقيقات النفسية والاجتماعية اظهرت بصورة واضحة أن عقلية الانسان ونفسيته من محصولات حياته الاجتماعية ولا من دوروثات دمه المادية »

ولا حرم ان هذه هي النتيجة التي اراد أن يخلص بها السيد ابو خلدون من بحثه الطويل . وهي نتيجة تؤيد رأينا بما لا يترك للريب مجالا . لأن عقلية الانسان ونفسيته اذا كانتا من محصولات حياته الاجتماعية ، وذلك لا ريب فيه فمن حياته الاجتماعية من منتوجات دمه . كذلك لا نستطيع أن نقول بان الحالة الاجتماعية تنصب على الفرد فتجعله ماهو ، بل ان الفرد على الضد من ذلك ينشأ في ظل الحياة الاجتماعية المصورة بادىء ذي بدء بفرائز الجماعة التي هو تابع لها . اذن فيكون للانسان ابن دمه لا ابن الصدف كما يريد أن يقول ناقدنا .

ومن الغرب ماذهب اليه في هامش اثبته في ذيل مقاله ، وهو يدل على أنه لم يستطع ان يفرق بين الجنسين السامي والآري ، واراد به أن يؤيد نظريته الأولى قوله :

« ان ساميشو من اشهر رجال الآدب الالماني كان افرنسياً ، في حين ان جورج ساند الشهيرة في الآداب الافرنسية كانت من عائلة ساكسونية ، وأن اميل زولا

الذى يعتبر من اكبر الروائيين في فرنسة ولد من اب ايطالى ، فى حين أن بوكاجيو المشهور بقصصه الايطالية ولد من ام فرنسية . وان بول دوقوق الذى يعتبر من احسن الممثلين للظرف الفرنسى كان هو لاندى الاصل . وان لرمونتوف المشهور بين أدباء روسية ينحدر من اصل اسكوتلاندى ، كأن بوشكين الشهير يتصل بنسل بويرى ، وان كاباللرو المشهورة فى الادب الاسبانى ولدت من أب المانى ، وفوسكولو المشهور في ايطالية ولد من ام اغريقية . اما الكساندر روماس الشهير فيحمل فى عروقه دماً زنجيا »

ولسنا نعرف ماذا يقصد بهذا . فان كل من ذكرهم يعودون في اصلهم الى جذع واحد هو الجذع الآرى . فكل امم أوربا تعود الى أصل آرى فاذا نبغ ايطالى فى الفرنسوية او انجليزى فى الالمانية او فكر على اسلوب خاص بامة من الامم الاوربية فليس ذلك بغريب ، وما هو بمؤيد ما يذهب اليه ، بل يؤيد ما نذهب اليه لان الجميع يرجعون في اصلهم الى الجذع الآرى

ولو فرض وان مصريا نبغ فى الادب الانجليزى او انجليزيا نبغ فى الادب العربى فهل هذا دليل على أن المصرى أصبح انجليزيا بالدم ، وان الانجليزى قد أصبح عربياً بالاديمة . كلا . فان هذا القول اذا قيل كان أبعد ما يكون عن محجة الصواب .

ونرجع بعد ذلك الى الاستشهاد بعكس موللر الذى أخطأ الكاتب فى الاستشهاد به ، وننقل عنه ما يدل على اعتقاده بان اللغات الآرية والسامية تختلف فى حيث الاصل ، ولا جرم أن هذا يدل على اختلاف الجذعين اللذين نشأت عنهما هذه اللغات قال :

***

فى كتابه « محاضرات فى تاريخ علم اللغة » الجزء الاول : ص ٣٥ (الطبعة الثامنة)

« اذا انعمنا النظر فى اللغات التى يتكلم بها فى جهات العالم المختلفة وكافة اللهجات المتفرعة عنها ولو لاحظنا التغييرات التى طرأت على كل من هذه الالسن خلال الدهور كيف تحولت اللغة اللاتينية الى الايطالية والاسبانية والبرتغالية ولغة بروفنسال والفرنسية والولاخية والرومانش (لهجة من الرومانية) وكيف ان اللاتينية بعد ذلك هى واليونانية والكلتية واللغات التيوتونية والسلافية يضاف اليها كذلك لهجات الهند وفارس القديمة ـ كل هذه تشير الى لغة أصلية ـ أم هذه اللغات جميعاً ـ أم الفصيلة اللغوية الاندوبيروبية أو الآرية وكيف أن العبرية والعربية والسريانية ولهجات صغرى مختلفة ماهى إلا مظاهر مختلفة وأوجه متعددة لاصل واحد ونوع واحد وهى اللغة الاصلية للجنس السامى »الخ

وجاء فى كتاب الاستاذ جسبرس (أحدث المؤلفات فى هذا الموضوع المعنون « اللغة — طبيعتها وانتشارها وأصلها »(طبع سنة ١٩٢٢) بعد ان تكلم المؤلف عن أبحاث بوب وجريم « ان الاول بعد محاولات عديدة في تقسيم فصائل اللغات فضل الاسم الشامل « الاندو أوروبى » وقد انتشر هذا الاصطلاح فى فرنسا وانجلترا وبلاد الاسكندناف أكثر منه فى المانيا وعقبه فى هذه الابحاث همبولدت الذى اصطلح على لفظ « اندوجرمانى » وقد انتشر استعماله فى المانيا ثم استعمل لفظ اندوكلتك (هكذا يقول جسبرس) بيد ان كل هذه المدلولات المركبة سقيمة وملتوية وتفتقر الى القصد والسداد ولا تصيب الغرض تماما ويظهر لى أنه اجدى وانفع ان نستعمل اللفظ المختصر المفيد « اللغات الآرية » ولفظ الآرية أقدم الالفاظ التى كان يعبر بها عن أى فرع من فروع هذه الفصيلة اللغوية في الهند وفارس » .

وجاء في نفس الكتاب ص ٧٤

« يشير شكسبير الى تشككه في احتمال اتقان أى انسان لغة أخرى لدرجة الكمال ولا يسلم بذلك الا في حالة استبدال أى انسان لغته الاصلية بلغة أخرى

فى مستهل شبابه ولكن بذلك يصبح مخلوقا يختلف عما كان عليه. فعقله وأعضاء الكلام عنده تنمو فى اتجاه آخر ولوقيل لنا ان زيد من الناس يتكلم ويكتب بالانجليزية والالمانية والفرنسية على حد اتقان واحد فهذا مما يشك فيه شليشر بادىء ذى بدء وبعد ذلك اذا سلم بان هذا الفرد المانيا وانجليزيا وفرنسيا مجتمعين فى شخص واحد فهو يذكرنا بأن هذه اللغات الثلاثة تمت الى فصيلة واحدة ويمكننا ان نقول بانها أنواع مختلفة للغة واحدة. بيد انه ينكر على أى انسان احتمال اتقانه للالمانية والصينية فى آن واحد أو العربية ولغة الهوتنتون. اذ ان هذه اللغات متغايرة تماما فى دخيلة معدنها » قال الاستاذ أبو خلدون

« وقد عبر ماكس موللر المشتهر بتدقيقاته اللسانية الواسعة ، عن حكم العالم فى هذه المسألة بتمثيل حاسم وجذاب ، حيث قال : ان العالم الاتنولوجى الذى يبحث فى علم آرى ودم آرى وعيون آرية وشعر آرى يرتكب هرطقة لا تقل سخافتها عن سخافة العالم اللغوى الذى يجرأ على البحث عن « قاموس مستطيل الرأى أو» نحو قصير الرأس » .

وهذا القول على صحته لا يؤيد الاستاذ فيما ذهب اليه : ذلك لأنك لا تستطيع أن تفرق بين الدم الآرى والدم السامى تحت الميكروسكوب مثلا . ولا يمكنك أن تعرف ماهو الفرق بين العيون والشعر الآرى وغيره . وان كان العلماء قد بدأوا يفرقون بين الشعر فى السلالات المختلفة ، ولكن هذا لا يمنع مطلقاً أن نقول إن هنالك مدنية غربية نشأت من أمم أصلها من جذع آرى ومدنية شرقية نشأت من امم اصلها من جذع سامى — والفروق بين المدنيتين واضحة .

والمحصل أن الجذع الذى يفوز بتصوير أديان التوحيد لا يمكن ان يتفق والجذع الذى يصور كل أديان التكثير والتثليث فى العالم من حيث الدم والوراثة . فان الدين اليهودى فى قالبه المسيحى دين توحيد ؛ ولم يكد يستقر فى اوربا حتى ثلث . وفى ذلك دليل واضح على نزعة الدم .

على أن الاستشهاد بقاموس « مستطيل الرأس » ونحو « قصير الرأس » لاستشهاد يدل على أن هنالك سلالات تختلف بالوراثة فيها هذه الصفات وعلى ان انكار الوراثة بالدم انكار لكل ماتقوم عليه مباحث الوراثة الحديثة في العالم المتمدن . ولا نذهب لا كثر من هذا ففيه الكفاية

***

الاحمق الخالد

مجلة السيدات والرجال ص (٥١١ — ٥١٧) جزء ثامن للسنة التاسعة .

أتدرى من هو الاحمق الخالد عند مجلة السيدات والرجال؟ هو غليليو غليلي العظيم . ولست أدرى ما الذى حمل كاتب هذا المقال على اختيار هذا العنوان الغريب

جاء في ذلك المقال ما يلى ص ٥١٤ :

« والمجرة التى تراءت نطفة في الغيوم بدت له جماعات من النجوم يمكن عدها والتمييز بين مفرداتها ، وحول زحل (جوبتير) رأى اربعة اقمار » .

وجاء في ص ٥١٥ مايلى

ولكن غاليليو ..... « اكتشف اموراً جديدة خطيرة الشأن ومن جملتها كلف سوداء في الشمس ، وظواهر سطح الزهرة وحلقات المشترى او هالاته » .

وفى هذا الكلام من الخلط البين مالا يحسن السكوت عليه . فلو ان غليليو نظر الى زحل اذن لرأى حلقاته ورأى من حوله ثمانية اقمار ، لا أربعة ولو نظر الى المشترى اذا لرآه قرصاً كالشمس له مناطقه المعروفة ومن حوله أربعة أقمار . فان المشترى هو جوبتير jupiter وزحل هو ساترن — saturn — .

ولا ندرى بعد هذا الخلط أيهما الاحمق ، غاليليو ام كاتب هذا المقال ،

السفور والحجاب

(بمناسبة الكتابين المقرظين فى هذا العدد)

ان أول سؤال أرغب القاءه على المفكرين وهل يصح اطلاق « التعفف » على عدم المقدرة على الوصول الى مايرغبه الانسان ؟ وهل تعد المرأة المراقبة زاهدة فى المعصية ؟ بل هل يصح لنا أن نفتخر بان المرأة شريفة وعرضها مصان وقد تكون تحلم ليلها ونهارها بالفرصة التى قد تتاح لتقوم بنصيب كبير من الدنايا ؟

انا لا يهمنى المقارنة بين من عاشوا قبل خمسة عشر قرنا وبين الذين يعيشون الآن لان الظروف والاستعداد والوسط وحتى الاخلاق تختلف اختلافا بينا فى العصرين ، اذ كانت المرأة قبلا على الفطرة وكان الرجل حيوانا حقيراً نجساً . فذا ماأردنا مقارنتها وهى فى ذلك العصر ، فيجب ان نفعل ذلك مع ماشية أو راحلة العربى الهمجى وليس مع نصف الانسان المتحضر الذى نظم حتى شقيقته بالحيوان الاعجم . وكيف نقارن الماضى بالحاضر وأبسط مبادىء الاخلاق الحالية تستنكر انهماك رجل فى قتل الغير من أجل سبى نسائه . وهل تهضم الانسانية التى نفهمها الآن سلوك رجل لاشغل له الا الجريمة أو الانغماس الى أذنيه فى الشهوة الحيوانية مع قطيع من الاناث حرمهن من أزواجهن وآبائهن وفلذات أكبادهن وقتلهم أو شردهم تلبية لرغبة بهيمية ؟ وهلا يهدينا عقلنا الى ان المرأة الراقية هى غير المرأة المتوحشة فالأولى لها عواطف ولها ميول أرقى بكثير من غريزة الثانية ؟ ان محاولة المرأة ، فى الوقت الحاضر ، الوقوف جنبا الى جنب مع الرجل يجعلها تعامله بالمثل . فاذا تطلع اليها كأنها اداة للشهوة ، لن ترى منه الا مارآه فيها والمبادىء أظلم . ان جرائم القتل التى كان يقترفها الرجل ضد غيره من الرجال لاجل سبى نسائهم ونهب أموالهم قد تهذبت وقلت كثيرا عن ذى قبل . فأصبح الآن عدد الرجال

والنساء متقاربان لبعضهما والليس معنى حيازة الرجل لاكثر من امرأة واحدة حرماناً لغيره من الزواج ؟ ومن ذا الذى يتهافت على اللذة لا أصحاب الثروة والنقود ؟ وهل أغلبية هؤلاء الا شيوخ هد الكبر قواهم فأصبحوا غير صالحين لانتاج نسل قوى ؟ اننا بتركنا حبل هؤلاء الحيوانات ليفعلوا ماتسمح به ثروتهم وجاههم نعمل على حرمان بعض الصالحين من الشبان من القيام بما تمليه عليهم الطبيعة البشرية . وبالطبع سيسعى كلهم جهده لنوال بغيته وهذه أول خطوة للفساد . كذلك المرأة التى وجدت ذاتها بالرغم منها فى حوزة رجل عديم الاسنان قد أحنت السنون ظهره وأضعفت قوته الحيوية فما يكون منها اذا شاهدت ولو عرضا شابا يمثل الخيال المتسلط على فكرها ؟ فهل هناك شك فى ان الطبيعة تجذبها الى الاصلح ؟ فعلى من تقع اذن مسئولية خرق حرمة القوانين الاخلاقية ؟ على الطبيعة البشرية أم على العواطف أم على الذين يتغاضون عمداً عما هو طبيعى ؟ ان النظريات الاخلاقية تصبح مهزلة اذا تعارضت والقوانين الطبيعية النافذة وانكم بارهاق المرأة تحطمون شخصيتها وتجبرونها على الامتناع قسراً عن انتهاك سخافاتكم الاخلاقية . ومن الغريب انكم تصفقون طرباً عندئذ مدعين بان المرأة شفيفة شريفة طاهرة الذيل متناسين انها مكرهة على ان تتصف بالسجايا التى تحبذونها . فما أذكاكم !

اذا كنتم تخفونها خوف الفتنة فانتم مخطؤون . ان الخصى المفتول الساعدين الطافح من وجهه دم الشباب يحيي فى المرأة الشابة المملوءة حيوية الأمل لتلقى نفسها بين ذراعيه لانهما أمتن من ذراعى زوجها المرتعشتان ، بل ان القاء نظرة ولو عرضا من نافذتها على عابر سبيل تحيي فى نفسها الرجاء وتدفعها الى نوال بغيتها الطبيعية . وليس هذا فقط بل دم الشباب الذى يجرى فى عروق اخيها بل اختها أو صديقتها يجعل كلهم لها بديلا من الرجل مع الحاجة الطبيعية فهل نستبعد بعد ذلك وقوع مالا يستحب بين المرأة وبين الاخ وبينها وبين الاخت او الصديقة كي تطفىء هيجان الطبيعة بالاقل بل لماذا نستهجن منها ان ترى حتى فى حيوان

متناسق الاعضاء خير بديل من هيكل زوجها الخرب المنهدم ؟

ان اقتصار علاقة الرجل بالمرأة على الصلة الجنسيه يظهر كلامنهما للاخر لأكثر من اداة للذة واذا ماثبتت فكرة اللذة وتحكمت على عقليهما كانت شغلا شاغلا لهما يحرص كل منهما على التنقيب عن الوسائل التى تسبب لكل منهما لذة اكثر . فالواجب اذن ان تكون الصلة الجنسية بين الزوجين اقل الروابط التى تجمعهما معا وان تكون اهم رابطة لها هي التفاهم الواجب التأييد له برفع مستوى المرأة العقلى حتى تصبح للرجل صديقة تشاركه في ارائه وتسديه نصيحة يمة كلما كان فى حاجة اليها . وان يحل الصفاء بينهما الا اذا تبادلا الاحترام الصادق واول دلائل هذا الاحترام هو عدم احتقار الرجل للمرأة وذلك بعدم اشراك غيرها في قلبه وفى آرائه وفى حظه بل يجب عليه ان يقف بجانبها كي تقف هى بدورها بجانبه الى ان يستقط احدهما صريعا

ورفع مستوى المرأة العقلى يفيد ايضا فى تربية البنين . فان المرأة اقدر من الرجل على القيام بهذه العملية ورفع مستواها العقلى ضرورى ايضا للقيام بالتدبير المنزلى — وحذار ايها السادة العلماء ان تظنوا بان معنى هذا الاصطلاح هو الكنس والمسح فقط — فله معنى اجل هو ادارة مملكة المنزل الداخليه ومراقبة الصحة والتعليم والمصروفات فهى المرأة التى يتقاضى اليها الاطفال والخدم وهى المسئولة عن جعل المنزل فردوسا يجذب الرجل والاطفال وايضا الخدم اليه

ورفع مستوى المرأة العقلى ضرورى ايضا لانه قد يحدث ان لاتجد المرأة مشاركا لحياتها — وربما بارادتها هى — او ربما تفقد شريك حياتها فو الحالة هذه يجب عليها ان تكون مستعدة لمكافحة الزمن من اجل عيشها ومن اجل عيش ابنائها اليتامى اذا وجدوا

الاختلاط ضرورى للجنسين فاذا تشبثم بفكرة الفتنة و بفكرة ضعف المرأة فهلا حاولتم حجب وجه الرجل دونها لانها اكثر منه تعرضا للفتنه ! بل هلا

حاولتم بالاقل الحجر على من هو جميل من الرجال لان الجمال هو الداعى الاكبر للافتتان وليس مجرد الانوثة اريد ان اسر اليكم يا انصار الحجاب الاتنياء بما هو معلوم تماما لديكم وهو « اينما وجد المتحجب أنتشر اللواط » والداعى الى انتشار هذه السفالة وجود شيء اسمه « الميل الى الجمال » يدفع الانسان الى كل ماهو جذاب . فاذا ما كان هذا الجميل زهرة او منظرا اقتصر الامر على تهييج العواطف حتى الاستكفاء. واما اذا كان انسانا فان السعى للتقرب اليه يكون اول هم الاخر . فاما المرأة فان ملامستها اصعب من ملامسة الرجل لان بها حياء عزيزى واما الرجل فملامسته هينة وكذلك الاختلاء به ثم اغرائه . واما المرأة فارغبتها فى انتخاب الاكفا وارغبتها الغريزيه فى التلاعب بعواطف الرجال كي تزيد قيمتها فى عينيه تصبح ملامستها اصعب واغراؤها يحتاج الى وقت ، هذا على فرض انها لاتحافظ على بكارتها أو على شرفها بل لتأويل الناس تفزعها فوجودها مع الرجل ادعى للشبهه من وجود رجلين مع بعضهما . ان الوقت الذى ينفقه الرجل فى التقرب من المرأة يجبره على التخلق ولو موقتا باحسن الاخلاق حتى ينال قصتها وكذلك المرأة فانها بالاقل تتظاهر بانها احسن مثال للاخلاق لتنال حظوة فى عيني الرجل إذ يكون املها دائما متجها نحو الزواج ، وعلى فرض ان تخلقها بحسن الظلال يكون موقتا فانها ستربى ابنتها ولو على (التظاهر) باحسن الاخلاق لاجل صاحبها وهذه ستدرب بدورها ابنتها وهكذا تصبح الاخلاق بعد عدة اجيال عادة من السهل اتباعها اذا وجدت بيئة ومعاملة حسنتين

ان فى الحجر على المرأة اكبر دافع لها للبحث عن طريق الحرية . ومن الاسف ان من لوازم الحجر الجهل وعدم الخبرة الامران اللذان يساعدان على وقوع المرأة فى شباك المغررين . فلو خصت المرأة كاملة من رجل غريب عنها مالت الى تصديقها خصوصا اذا كانت محرومة من سماع امثالها من رجالها . وهى فى هذا تخالف تماما المرأة السافرة التى تنشأ تحت مراقبة امها فى وسط مختلط . واذا احتجبت المرأة

الايكون احتجابها مخف لشخصيتها فتقترف الآثام دون أن تعرف بعكس المرأة السافرة التي ينم عليها وجهها وماأدرى الزوج اذا كانت زائرات زوجته المتحجبات هن نساء أو رجال متخفين؟ يجب أن يسلم الحجابيون الميالون مراقبة المرأة أن وجودهم معها في الاجتماعات دائماً يسهل عليهم مهمة القيام بوظيفة الجاسوسية على شخصيتهم ؟

يعود فساد اخلاق المرأة الى سوء سلوك الرجل معها فانه اذا اغلظ لها القول مالت أولا بحسن نية الى أي رجل يحسن معها القول . ثم ينقلب هذا الميل الى ثقة فاستحسان فغرام . كذلك الرجل الكثير السرور يسبب لامرأته الملل من الوحدة فيدفعها بذلك الى الجري وراء السرور البريء اولا ، ثم تمادى بعد ذلك خصوصاً وانها تجد مؤانساً لها يحتمل رويداً رويداً مركز الزوج الخالي من قلبها. واما إذا كان الرجل يعاشر نساء اخر غير امرأة فانه بطبيعة الحال لن يكفي حاجتها فتدفعها من جهة كما تدفعها الضغينة من جهة أخرى إلى البحث عن طريق لارضاء غليلها ولو بالاقل لمقابلته بالمثل . هذه احدى نتائج تعدد الزوجات السيئة . اضف اليها الحسد بين الضرائر وسعيهن بالوقيعة بين رجلهن وضرائهن من جهة وبين أولادهن وأولاد ضرائهن من جهة أخرى . فبين الضرائر تكثر النميمة وشعاذ السحر وحتى أولاد الضرائر يكونون عرضة لهجوم الضرة على مستقبلهم وذلك بتنفير هاوالدهم منهم وهم ابرياء . وهي انما تفعل هذا كي يتنعم أولادها دون غيرهم في عز والدهم والسيدة المسلمة تندفع الى التبذير وحتى الى السرقة كي لاتعطي زوجها فرصة للزواج من غيرها وأيضاً لكي تكون في سعة من العيش فضل ما اختفته من مال الزوج اذا ماأتاها خبر طلاقها من الضرة خلاف وقع بين زوجها وآخر على ماأذا كانت اللعبة (بنج يك أو دورجي) وأنا أعرف سيدات يبعن خزين المنزل والاقشة ليكنزن ثمنها لوقت الحاجة هذا بخلاف ما يسرقنه من ثياب الزوج وما يزدنه على المصاريف المنزلية اليومية فبذلك

مالذى تنتظرون من المرأة التى تعيش مع رجل كارهة اه غير آمنة على مستقبلها أن تفعل غير كل ماهو سافل ومنحط ؟ أنا لا اقول أمنعوا الطلاق . لا ، بالعكس انا أطالب به ولكنى اريد فقط أن تفهموا الرجل أن المرأة هى شىء اكثر من (ميوله) عساه يعاملها معاملة حسنة فتثق به وتعمل كل مايحبه فيها أما اذا خدث داع للفراق فهو خير ملجأ . ان من أضرار تعدد الزوجات ان تتهالك كل واحدة منهن فى استبزاز اقصى مايملك الرجل من القوة الحيوية فى حلة وجوده معها حتى تكيد لضراتها وبالطبع تفعل الثانية مافعلته الاولى وهكذا الثالثة والرابعة وغيرهن من الحظايا والسبايا الخ وينوء الرجل تحت حمل هذه السخرة فينهد كيانه ويسرع الى القبر . اليس لاجل أن تنال المرأة حظوة كهذه فى عيني الرجل تعمد الدلال وغيره مما تهيج معه غريزة هذا الحيوان الجنسية ؟ فاذا كانت هذه هى حالته كل يوم فكيف تنتظر منه اكبابا على اعماله فى النهار ؟ واما المرآة فمدتها معه تقضيها كالهائى المرآة واما فاذا غاب عنها فالغيرة من ضرائرها تفتك باحشائها فلا يعمل فكرها حينئذ الا فى نصب الاشراك والعمل بالنكاية للضرائر دون حساب

كذلك نجد من نتائج الحجاب عقد الزواج الشاذ . فبالله ماذا يكون رأى الرجل والمرأة اللذان يتقابلان لاول مرة لا للتعارف بل لقضاء شهوة بهيمية ليستعد كل منهما لتذوقها قبل الاجتماع بعدة أسابيع ؟ فاذا ما ارتوت الشهوة بدأ كل منهما يفحص رفيقه كما يفعل المتبارزان قبل الاصطدام . فيجريان المناورات لمعرفة ماذا كان مناظره (عبيطاً) او (لئيما) ومن الغريب ان كلا منهما يتظاهر بالعناء وعينه تراقب الآخر مراقبة النسر لفريسته . فتزداد الظنون ويدور الدس وتلعب المراوغة دورها فينفجر كل منهما على الآخر . ولا غرابة فهذه هي آخرة اللقاء الشهوانى . وهل ينتظر من الرجل ان يحترم امرأة كانت ضحية شهوته فى أول دقيقة رآها فيها وبالله كيف يأمن اليها بل كيف تكون عقليتها بعد أن

يثوب اليها رشادها فتجدها مامها الرجل لا أكثر من آلة تسبب الشهوة ؟ فاذا ما انتهت حدتها لا تجد صلة تجمعها بتلك الآلة حتى تغلبها الشهوة مرة أخرى

هنا يجب أن نتحول الى التهتك لنفرق بينه وبين السفور . فالتهتك ناتج عن حاجة المرأة الى الرجل . فاما الحاجة الشهوانية ، فليس من المسلم عقلا ان المرأة تجرى وراء الرجل من أجل الشهوة كل دقيقة من حياتها ، بل قد تفعل ذلك كل بضعة ايام مرة واحدة . هذا على الاكثر . المرأة تجرى اكثر وقتها خلف الرجل كى تغريه بذاتها لتمتلكه او بمعنى آخر ليطعمها ويكسيها . فهى بفضل جهلها لا تعرف لها صناعة الا التمسح بالرجل كى تأكل من فضلاته . وهو بدوره لا يريدها إلا لاشباع شهوته لا أكثر لان خدمته يمكن أن يقوم بها خادم أو يقوم بها بنفسه فالمرأة تعرض ذاتها فى السوق ساعة — أجل ياسادتى الجامدين لا أكثر من ساعة — لتجتذب نظر الرجل فاذا كان الرجل عالى العواطف ما كانت المرأة تسعى اليه عن طريق الخلاعة بل كانت تثقف ذاتها كما يفعل النساء الاوروبيات المستقلات اقتصاديا اللاتى اذا اتصلن بالرجل بأى صلة كانت سواء بالزواج الدينى أو بالزواج المدنى أو بالمرافقة وكلها فى نظرهم صلة روحية — فانما يكون ذلك عن طريق العواطف وعن طريق التفاهم المتبادل . وأما نحن فتقتنصنا النساء بالتبذل وذلك لاننا نجهل كل خصال المرأة اللهم الا أنها أداة للذة البهيمية الامر الذى نتج عن الحجاب وعن نشوئنا فى وسط لا يسمع فيه الواحد منا ذكر المرأة الا مصحوباً بكل ما هو منحط وسافل .

وانى لأكون قد حقرت نفسى لو بسطت ما اختبرته شخصياً فى حياتى . فقد وقع لى حادث مع سيدة وكان أكبر درس تلقيته الى اليوم . حدث أننى دعيت مرة الى بيت أحد أساتذتى وكانت الاولى من نوعها . فدخلت القاعة المعدة لاستقبالى أنا وغيرى من الطلبة أجر رجلى جراً . كيف لا وأنا على وشك مقابلة سيدات غريبات عنى لاول مرة فى حياتى . وكنت فى التاسعة عشرة من

عمرى ولا أذكر الآن كيف حييت رب الدار وربته ولا ما إذا كنت قد حييت ابنتهما أيضاً وهذا لا دخل له فى القصة التى تبدأ عند ما انتحيت كرسياً فى زاوية مظلمة من القاعة وقد تصبب منى العرق فكنت أمسحه وأنا مضطرب الحواس ولكن يزيد اضطرابى كلما مرت من أمامى سيدة حسب عادتهن انتبادلنى بضع كلمات وهى تبتسم . اعتقدت أولا أنهن يضحكن على ولكن عزة نفسى أقنعتنى بعد قليل بأنهن قد افتتن بى . ويظهر أن آنسة الدار وجدتنى وحدى فجلست بقربى وأخذت تحدثنى ولست أعرف تماماً السبب الذى دعاها لاطالة الحديث معى هل هو رغبتها فى مسايرتى وتشجيعى على أن آلف هذه المعيشة المختلطة ، أم لانها رادت أن تكلمنى كلمتين كما هى العادة ثم تتركنى لغيرى فلاحظت احمرار اذنى واصفرار وجهى وارتعاش يدى فعزمت وهى اصغر منى سنا بثلاث سنين أن تضحك منى وتحرجنى .

فلما تكلمنا اخذت نفسى ترتد الى رويداً رويداً الى ان سقنا الحديث الى ذكر مصر ومنزلنا ووالدى وثروته وعمله فاخذت افكارى تتجه بسرعة نحو مرمى بعيد . ولسوء الحظ انها سألتنى هل اذا زارت مصر اقدمها لوالدى وهل نزهها فى كل جهة . فاول ماتبادر الى ذهنى انها قد (وقعت) وهامت بى صبابة كيف لا وهاهى تلمح وأنها . . . وأنها . . . فما كان منى إلا ان وضعت كفى على ساقها لاظهر مشاركتى لها فى الغرام . فهبت واقفة يكاد الشرر يتطاير من عينيها ثم أحنت الى رأسها وذهبت . ورغما عن أنها قابلتنى مراراً كثيرة خلال ثمانى سنوات ، كانت تأنف دائما من التسليم على فكانت تتجاهلنى تماما

هذه كانت عقليتى . فالذنب ذنب هذه العقلية التى ترجمت الفاظ الابنة الطاهرة الى اللغة العربية فتفهمها عقلى المحجب كما تعودت فى وسطى الذى لا يفرق بين المرأة واللذة حتى يشاء الله أن ننبذ الحجاب

الالحاد

أمعرفة هو ام اعتقاد ؟

رداً على ملاحظات ط . ه . حنين افندى اقول .

المعرفة والمعتقد امران مختلفان في التكوين والمصدر كل الاختلاف وانا كان لكل منها فروع تختلف فى الاسم والمظهر فان المبتدىء بالبحث عن وحدة هذه الفروع يرى صعوبة مافي تعيين الاصل ومن ثم فى الجهة التى تتجه اليها فلهذا أعرف اولا المعرفة والمعتقد كاصلين نبت عليهما فروع شتى هى هذه العوامل المسيطرة على كيان الجماعات والافراد والدافعة الى ناحية معينة من القول والعمل

قال الدكتور غوستاف لوبون في كتابه — الآراء والمعتقدات — الصفحة الاولى « يخلطون المعتقد احياناً بالمعرفة على مابينهما من اختلاف كبير فالعلم والاعتقاد أمر ان مختلفان في تكوينهما ومصدرهما وبالرأى والمعتقد يتم سيرنا وعنهما تنشأ أكثر حوادث التاريخ » وهذا القول يكفى لتبيين نسبة الاختلاف بين المعرفة والمعتقد على أن هـذا الاختلاف يشمل ايضاً ماتفرع منهما

المعتقد وليد العاطفة الهوجاء والمعرفة وليدة الفكر الباحث المدقق فاذا اردنا أن نجعل الناس ذوي معرفة يجب أن نوجد عندهم الفكر ومن ثم الوقت الكافي للبحث والتدقيق ولكن لو شئنا أن نصيرهم ذوى اعتقاد لما اقتضى علينا سوى التأثير على عاطفتهم بالتلقين والتكرار . فالاختلاف بين أصل المعرفة واصل المعتقد كبير ويكفى أن تلك وليدة الفكر العصرى وهذا يرجع الى العاطفة تلك التى قادت الانسان ملايين من السنين في ظلمة الطبيعة ووحشتها. فالالحاد من فصيلة المعتقد دوام من فصيلة المعرفة . لو قلت إنه يرجع الى المعرفة لكذبتنى وقائع الحال لأنه ـ رأى ـ والآراء تنضم تحت لواء

العاطفة تلك المعروفة فى هدفها ومرماها وكيف تجعل منه معرفة ! ! ـ أنخلق له مركزاً بين فروع العلوم العديدة وندرسه كما ندرس العلوم الطبيعية والرياضية ؟؟ ـ يقول حنين افندى ان الالحاد صفة انتقاد لما نراه فى هذه التارات الخمس من الاديان الخرافية السخيفة . نعم وأنا لا أخالفه فى ان للالحاد صفة انتقاد للاديان الشائعة ولكن دل هذا كل شىء ؟؟ ـ انت ملحد ـ ولا تعتقد بصوابية هذه الاديان ـ حسن ـ ولكنك تعتقد ان هذه الاديان ليست صحيحة واعتقادك هذا له نفس السنن والنواميس التى لهذه الاديان ـ والا فكيف نفسر انتقادك هذه الاديان المبنى على رأيك الذى تدعيه صواباً ؟ ؟

يذكر حنين افندى قصة تيس (ولا أعرف لماذا اختار هذا التشبيه الغليظ) ويقول انه لو صدقت الناس ان تيساً صار على قرنيه وكذب انسان ذو عقل صحيح هذا الامر أفمن الحق ان نمنع هذا الانسان عن ابداء رأيه بصحة ما يعتقد ؟ ؟ ـ

انا ما قلت ولا اقول ولن أقول بمنع انسان عن الجهر بالحقيقة خصوصاً فيما يتعلق بالاديان ومبثولوجيتها ولكن قلت وأقول وسأقول ان الالحاد رأى ومعتقد وهو من فصيلة تلك الاعتقادات المبنية على العاطفة الفطرية وان الناس لو الحدوا لما تغير مظهرهم الاجتماعى ولا مقامهم فى الطبيعة وهاهي الاديان السائدة لم تبدل وضعية العالم عند ما تم لها الفوز على ما سبقها مع اعتبارنا ضرورات الرقى التدرجى لان الانسان ما زال كما كان يسير مدفوعا بعاطفته لا بعقله .

ثم والمسألة ليست مسئلة تيس وسيره على قرنيه بل اعمق وأعمق واعمق حتى أن اعاظم رجال العلم والفلسفة وقفوا أمامها وقفة المتردد والمشكك مثل باسكال وكانت وشوبنهور ومالبرانش وكروكس وبومبانازى وولس وغيرهم فان مباحثهم فى صحة الاديان وكذبها لم تزل مثالا بارزا على عمق الموضوع وبعده عن مستوى العقل البشري الاعتيادي المتطلب الايمان بوجود مبدع مستقل لهذه الكائنات العجيبة فلو قلنا واخذت الناس قولنا

حجة لا ترد بان الالحاد أحسن الآراء الاجتماعية . فاذا كنا نرى ؟؟ . كنا نرى ان المستوى البشري ما زال عند حده ينمو رويدا رويداوان الالحاد حل محل الاديان البائدة وأخذ ما كان لها من العوامل والمسببات ولم يختلف عنها الا بالاسم فقط . ومن اطلع على مباحث الدكتور غوستاف لوبون فى هذا الباب يتأكد صحة قولى هذا.

لا أقصد بهذا رد الملحدين عن التبشير بالحادهم كما يبشر المسيحيون والمسلمون واليهوذيون باديانهم بل اظهار حقيقة الالحاد الذى لن يبطل الحروب ولن يكفى الانسان مؤونة التساؤل عمن اوجد هذه الطبيعة .ولينق حنين أفندى ان من التعاسة الدائمة الاطلاع على خفايا هذا الكون لان الوهم الذي يقود الانسان فى ايمانه بالله وكفره به او الحاده مخدر يمنعه من امعان الفكرة فى مظالم الحياة وشرورها كما وليتأكد ان تبشيره برأيه لن يرقى فكر الانسان اذا بقيت الموانع الاجتماعية متحكمة فى منحى الافراد ومصيرهم لان الامر يرجع الى طبيعة النظم السائدة ليس الا ـ فأنا أعرف منشأ الكون وتفرعه والمعرفة لا تولد الرأى او المعتقد ولهذا فان ـ الحادي ـ او ـ اعتقادى ـ قد اضمحل برسوب عاطفتى النظرية وظهور فكرى الى ساحة القول والعمل

بيروت ١٣ أغسطس سنة ١٩٢٨ ابراهيم حداد

فهرست

ص		
١	— العصور فى سنتها الثانية	اسماعيل مظهر
٢	— حياتنا العقلية	
١٠	— لا تقطفيها — قطعة شعرية	حسن كامل الصيرفى
١١	— الفيلسوف الفارسى — عمر الخيام	ا . م
٢٠	— رباعيات الخيام	الزهاوى
٢٧	— تأملات فى الادب والحياة	فيلو بونس
٣٣	— تراجم العظماء — مصورة	ا . م
	٣٣ـ لامارتن ـ ٣٦ ـ سبنسر ـ ٣٨ ـ نون يوخ	
٣٩	— امل مفقود ـ قطعة شعرية	حسن كامل الصيرفى
٤٠	— شوبنهور ـ ومقامه فى الفلسفة الحديثة ـ مصورة	ابراهيم حداد
٤٥	— وقفة على نبع القطين ـ قطعة شعرية	حبيب الياس
٤٦	— فى الرحاب ـ قصة	ا . م
٥٥	— هبات الآلهة من اساطير رومانا واليونان مصورة	. . .
٥٩	— اصلاح الازهر ـ تقرير الاستاذ المراغى	. . .
٧٣	— لمحة فى النظام الكونى ـ مصورة	. . .
٨٧	— الانقلاب الفكرى ـ حول الازهر واصلاحه	. . .
٩٢	— فكرة السلام ـ نقد وتحليل	. . .
١٠٠	— نموذج جديد من رباعيات الخيام	سيد احمد النجفى
١٠١	— النقد والتأليف	
١٠١	— السفور والحجاب ـ لنظيره زين الدين	
١٠٦	— المرأة فى الاسلام — حامد محمد الشيال	
١٠٨	— اللباب — للزهاوى	

١١٠ — قبض الريح — للمازنى
١١٢ — الهندسة المستوية ـ على وجلال امين زريق
١١٣ — اسكندر فون همبولد — مصورة
١١٨ — فصول فى التاريخ الطبيعى — الحصان . أصله ونشوؤه . مصورة
١٢١ — الزولوجيا : أو مبادىء علم الحيوان — مصورة
١٢٦ — الاستكشاف القطبى : نبذة من تاريخه — مصورة
١٣٤ — بين الصحف والمجلات
١٣٤ — حول الاسلوب العربى — سلامه موسى — اعداؤه وانصاره
١٣٧ — الحب والجمال — مجلة الهلال عدد أغسطس الماضى
١٤١ — اصلاح النوع البشرى — مجلة الهلال عدد أغسطس الماضي
١٤١ — حول الدم السامى والآرى — مجلة التربية والتعليم (بغداد)
١٤٦ — الاحمق الخالد — مجلة السيدات والرجال — مصر
١٤٧ — السفور والحجاب عمر عنايت
١٥٥ — الالحاد — امعرفة هو أم اعتقاد ابراهيم حداد

فهرست الصور

ص

٣٣ — لامارك

٣٨ — فون بوخ

٤٠ — شوبنهور

٥٦ — باندورا

٧٣ — الكون في القرون الوسطى

٧٦ — ثلاثة أشكال للدب الاكبر

٧٨ — الطريق اللبنية — كوكبة الدجاجة

نسبة السيارات للشمس

٨٣ — مجموعة من النجوم في كوكبة قنطوروس

٨٦ — سديم اهليلجي

٩٣ — قصر السلام في لاهاى

٩٥ — لورد فنلى

٩٧ — دكتور لودار

٩٨ — القاضى جون مور

١١٣ — اسكندر فون همبولد

١١٩ — نشوء الحصان

١٢٣ — هامة الماء

١٢٤ — عقرب كمثال للاركنيدا

١٢٥ — خنفساء كمثال للحشرات

١٢٨ — الكابتن سكوت

١٣١ — امندسن

١٣٢ — شكلتن

١٣٣ — القوندور بيرى